ذو الأربعين وجهًا

رواية

ناصر حامد

دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

مغامرات ذو الأربعين وجهًا

رواية

ناصر حامد

العنوان: مغامرات ذو الأربعين وجهًا

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: ناصر حامد (نبذة)

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

مغامرات ذو الأربعين وجهًا

مطاردة في الصحراء الغربية

اللقاء الأول:

جلس احمد يصغي الى رائد "عزيز" وهو يشرح له تفصيل العملية التي سيشترك بها. كان عزيز آمر وحدة القوات الخاصة التي التحق بها احمد منذ ثلاث اشهر ، و"عزيز" هو ضابط متمرس شديد الانضباط مشهورا بين اقرانه بشجاعته وجرأته. وعلى الطاولة هناك خارطة مبسوطة امامهما يؤشر "عزيز" عليها وهو يشرح.

- **يقع اقليم الساحل الغربي في غرب القارة الافريقية هنا ... ومعظمه منطقة صحراوية تطالب منذ فترة طويلة بالاستقلال بالوسائل العسكرية تارة و بالوسائل السلمية تارة أخرى ، وبقيت هذه المناطق طيلة هذه الفترة تعاني من عدم الاستقرار الامني وتعاني من التدخل الخارجي ... تقع بعض مناطق الساحل تحت سيطرة المسلحين والمناطق الاخرى تحت سيطرة الدولة المركزية.**

خرجت هذه الكلمات من فم "عزيز" والقيت مثل محاضرة في الجغرافية والتاريخ. فيما جلس امامه احمد كطالب يستمع لأستاذه.

- **قبل شهر وردتنا معلومات عن وباء غريب ينتشر هناك ويفتك بالنساء والاطفال ... وقد قررت القيادة العليا ارسال مهمة عسكرية للاطلاع على الحالة الصحية هناك واكتشاف نوع الوباء المنتشر وصدرت الاوامر**

بتشكيل فريق ميداني صغير ، فرد من قوتنا و فرد من جهاز الاستخبارات العسكري و طبيبة من جهاز المخابرات.

كانت الكلمات تخرج من فم الرئيس بهدوء وحرص شارحا تفاصيل المهمة البعيدة عن ارض الوطن ، ومع انسياب هذه الكلمات المتتابعة كانت هناك اسئلة تتبلور في ذهن احمد ، ما ان انتهى رئيسه من كلامه و إذن له حتى تفوه بها مستفسراً :

احمد – سيدي لماذا لم يكلف فريق علمي اكاديمي بهذه المهمة ؟

– المنطقة تشهد تمردا من الثوار وحصاراً من قوات الدولة التي تمنع دخول فرق الاغاثة الدولية للمنطقة لذلك لا يستطيع أي فريق علمي من الدخول.

احمد – أ لهذا السبب سندخل من طريق البحر ؟

الرئيس – نعم.

احمد – سيدي .. فهمت ان امرأة من ضمن الفريق ! ، أ ليست بيئة الصحراء ستكون صعبة عليها وربما ستعرقل مهمتنا ؟

- **انها عميلة في الاستخبارات ومدربة جيدا كما انها دكتورة اختصاصية في علم الامراض و تستطيع تحديد سبب الوباء وكونها امرأة سيمكنها ذلك من التواصل بسهولة مع النساء والاطفال في مجتمع متحفظ كالذي ستذهبون اليه.**

اقتنع أحمد بالأجوبة و استمر النقاش بينهما في تفاصيل اخرى ، بعدها انفض الاجتماع ، وفي مساء ذلك اليوم جهز احمد حقيبته للرحلة المقبلة.

في صباح اليوم التالي حملته طائرة عمودية الى قاعدة بحرية في جنوب البلاد ، حيث ليتعرف لأول مرة بزملائه في المهمة ، نقيب علاء و دكتور نوال.

التقى أحمد بالنقيب علاء وهو قائد المهمة ومسؤول الاتصالات ،

كان علاء طويل القامة قوي البنية ناهز عمره الثلاثين ، بشرته بيضاء ، اسود الشعر ، حاد القسمات ، تظهر عليه صرامة الضباط شديدة ، بينما كانت الدكتورة نوال في منتصف الثلاثينات من العمر ، متوسطة الجمال ، قصيرة الطول ، رشيقة القوام ذات اطراف ناعمة ، وشعر اشقر قصير.

التقى الثلاثة في مكتب آمر القاعدة قبل ان يشار اليهم بالانتظار في غرفة صغيرة مرفقة بالمكتب. سلم الثلاثة حقائبهم لاحد الجنود المرافقين لهم ، دار حديث تعارف سريع بين الثلاثة لدقائق قبل ان يظهر على الباب رائد بحري ببزته الزرقاء وشارات البحرية المشهورة ، سلّم عليهم ووقف الثلاثة احتراما له وعرّف نفسه لهم بالرائد "سليم" قائد غواصة "القرش الازرق" التي ستتولى ايصالهم الى الساحل الغربي ، صافحوه بحرارة وقد علت وجهه ابتسامة لطيفة. جلس خلف المكتب الذي يتوسط تلك الغرفة حيث طلب منهم الجلوس.

- **انا سعيد بلقائكم .. ارجو لكم مهمة موفقة وناجحة.. ستكون هذه اول عملية مشتركة لقيادة العمليات المشتركة وسلاح**

البحرية ، ارجو ان ننجح بالتعاون فيما بيننا .. سننطلق بعد ساعتين .. حاولوا ان ترتاحوا وان تراجعوا احتياجاتكم ، وان احتجتم اي شيء ، فأنا على استعداد لتوفيره لكم .. سأرسل لكم الملازم عماد ليكون قربكم في حال احتجم لشيء.

كان الرائد "سليم" قائد غواصة "القرش الازرق" و هي مصنعة محلياً وبمواصفات متقدمة لتلبي متطلبات القوة البحرية الوطنية.

غادر "سليم" الغرفة بعد هذه المقابلة الصغيرة ، كان لقاءاً قصيرا تعرف فيه على فريق العمليات الخاصة ثم ذهب مسرعا ليشرف على الترتيبات النهائية قبل انطلاق المهمة.

تولى "علاء" زمام القيادة من تلك الجلسة واخذ يراجع مع "احمد" و "نوال" تفاصيل المهمة والمعدات التي جلبوها معهم وما سيحمله كلٌ منهم وكذلك اعاد تذكيرهم بالتعليمات الصارمة التي يقتضي الالتزام بها في أي عملية سرية وركز في ذلك على "احمد" كونه من القوات الخاصة ولأنها اول مهمة فعلية له خارج الوطن.

اثناء ذلك حضر ملازم "عماد" وسلم على المجموعة ، بعد مراجعة الفريق الشاملة للمهمة طلب "علاء" من "عماد" ان يسمح لهم بفحص التجهيزات والمعدات التي جلبوها معهم والتي زودتهم القيادة بها.

كانت المعدات موضوعة في غرفة مغلقة مع حقائبهم وكانت المعدات تنقسم الى معدات شخصية سيحملها كل فرد من الفريق تتعلق بالاتصالات والامن

ومعدات علمية تتكون من اجهزة فحص محمولة و متطورة للتحليل الجرثومي بالإضافة الى كمية من المضادات الحيوية والادوية بالإضافة الى الملابس والاحذية المناسبة للصحراء وكمية من الطعام الصحي المعلب والماء لكل فرد.

بعد تدقيق المعدات طلب "علاء" من الملازم "عماد" تحميلها على ظهر الغواصة ، اجرى "عماد" اتصالاً من هاتف داخلي موضوع في الغرفة وطلب ارسال بحارين لحمل المعدات ، حضر البحاران بعد وقت قصير وحملا المعدات والامتعة ثم طلب منهم ملازم "عماد" مرافقته ليقودهم الى الغواصة .

***

القرش الازرق:

سار الفريق يقودهم "عماد" داخل ممرات متصلة ومتتالية حتى دخلوا الى سقيفة حديدية ضخمة البنيان ، كانت السقيفة مضاءة بمصابيح قوية ، في حين كانت السقيفة مغلقة لا تسمح بمرور ضوء الشمس ، ثم وصلوا الى رصيف بحري داخل هذه السقيفة. كانت السقيفة الضخمة تغطي جزءا من ميناء بحري عسكري وسري.

في نهاية الرصيف وقفت غواصة زرقاء كبيرة ، شاهد الفريق هذه الغواصة لأول مرة ، كان برج الغواصة يعلو ما يقرب من ثلاثة امتار مع طول جسر يصل الى ثلاثين متر يوحي بانها غواصة متوسطة الحجم ، كانت هذه الغواصة تعتبر

مفخرة البحرية ومفخرة الصناعة العسكرية الوطنية ، صممت الغواصة لتكون متعددة المهام و من إحدى مهامها نقل القوات الخاصة.

صعد الفريق الى الجسر وهم ينظرون برهبة و اندهاش الى هذه القطعة البحرية الضخمة التي يروها عن قرب لأول مرة ، ثم نزلوا من خلال كوة الى الداخل حيث وجدوا انفسهم داخل مقصورة مليئة بالأجهزة الالكترونية والشاشات التي يشرف عليها مجموعة من الضباط و التقنيين ، في وسط الغرفة جلس الرائد "سليم" على مقعد كبير حوله كثير من الاجهزة وامامه شاشة صغيرة ، عرف الثلاثة انهم في غرفة القيادة ، عندما احس سليم بدخولهم قام لاستقبالهم ورحب بهم على متن الغواصة قائلا :

- مرحبا بكم في غواصة "القرش الازرق".

ثم طلب منهم مرافقته ، قادهم الى بداية الغواصة في جولة تعريفية وهو يوضح لهم اقسام الغواصة وأسمائها ومهمة كل منها ، ثم عاد بهم إلى مؤخرة الغواصة وهو على ذلك المنوال ثم قادهم الى غرفة صغيرة احتوت على سرير ومكتب صغير وكرسي وعدة اجهزة متفرقة في ارجاء الغرفة.

الكابتن – دكتورة "نوال" .. ليست لدينا غرف نوم فردية سوى غرفتي هذه ، فأرجو ان تقيمي فيها طوال الرحلة ، وهذا جرس الخدمة ، اذا اردت شيء اضغطي عليه وسيأتي بحار لتلبية طلباتك.

شكرته دكتورة "نوال" على ذلك ، ثم ودعها و قاد علاء واحمد الى غرفتهما كانت غرفة صغيرة تحوي سريرين ذي طابقين مع خزانات. رحب بهما سليم مرة ثانية وتمنى لهم التوفيق.

كانت الغرفة صغيرة تصلح للنوم فقط وتتسع لأربع اشخاص ويبدوا انها مخصصة لإيواء رجال المهام الخاصة.

في اقل من ساعة دقت صافرة ذات نغمة خاصة تبعها صوت يعلن قرب انطلاق الغواصة .

كانت هذه المهمة الاولى لـ "علاء" و"احمد" على متن غواصة وكانت هذه الاجراءات مبهرة ومميزة ، استمرت هذه الاجراءات لعدة دقائق رافقت بداية الابحار ثم تبعتها صفارة الغوص.

***

رحلة تحت الماء:

انطلق القرش الازرق من قاعدته السرية نحو البحر في رحلة تستمر عدة ايام. كانت لـ"علاء" و "احمد" و "نوال" اشبه بدورة تعريفية في هندسة الغوص والملاحة ، كان بإمكان الثلاثة التجول في معظم اقسام الغواصة و لكن التعليمات كانت تقضي بتجنب الحديث مع البحارة وعدم القاء الاسئلة وحصر ذلك بالقبطان ومساعده فقط.

مع الاقتراب من مضيق جبل طارق بدأ طاقم الغواصة في اتخاذ المزيد من الاجراءات الدقيقة لتجنب الكشف لأجهزة الرصد الغربية الموجودة بكثافة

في تلك المنطقة. بعد عبور المضيق بيومين وصلت الغواصة الى المكان المقرر ، قريبا من شاطئ اقليم الساحل الغربي . قبل ساعات من ذلك كانت الغواصة قد فعلّت الطور الشبحي.

كان الطور الشبحي يتطلب عدة اجراءات عملية و تقنية يتخذها الطاقم تتضمن سير الغواصة بسرعة هادئة و غلق جميع الاتصالات و ايقاف تشغيل المكائن والمعدات غير الضرورية التي تصدر ضوضاء قد تتحسس بها اجهزة الاستشعار من القطعات العسكرية المعادية و الاساطيل القريبة.

مع دخول الليل اطفأت الغواصة محركاتها وساد الصمت الكلي وبعد ساعة من الترقب و التنصت والتأكد من امن المنطقة المحيطة ، بدأت الغواصة في الوقت المحدد بإجراء مناورة انزال الفريق ، ارتفعت الغواصة تحت سطح الماء ورفعت منظار الاستطلاع خارج الماء لاستكشاف المنطقة بواسطة ناظور الرؤية الليلية ثم تم رفع صارية الرادار الجوي لاستكشاف المنطقة وتأمينها ضد الحركة الجوية.

في دقائق قليلة ، وزع "علاء" الاجهزة الشخصية على "احمد" و "نوال" قبل ان يرتدوا ملابس الغوص وينتقلوا الى البرج استعدادا للخروج.

مع الظلام الدامس وبعد تأمين المنطقة تم فتح عنبر الشحن في الغواصة واطلاق تجهيزات المهمة ، أُطلق قارب مطاطي انفتح تلقائيا على ظهر الماء فيما طفت باقي المعدات التي كانت محفوظة في اكياس ضد البلل و معلقة ومربوطة الى القارب ، اثناء ذلك ارتفع البرج الى مستوى مناسب ، ثم فتحت

البوابة وخرج "علاء" ثم "نوال" ثم "احمد" الى ماء المحيط حيث اخذوا يسبحون الى القارب مستخدمين نظارات للرؤية الليلية، كانت المسافة قريبة فوصل "علاء" اولا فصعد الى القارب و ساعد "نوال" في الصعود ثم احمد.
غطست الغواصة لتختفي في عمق البحر. رفع "احمد" اكياس المعدات من ماء البحر الى الزورق ثم وحسب خطة العمل شغّل "احمد" محرك الزورق الصامت وبدأ بالإبحار باتجاه الشاطئ.

***

الفريق على الارض:

كانت ليلة مظلمة صافية اختفى فيها القمر وبانت فيها النجوم لماعة ، كان الصمت الالكتروني يتضمن اغلاق جميع الاجهزة الالكترونية مخافة ان يتم تحسسها من اجهزة الرصد المعادية لذلك كان استعمال الطرق القديمة في الاسترشاد بالبوصلة و بالنجوم هي الطرق المتاحة.
جلس الثلاثة في القارب صامتين وفق التعليمات الصارمة ولم يكن هناك سوى صوت ازيز محرك القارب الصامت حيث الظلام الدامس يحيط بهم و نسمات باردة تهب بين حين وآخر فتسبب لهم القشعريرة.
بعد ساعات من الابحار في غسق الليل وصل القارب الى الشاطئ ، سحبوه خارج الماء واخرجوا معداتهم منه ثم افرغوه من الهواء، خلع الثلاثة ملابس الغوص التي كانوا يرتدونها فوق ملابسهم العادية ، ثم اخرجوا من حقائبهم

صداري تحمل اشارات وعلامات اجنبية ارتدوها فوق ملابسهم العادية. كانت هذه الصدارة للتمويه و التنكر بالانتساب لمؤسسة انسانية غربية.

دفن الثلاثة القارب في مكان مميز يمكن الرجوع اليه عند انتهاء المهمة وقد كان افراد الفريق يتكلمون بالإشارات وينفذون خطوات كانوا قد اتفقوا عليها وتدارسوها بينهم ، في خلال دقيقة حمل كلٌ منهم متاعه وبدأوا بالسير مستعينين بالنظارات الليلية ، كانت الخطة تهدف الى الوصول الى طريق معبد سيكون دليلا لهم للوصول الى بلدة "الداخلة" الساحلية ، كانت بلدة سياحية وهادئة و يستطيع فيها الغريب ايجاد ما يحتاجه من مكان للمأوى والمأكل ففيها فنادق ومطاعم عديدة.

بدأ الثلاثة خطواتهم في ارض رملية ، كانت الاقدام تغوص فيها لترتفع محملة بالرمال مما يجعل السير متعبا وبطيئا ، بعد ساعات من المسير بدأ ضوء الفجر يتسلل من الافق واصبحت رؤية الكثبان الرملية واضحة وكان التعب قد بدا على الفريق فأشار "علاء" الى الفريق بالتوقف.

– اخلعوا النظارات الليلية ... ولنأخذ استراحة .

كانت هذه المفردات هي من ضمن الكلمات القليلة التي قالها "علاء" منذ بدء المهمة.

جلس الجميع على الارض لأخذ قسطا من الراحة واخرج كل منهم بسكوتة من جيبه اخذ يمضغها ليسد به رمقه .

لم يكون هناك موضوع للحديث اذ ان "علاء" كان مهتما ان يراجع خطوات العملية ويتأكد من انها تسير وفق المخطط ، اما "احمد" فقد كان الامر بالنسبة اليه كأحد التدريبات الروتينية والقاسية التي أعتادها وكان يتدرب عليها بشكل دوري.

كانت "نوال" تشعر بالتعب و تُسلي نفسها بان هذا لن يدوم طويلا وان مهمتها ستُنجز ما ان تحصل على عينات الدم الحاوية لهذا المرض الغريب وانها ستعود محققة النجاح الذي تطمح اليه.

واصلت المجموعة السير وبعد دقائق ، شاهدوا الطريق المعبد امامهم ، كان هذه هي العلامة الاولى الجيدة منذ بدء الرحلة ، كان طريقا معبدا خاليا من الاسيجة الواقية ، عرضه يكفي لسير عجلتين ، اخرج "علاء" جهازه اللوحي ونظر الى خارطة المنطقة المحفوظة فيه ليتأكد من موقعهم ثم نظر حوله واغلق جهازه واشار الى اتجاه السير.

- من هنا.

اخذوا يسيرون على حافة الطريق المعبد ، اصبح السير اسرع بعد ان غادروا الارض الرملية.

كان الطريق ملتويا يمر بين الكثبان الرملية ولا دليل حوله على وجود مناطق آهلة بالسكان على مدى البصر. ولكن دراستهم للمكان وبياناتهم تدل على انهم على مسافة ساعة من السير الى المدينة. كانت الشمس قد علت في السماء وبدأت حرارة الجو ترتفع.

فجأة سمعوا صوت سيارة تقترب .. كان الصوت يزداد ارتفاعا وسرعان ما تبينوا انه آت من الاتجاه المعاكس ، مرت بهم شاحنة حمل صغيرة ، نظر اليهم السائق مستغربا ومضى في طريقه. كانت نظرة الاستغراب مفهومة اذ يبدوا انه لم يرى اجانب في المنطقة منذ زمن.

بعد دقائق سمعوا صوت سيارة ثانية ، هذه المرة كان الصوت قادما من خلفهم ، وقف "علاء" والفريق والتفوا الى الخلف وانتظروا ، كانت سيارة صالون صغيرة ، اشار "علاء" الى سائقها ليطلب توصيلهم الى المدينة المقبلة ، توقفت السيارة ونظر السائق اليهم نظرةً فاحصةً مظهرا استغرابه لرؤية مجموعة من الاشخاص الأجانب في هذا المكان من الطريق الصحراوي ، بادره "علاء" متحدثا بلكنة اجنبية :-

- صباح الخير.

رد الرجل التحية. واستمر علاء.

- هل انت ذاهب الى "الداخلة" ؟.

ذكر "علاء" اسم المدينة بنفس اللكنة السابقة وبصيغة سؤال ، مشيرا بيده الى اتجاه المدينة.

- اركبوا.

قالها السائق بلهجة محلية غير واضحة لكن تعابير وجهه واشارة من يده كانت كافية لتدل على انه فهم هدفهم وتطوع لتوصيلهم.

ركب "علاء" قرب السائق وركب "احمد" و "نوال" في الخلف بعد ان خلع الجميع حقائبهم من خلف ظهورهم ووضعوها بجانبهم.

شكر "علاء" السائق بالإنجليزية واستفهم منه.

- شكرا .. هل تتكلم الإنجليزية ؟

تمتم الرجل ببعض حروف غير مفهومة ولكن تعابير وجهه لم توحي بشيء ، واستمر يقود العجلة ، التزم الجميع الصمت واستمرت السيارة في طريقها.

بعد دقائق بدت اطراف المدينة الصغيرة تتراءى ، كانت شبه جزيرة صغيرة تحيطها مياه البحر، دقائق حتى كانوا يدخلون المدينة ، كان هذا الطريق هو الشارع الرئيسي وقد توزعت على جانبيه محلات صغيرة للبقالة والمواد الغذائية .

- هل هناك فندق في المدينة ؟

تكلم علاء الانكليزية ولكنه ردد كلمة "هوتيل" بالإنجليزية والفرنسية لعل السائق يفهم مراده ، تكلم السائق بجملة طويلة فهموا منها بضع كلمات عرفوا منها انه فهم مرادهم.

لم يكاد السائق ينهي كلامه حتى بدت لافتة كبيرة الى جانب الطريق تشير الى فندق توقف السائق قربها ، كان على جانب الطريق فندق مكون من طابقين له واجهة انيقة ، اشار السائق الى الفندق ليؤكد لهم انه اوصلهم الى مقصدهم.

نزل الثلاثة و اخرج "علاء" نقودا واعطاها للسائق الذي حاول رفضها ولكن "علاء" وضعها له في جيبه و شكر السائق "علاء" ، ثم انطلق.

حمل الثلاثة اغراضهم وقبل ان يصلوا الى باب الفندق فتحت الباب وخرج رجل يلبس بزة انيقة تفاجأ بها الفريق مع لهجة عربية واضحة "اهلا وسهلا" و اضاف كلمة "مرحبا" بالإنجليزية والفرنسية. رد "علاء" و "احمد" التحية بالإنجليزية فيما اسرع الرجل بأخذ الحقائب من يد "علاء" و "نوال" ، استسلم الاثنان لسرعة الرجل واستمر يرحب بهم بالإنجليزية بعد ان ادرك ان هذه لغتهم وقادهم الى الداخل ، ما أن عبروا الباب حتى اقبل الحمال فاخذ الحقائب من الرجل الذي سلمها له واشار اليهم ليرافقوه الى مكتب صغير.

- اهلا بكم في فندقي ، فندق "المرجان".

قال ذو البزة بعد ان جلس خلف المكتب الصغير الموجود في الغرفة وجلس الثلاثة أمامه على الكراسي المقابلة.

– اسمي "صالح" وانا مالك الفندق .. ارجو ان تتمتعوا بالإقامة في فندقي.

– نشكرك على طيب الاستقبال.

أجابه علاء.

– هل انتم سياح ؟

– كلا ، نحن فريق تابع لمنظمة طبية انسانية. نادني "والتر" ، واعرفك بالدكتورة "جين" ورفيقنا في الرحلة "البرت".

مشيرا الى نوال و احمد للتعريف بهما.

- اهلا بكم في اقليم الساحل الغربي .. ارجو ان تعطوني جوازاتكم لأسجل اسمائكم وبعض المعلومات .. تعلمون انه اجراء روتيني.

اخرج الثلاثة جوازاتهم وسلموها الى "صالح" الذي فتح حاسوبه واخذ ينقل بعض البيانات من كل جواز على حدة.

اخرج "علاء" من جيب قميصه دليلا يحوي معلومات تعريفية عن المنظمة الانسانية وعن نشاطاتها المختلفة ، واعطاها لصالح الذي نظر بسرعة اليها وهو يعيد الجوازات الى الثلاثة.

- لقد اهتمت منظمتنا بأخبار انتشار وباء في الاقليم ، وارسلتنا لمعرفة مدى انتشار الوباء... هل يوجد مصابين في هذه البلدة.
- لا اعرف حقيقةً ولكن حسب معلوماتي لا يوجد وباء في البلدة.

كانت هذه المعلومة مخيبة للآمال. تجاوز علاء الأمر فطلب تأجير شقتين احداها له و لأحمد والثانية لنوال وطلب اعداد وجبة غداء مشبعة لهم ، ادرك الفريق ان الفندق فارغ بسبب ظروف المنطقة و علموا من "صالح" انه سابقا كان يعج بالسياح.

صعد الثلاثة الى غرفهم ومعهم الحمال ، ما ان خرج الحمال حتى رقد "احمد" على الفراش فيما قام "علاء" بدورة سريعة في الجناح مدققا بنظرة فاحصة في اركانها وفي الاثاث والجدران خوفا من وجود اجهزة تجسس او مراقبة ثم اخرج هاتفه المحمول الذي هو عبارة عن مجموعة من الاجهزة المدمجة والمموهة بشكل هاتف ذكي ، شغل "علاء" الجهاز وفعّل نظام

كشف اجهزة التجسس واخذ يدور به في ارجاء الغرفة ، كانت النتيجة سلبية ، ثم القى نظرة شاملة من النافذة قبل ان يجلس للراحة.

كانت الساعة الثانية عشر ظهراً عندما نزل "علاء" و "احمد" الى مطعم الفندق الصغير ، كان الفندق خاليا الا من مدير الفندق وبواب الفندق ما ان رآهم المدير حتى اسرع اليهم فاستفسر منهم فطلب "علاء" منه وجبة الغذاء لهما في المطعم و وجبة للدكتورة في غرفتها.

كان "علاء" يتكلم مع ابتسامة عريضة ، وبدا اكثر مرحا مما كان سابقا كأن ذلك جزء من اسلوب تنكره.

بينما اسرع المدير الى الخادم ليستعجل الطلبات بينما جلس الاثنان الى مائدة في طرف المطعم.

"علاء"– من الجيد انه مطعم خالي وهادي.

– ولكن الا يشعرك ذلك باننا اصبحنا محط اهتمام المدير ؟

– ذلك هو الامر السيء ، لا بد اننا الغرباء الوحيدين في البلدة ولا بد ان خبر وصولنا سينتشر بسرعة.

– هذه البلدة تبدوا هادئة وبعيدة عن مناطق الصراع.

– يبدوا ذلك ... عندما يأتي المدير سأحادثه واحاول معرفة المزيد منه.

بعد قليل جاء المدير وبرفقته الخادم وهو يحمل قسم من الاطعمة التي طلبوها ووضعها على طاولتهم.

– ستجهز الوجبة بعد قليل.

– سيد صالح ، ارجو ان تنظم الينا.

اعتذر الرجل ظنا منه انه قد حدث خطأً ولكن علاء استدرك الامر وبين له ان كل شيء على ما يرام فجلس الرجل وقد بان على وجهه الارتياح.

– سيد "صالح" ، نحن نود ان نتعرف على الوضع الانساني والصحي في الاقليم ولابد انه لديك معلومات عامة تستطيع ان تفيدنا بها.

– كما ترى سيدي ، نحن منطقة فقيرة وكنا نعتمد على السياحة وعلى حركة النقل بين الموانئ في الجنوب والشمال و على حركة المسافرين والشاحنات من الحدود الجنوبية وبالعكس .. وعندما فرض الحصار انقطعت هذه الموارد وارتفعت الاسعار وقلت البضاعة واصبح الحصول على النقود والطعام صعبا لذلك هاجر كثير من الناس الى جنوب البلاد والى الدول المجاورة .. اما الادوية فقد ارتفعت اسعارها واصبحت نادرة .. ثم بدأنا نسمع انتشار الوباء في المدن الاخرى وان هناك من بدأ يموت بسببه .. ونحن نعيش بأمل ان تُحل الازمة بسرعة والا فقد نضطر الى الرحيل ايضا.

– هل هناك فرق طبية أو اغاثة في الاقليم ؟

– لا اعلم يا سيدي ولكن ازدياد شراسة المعارك جعلت جميع البعثات والاجانب يغادرون المنطقة خوفا على حياتهم.

– هل لديكم مشفى في هذه البلدة ؟

– لدينا مشفى صغير.

– هل نستطيع ايجاد سيارة لاستئجارها مع سائقها ؟

– طبعا .. متى تحتاجونها.

نظر علاء الى ساعة يده بسرعة ثم قال:

- هل تستطيع ان تجهزها في الثالثة بعد ظهر اليوم.
- ان شاء الله.

شكر "علاء" "صالح" واستأذن "صالح" وانسحب بأدب.

اكمل "علاء" و "احمد" غداءهما وصعدا الى غرفة "نوال" ، حيث اخبرها علاء بما اتفق عليه مع مدير الفندق وموعد قدوم السائق.

***

البحث عن الوباء:

في الثالثة نزل الثلاثة من غرفهم الى بهو الفندق فاخبرهم البواب ان السيارة تنتظرهم ، كانت سيارة جيب ذات دفع رباعي و قُربها كان "صالح" وشاب انيق في العشرين من عمره يقفان ويتحدثان ، سلم الثلاثة على الرجلان وعرّف "صالح" الشاب باسم "ادريس" تكلم "ادريس" معهم بالإنجليزية و رحب بهم بابتسامة عريضة ، كان شاباً ذو وجه باسم ومريح ، ركب الجميع و وقف "صالح" مودعا لهم.

طلب "علاء" من "ادريس" ان يوصلهم الى مشفى المدينة ، وصلوا الى مبنى محاط بسور اصفر مع مبنى صغير في وسطه ، دخلوا يقودهم "ادريس" ، كان مبنىً مزدحماً بالمراجعين ، قادهم "ادريس" عبر صفوف الناس الى الداخل ، كانت هناك عيادة مكتظة بالمرضى الذين ينتظرون دورهم للفحص من قبل

دكتور المشفى ، بعد ان قام "ادريس" بحملة من التعريف والشرح استطاع الدخول الى العيادة فيما كان الناس ينظرون بريبة واستغراب الى هؤلاء الغرباء القادمين ليتجاوزوا الطابور الطويل ، لضيق المكان طلب "ادريس" منهم الانتظار خارج غرفة الفحص فيما دخل الى الغرفة وخرج بعد ثواني مع رجل يناهز الخمسين من عمره ارتدى صدرية طبية وقد بدا عليه الاهتمام وهو يصغي الى "ادريس" بانتباه ، عرّف "ادريس" الطبيب على الفريق وعرفه لهم بالدكتور "علي".

بادره علاء بالقول:

- حضرة الدكتور نحن من مؤسسة طبية عالمية ونود ان نستطلع الوضع الانساني في البلدة ونعرف احتياجاتكم الطبية.
- من اي مؤسسة انتم ؟
- من مؤسسة اطباء عبر العالم ، مقرنا الرئيسي في الولايات المتحدة ونحن جئنا من فرع المؤسسة في لندن .

قال "علاء" ذلك وهو يسلم الدكتور مطوية تعريفية بالمؤسسة كما اراه هويته وتابع :

- اقدم لك الدكتورة "جين طومسون" من المؤسسة.

انسحب "علاء" ليسمح لنوال لتتقدم وتتكلم مع الدكتور.

عرّفت "نوال" نفسها للدكتور واختصاصها الطبي ثم سألته عن الوضع الانساني والطبي في البلدة وعن الحاجات الطبية للمشفى.

اخذ الدكتور يشرح لنوال الوضع الصحي في البلدة و احتياجات المشفى ، ثم طلبت "نوال" منه قائمة بما يحتاجه من مواد طبية ، فبحث في جيوبه عن ورقة فناولته نوال بسرعة دفتر صغير وقلم فشكرها ثم اخذ يكتب قائمة من الكلمات ثم يقف بين حين وآخر ليتذكر المواد الضرورية التي يحتاجها المشفى.

اكمل القائمة ثم سلمها الى الدكتورة "نوال" ، التي استفسرت منه:

- **دكتور ما هي معلوماتك عن الوباء المنتشر في الاقليم ؟**
- **ليس عندنا اصابات هنا و ليس عندي معلومات دقيقة عنه.**
- **اين نستطيع ان نحصل على معلومات اضافية عن هذا الوباء؟**
- **في بلدة "الواحة" سمعت أن هناك اصابات كثيرة وتستطيعين معاينتها.**
- **هل لديك هناك من يستطيع مساعدتنا في الحصول على معلومات عن المرض ؟**
- **اعذريني لا اعرف احد هناك.**

شكرته "نوال" وانسحب أفراد الفريق وتباحثوا بينهم.

"نوال" – يجب ان نذهب الى الواحة.

- **يجب ان نتريث ربما الوضع الامني خطير هنالك.**
- **ان مهمتنا الرئيسية هي جلب عينة من الفايروس.**
- **يجب ان ندرس الامر جيدا وسنقرر بعدها.**

دار الحوار بين "علاء" و "نوال" و التزم "احمد" الصمت فقد كان نقاشا بين رئيس الفريق والشخص الثاني في الفريق الذي يتولى الجانب العلمي ، و رأى "احمد" انه بصفته عنصر حماية واسناد للفريق فعليه ان ينتظر نهاية النقاش و سماع قرارهم النهائي.

قرر "علاء" الرجوع الى الفندق وفي الطريق سأل "علاء" "ادريس" :

- **كم تبعد مدينة الواحة عنا ؟**
- **ما يقرب من ساعة.**
- **كيف الوضع الامني هناك ؟**
- **البلدة يسيطر عليها الثوار ولكنها بعيدة عن مواقع الاشتباكات وآمنة نوعا ما.**
- **نحن نريد التعرف على الواقع الصحي في البلدة ومعاينة المصابين بالوباء.**
- **ان مهمتكم انسانية وقد رأيت كيف اهتم بكم الدكتور "علي" واعتقد انهم هناك سيرحبون بكم ايضا.**
- **هل تستطيع ان توصلنا غدا صباحا الى بلدة الواحة ؟**
- **نعم بالتأكيد.**

عند وصولهم دفع "علاء" اجرة "ادريس" ، ودخل الفريق مطعم الفندق.

اسرع اليهم الخادم وسأل عن طلباتهم ، ثم ذهب ليجلبها.

"علاء" – يجب ان نقرر ذهابنا من عدمه.

"نوال" – عدم ذهابنا الى هناك معناه فشل المهمة وسنعود من هذه الرحلة الطويلة بخفي حنين.

– ولكن يجب وضع خطة دقيقة لتأمين ذهابنا ورجوعنا.

"احمد" – يجب ان نختصر وقت ذهابنا الى تلك البلدة الى اقل وقت ممكن.

– سأرفع درجة الخطورة والاستعداد.

نوال – سنرجع ما ان نحصل على العينة ونتحقق من حجم الاصابات.

– يجب ان تقومي بذلك في وقت سريع جدا .. حددي منذ الان خطواتك وحتى الاسئلة التي ستطرحينها.

فجأة ظهر "صالح" بوجه مبتسم وسلم عليهم فرحبوا به وطلب "علاء" منه الجلوس معهم ، كان "علاء" يحتاج الى معلومات اضافية وقد استقرأ في "صالح" نوعا من الرجال الذين خبرتهم الحياة وصقلتهم في بوتقتها ، واراد ان يحصل منه على رأي بشأن الذهاب وخاصة انه من اهل البلاد واعرف بهم وبطباعهم وبتاريخ الثوار وتصرفاتهم.

– سيد "صالح" .. نود الذهاب الى مدينة الواحة للاطلاع على الوضع الصحي في المدينة .. واود ان اعرف رأيك في الوضع الامني هناك .. انت من اهل البلد واكيد لديك تصور عن ذلك.

في هذه اللحظة اختفت الابتسامة العريضة من وجه "صالح" وقطب جبينه وظهر عليه الاهتمام ، وبدا كوالد يسأله اولاده النصيحة. استغرق "صالح" لحظات من التفكير قبل الاجابة.

- في الحقيقة لا انصحكم بالذهاب الى هناك .. الوضع غير مستقر والثوار بعضهم متشددون ومرتابون .. وانتم اول اجانب تظهرون في المنطقة منذ اشهر .. لا اعتقد انه من الصواب الذهاب الى هناك .. اعلم ان واجبكم انساني ولكن هناك من لا يعبأ بذلك.

زاد هذا الرأي قلق الفريق وعلى رأسهم "علاء" فهو قائد المهمة ونجاح المهمة وسلامة فريقه هو مسؤوليته ، فكر "علاء" قليلا قبل ان يقرر.

- سأذهب وحدي في البداية لأتأكد من الوضع الامني في البلدة واذا كانت الامور على ما يرام سأرسل اليكم "ادريس" ليجلبكم.

لم يتحرج "علاء" من قول ذلك امام "صالح" فهم تحت عينيه بحكم انهم يسكنون في فندقه وان سائقهم "ادريس" هو قريبه لذلك فان عدم اخباره سيكون مثيرا للشك ، كما ان عليهم ان يتصرفوا كفريق علمي في مهمة ذات طابع انساني.

- أدعوا الله لكم ليحفظكم. قال صالح.

شكر "علاء" "صالح" على نصيحته ، ثم سلم عليه واشار الى زميليه للقيام ثم صعد الثلاثة الى غرفهم.

في الغرفة فتح "علاء" جهاز الارسال الخاص وارسل رسالة مشفرة مختصرة الى المقر الرئيسي واشار فيها الى رفع درجة الاستعداد الى الصفراء.

كانت الدرجة الصفراء معناها الانتقال من الوضع الصامت الى وضع الانصات حيث سيتم تفعيل اجهزة تحديد المواقع المزروعة في ملابسهم مما سيسمح لمقر القيادة الرئيسية مراقبة تحركات افراد الفريق مباشرة.

****

الى الواحة:

حضر "ادريس" في اليوم التالي مبكرا وفقا لطلب "علاء" حيث انطلقوا بالسيارة الى مدينة الواحة.

اخبر "ادريس" علاء ان الوصول الى بلدة الواحة يستغرق اكثر من ساعة. وجد علاء في ذلك فسحة من الزمن للحصول على معلومات اكثر من "ادريس" .

سأل "علاء" :

- **علمت ان الوضع كان مستقرا في الاقليم وآمن لماذا ساءت الامور فجأة ؟**
- **سيدي ، الاقليم منذ عشرات السنين لم يستقر حاله فالحكومة لا تلبي مطالبنا و الشعب ما زال مصرا على الاستقلال .. والثوار عندما يحصلون على السلاح يبدؤون بالحرب في امل انتزاع الاستقلال بالقوة وعندما تنتهي مواردهم ، بعضهم يهرب الى البلدان المجاورة وبعضهم يتصالح مع الحكومة... وهكذا.**
- **والناس البسطاء هم من يتحملون تبعات هذه الحروب كالعادة.**

- **قبل شهور كان الوضع جيدا ، كان عمل السياحة مزدهراً وكانت الاعمال جيدة ، فجأة ظهر الثوار من جديد واشعلوا الحرب ، والحكومة اقامت حصارا شديدا ومنعت عنا كل شيء .**
- **وكيف تعيشون ؟**
- **التجار والمهربون يأتون بالبضائع من الدول المجاورة ولكن بأثمان مرتفعة آذت الناس ، ومع انقطاع السياحة توقفت معظم الاعمال وزادت المعاناة.**
- **اذن كيف يستطيع الفقراء والكسبة من الحصول على الطعام ؟**
- **معظم العائلات الفقيرة هاجرت أو ارسلت ابناءها للعمل في المناطق المجاورة.**
- **لكني لم ارى مسلحين في "الداخلة" ، والوضع كان هادئاً .. لماذا ؟**
- **المسلحون بقوا بعيدين عن الساحل لان الحكومة تمتلك قوة بحرية وسفن تستطيع بها قصف الساحل لذلك بقوا بعيدين عنه .. ولكن ليس كثيرا ، فهم موجودون في بلدات قريبة من الساحل.**

وصلت السيارة الى مشارف بلدة "الواحة" وهناك شاهدوا مجموعة من المسلحين يرتدون ملابس عادية ويعتمرون غطاء الرأس الوطني لسكان الاقليم.

كان المسلحون يسدون الطريق مكونين حاجزا لتدقيق الداخلين الى المدينة ولحراسة مدخل البلدة من قوات الحكومة ، اوقف المسلحون السيارة و تقدم

احدهم وسأل "ادريس" عدة اسئلة ونظر الى "علاء" بحذر بسبب سحنته الغريبة عن أهل المنطقة و جرى الحديث باللهجة المحلية غير ان "علاء" استطاع أن يفهم ان "ادريس" كان يجيب عن اسئلة بخصوصه وعن سبب تواجده و سبب مجيئه للمدينة و ان "ادريس" يحاول الاجابة عن تلك الاسئلة بشكل صريح و يشرح عن سبب وجود "علاء" ويبين إنه عضو في البعثة الانسانية التي تود زيارة المدينة والتي تحاول تقديم المساعدة.

بعد عدة دقائق من الاسئلة والاجوبة ، ذهب المسلح وتكلم مع زملائه ثم اخرج احدهم جهاز اتصال واجرى مكالمة هاتفية ثم تقدم الى "علاء" والهاتف مازال في يده و تحدث بلهجة محلية طالبا منه جواز السفر ، لم يفهم "علاء" كلامه ، ولكن "ادريس" طلب منه تسليم جوازه الى المسلح ، اخرج "علاء" الجواز واعطاه الى المسلح ، ابتعد المسلح قليلا وقلّب في الجواز ، عاد المسلح يتكلم بالهاتف ويتلقى تعليمات لتدقيق الجواز وكان يجيب عن استفسارات تُطلب منه ، بدا من الواضح انه طُلب منه التأكد من مصدر الجواز ومن تأشيرة الدخول فقد ركز برهة على العلامات المطبوعة على الجواز وقلّب في معظم اوراق الجواز.

بعد ان اطال المسلح التحدث في الهاتف اغلق الجهاز ووضع الجواز في جيب قميصه ، اقترب من جانب "علاء" وتكلم مع "ادريس" فترجم "ادريس" ذلك لعلاء:

– سيحتفظ بالجواز لحين خروجنا من المدينة .. ويجب ان ننزل للتفتيش.

فتش المسلحون "علاء" و "ادريس" عند نزولهم من السيارة بسرعة، ثم سمحوا لهم بالركوب والانطلاق.

فكر "علاء" في حال المسلحين ، كان تصرف المسلحين والتوجيهات التي كانوا يتلقونها عبر الهاتف تنم عن حس امني جيد وحذر لذلك يجب اخذ الاحتياطات اللازمة ، دخلت السيارة المدينة وطلب "علاء" من "ادريس" التوجه مباشرة الى مشفى البلدة ، و بسبب صغرها وخبرة "ادريس" في هذ المناطق فقد وصلوا الى المشفى بسرعة وهناك التقوا بمديرها الدكتور "عبد الصمد" الذي رحب بهم.

شرح لهم "عبد الصمد" الوضع الصحي في البلدة وامكانيات المشفى المحدودة وحاجتها الى المواد الطبية وكان "علاء" يصغي بانتباه حتى تكلم "عبد الصمد" عن الوباء الذي ينتشر هناك وان المشفى بإمكاناته البسيطة المحدودة لا يستطيع استيعاب العدد الكبير من المصابين وان الاطباء فيه لا يستطيعون تحديد نوع المرض او علاجه و تكلم ايضا عن المصابين بالوباء الذين يعالجون في المشفى وكيف ان بعضهم حالتهم تدهورت وان حياتهم في خطر.

"علاء" – دكتور ، زميلتي في الفريق دكتورة "جين" ، هي طبيبة متخصصة في علم الاوبئة فهل استطيع احضارها لمعاينة المرضى والكشف عن هذا الوباء.

– ارجو ذلك فقد تساعدنا في انقاذ حياة المصابين أو في تحديد نوع الوباء.

– حسنا الدكتورة موجودة في مدينة "الداخلة" سأذهب واحضرها الى هنا ، ولكن دكتور هل تستطيع الاتصال بقادة المسلحين في البلدة ليسهلوا مهمتنا في الدخول والخروج الى البلدة ، فقد تم تفتشينا وتأخيرنا اثناء الدخول.

– اعذرني ، انا ليس عندي علاقة مباشرة معهم واحاول تجنبهم.

ادرك علاء انه لا فائدة من اطالة الحوار مع الدكتور "عبد الصمد" فودعه على ان يلتقي به هو والدكتورة "جين" في وقت آخر من النهار.

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحا وقد اعتقد "علاء" انه يستطيع الذهاب الى مدينة الداخلة وجلب الدكتورة ومن ثم العودة بها قبل حلول الظلام وخصوصا ان الطرق غير مزودة بأعمدة اضاءة ، اتصل "علاء" بنوال وناقش معها الامر و استفسر منها عن الزمن الذي تحتاجه لمعاينة المرضى واخذ العينات ، فاطمئن الى ان الوقت المفترض يكفي للرجوع قبل الليل ، عند ذلك طلب من "ادريس" ان يسرع به الى مدينة "الداخلة".

اثناء خروجهم من البلدة مرت السيارة بمجموعة المسلحين حيث استرجع علاء جوازه منهم. في الطريق كان "علاء" يفكر في الساعات القادمة وفي الخطوات المثلى والاحتياطات اللازم اتخاذها ، وصل "علاء" الى الفندق حيث كانت "نوال" تنتظره مع حقيبتها العلمية ومعها "احمد" في بهو الفندق.

طلب "علاء" من "احمد" البقاء في الفندق لحماية معداتهم في الفندق والبقاء على استعداد في حال حاجتهم اليه ، كان ذلك قرارا مفاجأً اتخذه "علاء" في طريق العودة.

استقل "علاء" و "نوال" السيارة لينطلقوا الى بلدة "الواحة" من جديد وعند وصولهم الى البلدة ، مروا بالمسلحين انفسهم حيث اعطوا جوازاتهم اليهم كما حدث في المرة الأولى.

وصلوا الى المشفى والتقوا بالطبيب "عبد الصمد" حيث رحب بنوال و "علاء" و قادهما الى ردهة المصابين ، كان ممراً مزدحما بالأسرة ، كان بعضها قد وضعت بدون ترتيب على عجل ، كانت الردهة تحوي ما يقرب من ٤٠ مريضا.

بدأت دكتورة "نوال" بتفحص احدهم وبدأت تناقش حالته مع دكتور "عبد الصمد" وبكثير من المصطلحات الطبية التي لم يستطع "علاء" فهم اكثرها ، كان الاهتمام باديا على وجه "نوال" اثناء الكلام ومن ثم انتقلوا الى مريض آخر تبدوا حالته اسوأ ، ثم استأذنت من الدكتور "عبد الصمد" لأخذ عينات من دم المرضى ففتحت حقيبتها ثم استخرجت انابيب ومحاقن طبية وأخذت بها عينات من دم ثلاث مصابين ثم وضعتها في جهاز الكتروني متطور تحمله في حقيبتها خاص بفحص البصمة الجينية للفايروسات والتعرف عليها.

قامت "نوال" بتسجيل النتائج ، ثم اخرجت حقيبة صغيرة من الادوية واعطتها للدكتور "عبد الصمد" وتناقشت معه عن ادوية فيها واقترحتها كعلاج مؤقت لعلاج الحالات المتقدمة.

أشار "علاء" لها بان تسرع بإنهاء عملها وهو يرى أنها تستغرق في المناقشات ولا تعير انتباها للوقت، خرج الاثنان بعد ان ودعا مدير المشفى وركبا مع "ادريس" الذي ينتظرهما في السيارة .

***

تطور خطير:

انطلقت السيارة الى خارج المدينة ومرت بمجموعة المسلحين حيث اخذ "علاء" و "نوال" جوازيهما واستمرت السيارة في طريق العودة ، كانت "نوال" مسرورة لنجاح المهمة وكانت مستغرقة في كتابة تقريرا موجزا الى القيادة بالنتائج التي توصلت اليها بعد فحص عينات دم المرضى والمصابين بالوباء.

كتبت "نوال" تقريرها برسالة الكترونية على جهازها المحمول وبعثتها مباشرة الى مقر العمليات وذلك حسب التعليمات.

استمرت السيارة تسير في طريقها قبل ان تظهر فجأةً عربة مسرعة خلفهم ، كانت سيارة حمل صغيرة تحمل مسلحين ، استمر "ادريس" في قيادته وتنحى بالسيارة الى جانب الطريق وافسح المجال للسيارة المسرعة ، مرت السيارة قربهم ثم توقفت فجأة في وسط الطريق معترضة طريقهم و المسلحون يلوحون بالأسلحة في وجه "ادريس" و يطلبون منه التوقف ، اوقف "ادريس" السيارة على عجل ، فقفز المسلحون من سيارتهم وساروا باتجاه السيارة مصوبين اسلحتهم باتجاه من فيها واخذ "ادريس" يترجم كلامهم.

– انهم يطلبون منا الترجل من السيارة ورفع ايدينا.

ترجل الجميع ورفع "ادريس" و "علاء" ايديهما امام الحاح المسلحين الغاضبين. قام احدهما بتفتيش "علاء" واخذ منه جهاز الاتصال وجواز السفر ، حاول "ادريس" التفاهم معهم ولكن الردود الغاضبة اقنعته بالسكوت ، تقدم احدهم اتجاه "نوال" وطلب منها اعطاءه جواز سفرها و ما تحمل من اجهزة ، سلمته "نوال" ما طلب منها ثم نظر داخل السيارة واخذ حقيبتها ، طلب المسلحون بعد ذلك من الثلاثة الصعود الى حوض السيارة الخلفي و الجلوس فيه ثم صعدوا هم وبنادقهم و وقفوا يحيطون بهم.

حاول "علاء" التكلم مع "ادريس" ليتكلم مع المسلحين ليفهم منهم سبب اعتقالهم ، لكن احد المسلحين صرخ به ليمنعه من التكلم فآثر الصمت .

ادرك "علاء" ان تطورا مفاجئا قد حصل جعل الثوار يقبضون عليهم وأن ما كان يخشاه قد حدث وانهم يواجهون خطرا حقيقياً. عندما شعر "علاء" بأن الخطر قد بلغ درجته القصوى ضغط على فص خاتمه لثواني ، كان خاتما خاصا يحوى جهازا الكترونيا دقيقا ، كانت هذه الضغطة كافية لتفعيل نظام الطوارئ .

كان نظام الطوارئ يشمل تفعيل اجهزة تحديد المواقع والاجهزة المزروعة في ملابسهم ويرسل اشارة تنبيه الى مقر القيادة على بعد الاف الكيلومترات لينذر بوقوع خطر حقيقي ، كانت الاجهزة تسمح لمقر القيادة سماع ورؤية ما يجري بمحيط زملائه بواسطة كاميرات دقيقة و لاقطات صغيرة موجودة في النظارات الشمسية التي يرتدونها ومع تفعيل ادوات ارسال خاصة فيها.

كان هناك ستة رجال من المسلحين بعضهم يحيطون بهم والبعض الآخر في السيارة ، لذلك قرر "علاء" التريث والانتظار فربما هناك سوء فهم ، و إن اية محاولة للتصرف بشكل متسرع قد تؤدي الى عواقب وخيمة خصوصا مع كثرة المسلحين والسلاح الموجه إليهم.

ما ان وصلوا المدينة حتى قام المسلحون بتغطية عيونهم بعصائب فيما بقيت ايديهم حرة. استمرت العجلة بالسير وكل ما يعرفه المعتقلون انهم في وسط المدينة وهم يسمعون اصوات حركة السيارات و المارة.

فجأة توقفت السيارة واحس "علاء" بشخص يمسكه من ذراعه ويجبره على الوقوف والنزول من السيارة ، كان "علاء" يحاول معرفة مكان "نوال" من الاصوات التي يسمعها حوله. تم اقتيادهم مسافة تقرب من عشرين مترا ثم سمع علاء صرير باب يفتح ، ثم ادخلوهم الى بناء ما ، حيث اغلقت الباب ، أُجلس على كرسي وتم تقييد يديه خلف ظهره ومن ثم رُفع الغطاء عن عينيه ، شاهد غرفة صغيرة جدرانها قديمة ليس فيها الا طاولة صغيرة وعدد من الكراسي.

كان "علاء" و "نوال" مربوطين الى كرسيين خشبيين فيما لم يكن "ادريس" معهم ووقف تجاههم مسلحان محليان قرب الباب. بعد دقائق من الهدوء فُتحت الباب ودخل رجل يلبس ملابس مرقطة أشبه بالملابس العسكرية وقد ارتدى غطاء الرأس المحلي وقد اسدل قطعة منها لتخفي رقبته وذقنه وقد ارتدى نظارات شمسية فكان معظم وجهه مخفيا وبدا انه المسؤول عن

المسلحين، جلس خلف الطاولة بينما وقف المسلحان خلف ظهره ، دخل مسلح من خارج الغرفة وسلمه الجوازات والاجهزة والاوراق التي اخذها المسلحون سابقا من "علاء" و "نوال"، قلّب الرجل في الاوراق و الجوازات باهتمام.

– من اين انتما ؟

– نحن انكليز نعمل في منظمة انسانية.

– وكيف دخلتما البلد ؟

– دخلنا بصورة رسمية عبر مطار العاصمة.

نظر الى علاء بنظرة غاضبة وقال بصوت غاضب :

– و كيف دخلتم الى اقليم الساحل ؟

– استأجرنا قارباً ليلا من مدينة "الجبل" ونزلنا قرب مدينة "الداخلة".

– وكيف لم تعترضكم زوارق خفر السواحل ؟

– الصياد الذي استأجرناه استطاع أن يجنبنا خفر السواحل.

صمت الرجل قليلا وكأنه استنفد الاسئلة واقنعته الاجوبة ، ثوان وخرج حاملا معه الجوازات والاوراق وبقي الحارسان.

تبادل "علاء" و "نوال" النظرات وقال "علاء" لها:

– لا تخافي سنخرج من هنا بسلام.

قال "علاء" ذلك بطريقة تنم عن ثقة ليبعد عن "نوال" الخوف.

***

احمد يتحرك:

قبل اكثر من ساعة كان "احمد" يشاهد برامج التلفاز وقد اعتقد ان هذه المهمة قد شارفت على النهاية بسلام فقد ذهب "علاء" مع "نوال" ولابد انهم نجحوا في جلب عينات الدم المطلوبة وتعرفوا على نوعية الوباء المنتشر في الاقليم ، و لكن فجأةً اثناء تلك الجلسة الهادئة لأحمد اهتزت ساعة يده منذرةً بخطبٍ ما ، نظر الى ساعته وضغط على احد جوانبها لتتغير شاشة الساعة الى شاشة حمراء تلمع بصورة متقطعة ، كانت هذه الاشارة تنذر ان المهمة انتقلت الى الانذار الاحمر اي ان الخطر في اعلى مستوياته ، ضغط "احمد" على الشاشة فاختفى اللون الاحمر وبدأت الشاشة تبث صور مباشرة لكاميرة خفية موضوعة في نظارات "نوال".

كانت اللحظات الاولى من الصور الحية غير مفهومة فهناك اقدام في كل مكان ، فهم "احمد" سريعا ان "نوال" كانت تنظر الى اسفل وانها جالسة على الارض فيما يحيطها عدد من الرجال ، لم تكن أرضا بل حوض سيارة حمل، بدأت الصورة تتحرك ، نظرت "نوال" الى "علاء" الجالس قربها ثم الى "ادريس" ثم ظهر رجال مسلحين واقفين حولهم.

اكتفى "احمد" بهذه اللقطات واسرع الى حقيبة المعدات واخرج حاسب محمول صغير خاص بالفريق مجهز بأنظمة امنية للمتابعة وشغله فأنارت الشاشة وبلمسات خفيفة ظهرت خارطة المنطقة ، واظهر برنامج تحديد المواقع التحركات السابقة لأفراد الفريق والتحرك الاخير لعلاء و "نوال" ،

كان البرنامج يشير الى انهما عائدين الى بلدة الواحة بعد خروجهما منها ، اخرج "احمد" من الحقيبة جهاز صغير وضعه في اذنه واخرج هاتفه المحمول وضغط عدة مفاتيح وبدأ الجهاز يلتقط من لاقطات صغيرة في ملابس "علاء" و "نوال" الاصوات المحيطة بهما.

ادرك "احمد" ان "علاء" و "نوال" قد تم اعتقالهما في طريق العودة من قبل المسلحين ، كان "احمد" هو الشخص المكلف بحماية الفريق وواجبه حماية زملائه في وقت الخطر.

كان "احمد" يعلم ان مركز العمليات قد وصلته اشارة الانذار نفسها التي وصلته ، لذلك قرر "احمد" ان يعمل بسرعة بانتظار ان تأتيه اوامر جديدة من القيادة ، حزم "احمد" الحقائب وجمع جميع الامتعة والمعدات ، نزل "احمد" من غرفته ، كان عقله يعمل بسرعة ، قرر ان يحصل على سيارة قوية للذهاب في اثر زميليه في حال صدرت الاوامر له بالتحرك.

سأل "احمد" صاحب الفندق عن معرض للسيارات يستطيع فيه شراء سيارة ، فارشده الى معرض قريب ، فأسرع "احمد" اليه ماشيا وفي الطريق رن هاتفه كان الرقم معروفا له . كان اتصال من القيادة يطلب منه اتخاذ ما يلزم لتعقب زميليه و ايجادهما.

استمر "احمد" يتابع عبر سماعة الاذن المتصلة مع جهازه المحمول ، الاصوات التي تأتي من مكان زميليه ويتوقف بين فترة واخرى ليطالع الصور الواصلة من كاميرة "نوال".

في المعرض ، استطاع "احمد" ان يحصل على سيارة جيدة رباعية الدفع ، بعد ان جربها وتأكد من كفاءتها دفع ثمنها ثم انطلق بها ليملأ خزانها بالوقود.

وبسبب ملامحه و شكله المميز الغريب عن ملامح أهل المنطقة ، ذهب "أحمد" الى سوق شعبي واشترى ملابس شعبية و كذلك مجموعة ادوات تجميل لينجز بها فكرته ، عاد بالسيارة الى الفندق وصعد الى غرفته وهو مازال يتابع الاحداث عبر سماعة الاذن.

فتح الجيوب السرية في حقائبه واخرج اجزاء الاسلحة واعاد تجميعها فاصبح عنده مسدسان إضافةً الى عدد من القنابل الصغيرة كانت مخبأة فيها ، في تلك اللحظات انتبه الى الاحداث الخطيرة التي تجري في مكان تواجد زميليه، بدأ يستمع الى اسئلة المسلح تطرح على زميليه ، نظر الى ساعته ورأى الصور المباشرة ، رأى ذلك المسلح ذو النظارات السوداء وهو جالس خلف الطاولة وهو يسأل "نوال" و "علاء" وهو يتفحص جوازيهما واجهزتهما المحمولة ، حول الصورة الى جهاز الحاسب اللوحي فيما بدأ "أحمد" بارتداء درع مضاد للرصاص تحت ملابسه ، شاهد "احمد" خروج المسلح من الغرفة ، لم يكن المسلح يعلم ان اجهزة "علاء" و "نوال" التي يحملها تحوي لاقطات للصوت وان حديثه كان يسمع من قبل "احمد" وقيادة الفرقة.

خرج المسلح من الغرفة خطوات ثم بدأ يتصل بواسطة هاتفه المحمول فتكلم بالإنجليزية :

– لقد قبضت على اجنبيين اخذا عينات من دماء المصابين بالفايروس.

– من اي بلد هما ؟

– يحملان جوازا سفر بريطانيان ويقولان انهما من منظمة انسانية.

– تحفظ عليهما وصور لي جوازهما وارسلها لي فورا.

– حسنا ، سأرسلها لك.

بعد ذلك انتهت المكالمة وسمع "احمد" صوت كاميرة وهي تلتقط الصور تبعها فترة هدوء.

استغرب "احمد" من الاتصال الذي اجراه المسلح فقد تكلم بلغة انكليزية جيدة و طلب تعليمات من شخص آخر على الهاتف يبدوا انه اجنبي ! كان ذلك مثيرا للتساؤل والتعجب. ادرك "احمد" ان المسلح قام بإرسال صور الجوازات الى الشخص الاخر الذي يظهر انه مسؤول عنه.

كان "احمد" يعلم إن الجوازات مطبوعة بأحدث الاجهزة الالكترونية ومطابقة للجوازات البريطانية الاصلية بصورة دقيقة ولن يستطيع سوى خبير اكتشاف تزويرها. اعتقد "احمد" ان هذه الخطوة من قبل المسلحين ستعطي الامان لزميليه وتثبت صحة هوياتهما الاجنبية وكونهما في مهمة انسانية ، فهؤلاء المسلحون لن يستطيعوا بكل بساطة كشف تزوير الجوازات وسيتأكدون انهم شخصان اجنبيان وليسا جاسوسان محليان للحكومة.

اعقب ذلك الهدوء ، صوت مبهم وصوت غريب يتكلم بلهجة محلية ولكن "احمد" استطاع فهم فحوى الكلام الدائر :

– "ابو الأسود" من هؤلاء الذين قبضت عليهم ؟

– انهما اجنبيان وسائقهما .. اطلقت سراح السائق وتحفظت على الاجنبيان لأحقق معهما واعرف سبب تواجدهما هنا.

– حسنا ولكن احذر لا نريد ان نتورط مع الدول الغربية.

– فهمت.

انتهت المحاورة بين الشخصين واستمر الهدوء لدقائق ، أدرك "أحمد" ان قائد المسلحين المسؤول عن القبض على زميليه يُدعى "ابو الاسود" ويبدوا انه قائد محلي للثوار في المنطقة.

قرر "احمد" ان يستغل الوقت ، نزل الى الاسفل وذهب الى الادارة ودفع كامل الاجور و فتح السيارة ووضع الحقائب فيها وودع صاحب الفندق وانطلق بالسيارة ، ما ان خرج "احمد" من اطراف المدينة حتى اوقف السيارة على جانب الطريق فقد انتبه الى صوت رنة المحمول تدق في اذنه ، كانت رنة جهاز المسلح "ابو الاسود" :

– نعم ماذا وجدت ؟

– جوازاتهم مزورة ، ويبدوا انهم جواسيس محترفون ، حقق معهم واعرف لأي دولة يتبعون ، واحذر ان يهربوا منك ، فهمت.

– فهمت.

كان هذا تطور مفاجئ ومقلق ، فكيف استطاع ذلك المتكلم ان يكشف جوازاتهم !

***

عاصفة من الخوف:

مرت الدقائق ثقيلة و كان "علاء" يفكر في طريقة للخروج من هذا المأزق ويدرس جميع الاحتمالات وخطورتها وامكانية نجاحها ، فكر في الاسباب التي جعلت المسلحين يقبضون عليهم بعد ان سمحوا لهم في البداية بالدخول للبلدة و الخروج منها ، لماذا غيروا رايهم في اللحظة الاخيرة وقرروا القاء القبض عليهم ، هل ارتكب هو او "نوال" خطأً اثار ريبة المسلحين ، لم يكن المسلحين على قرب منهم قط الا في بوابة الحراسة عند مدخل البلدة ولم يحدث شيء مريب هنالك ، هل كان في المشفى من شك فيهم واخبر المسلحين بشكوكه ! ، كل تلك الافكار كانت تدور في ذهن "علاء" وهو يحاول ان يجد ردوداً لأي اسئلة او استفسارات قد تُطرح عليه.

فجأة دخل "ابو الاسود" ضاربا الباب بقوة واقترب من الاثنين وصاح بقوة :

- **انتما جاسوسان ، لمن تعملا .. أجيبا ؟**
- **نحن لسنا جواسيس.**

قالت " نوال" بسرعة.

كانت رد الفعل الاسود عنيفة ومفاجأة فصفع "نوال" صفعة قوية رمت بنظارتها من وجهها وجعلتها تصرخ ، لم يتحمل "علاء" المنظر فقفز عليه وضرب برأسه صدر "ابو الاسود" فارتد الى الخلف ولكن بسبب الكرسي الذي قُيدَ

اليه فقدَ "علاء" اتزانه وجعله يقع على الارض فهاجمه احد الحراس وضربه بكعب البندقية على رأسه مما جعله يقع مغشيا عليه.

راحت "نوال" تصرخ وهي تنظر الى "علاء" وهو يُضرب ، وبدون ان تشعر تكلمت بالعربية :

– دعوه .. دعوه .

استعاد "ابو الاسود" رباطة جأشه بعد ان تفاجأ بضربة "علاء" القوية ، و أثارت انتباهه الكلمات العربية التي نقطت بها "نوال" فأشار الى الحارسين :

– احملوه الى الدكتور لا نريده ان يموت هنا.

حمل الحراس "علاء" من ذراعيه بعد أن فكوا قيده وخرجوا به من الغرفة.

اقترب "ابو الاسود" من "نوال" :

– انت تتكلمين العربية وبلهجة لا اعرفها ، اخبريني من اين انتم ؟

– نحن منظمة انسانية...

وقبل ان تكمل جملتها صفعها من جديد صفعة اقوى من سابقتها اخرجت الدم من شفتها العلوية.

– انت جواسيس عرب ، وتدعون انكم انجليز ، لمن تعلمون أجيبي ؟

– لسنا جواسيس ... أنا طبيبة و ....

و قبل أن تكمل "نوال" جملتها ، جاءتها صفعة جديدة لترميها هي والكرسي على الارض ، اطلقت "نوال" من جراءها صرخة عالية بعد ارتطامها بالأرض بشدة ، احست أثرها بألم شديد في ذراعها اليسرى ورقبتها واسنانها و لم

تستطع "نوال" السيطرة على دموعها .. تقدم منها "ابو الاسود" وبقبضة واحدة اعادها الى وضعيتها السابقة:

– لا فائدة من الكذب جوازاتكم مزورة وانتم مزورون .

اخرج من حزامه سكين وقربه من وجه "نوال".

– تكلمي قبل أن أُقطّعك بهذا السكين .. انت ستتكلمين في جميع الاحوال فتكلمي الان افضل فقد أرأف بك.

اقتربت السكين رويدا رويدا من وجه "نوال" و الثواني تمر مرعبة على "نوال" التي تكاد اعصابها و تنهار تحت الضغط .

****

الخوف من المجهول:

فجأة انفتحت الباب ، فالتفت "ابو الاسود" ودخل رجل كبير السن تحدث بشكل غاضب مع "ابو الاسود" ورد عليه "ابو الاسود" بشكل اقل حدة ! بالرغم من اللهجة الغريبة على "نوال" الا انها استطاعت ان تفهم ان الرجل الكبير سمع صراخها من خارج الغرفة و هو يرفض ضرب النساء او تعذيبهم و بدا انه من كبار قيادات الثوار فقد كان "ابو الاسود" يجادله ولكن بأسلوب مهذب نوعا ما ويحاول ان يقنعه إن "نوال" و "علاء" جاسوسان وعميلان للحكومة ، و انه يفعل ذلك لحماية الثوار والثورة ، بقي الحوار مستمرا لدقائق استعادت فيها "نوال" رباطة جأشها وحاولت السيطرة على سرعة

تنفسها ، انتهت المحاورة بنبرة حازمة من الشيخ تبعها بخروجه من الغرفة فتبعه "ابو الاسود".

بقيت "نوال" وحدها في الغرفة نظرت الى ملابسها وتأكدت ان اجزاء من جسمها لم تنكشف نتيجة الضربة الاخيرة و نظرت الى الاماكن التي تؤلمها لم يكن هناك جروح ولكنها أحست بطعم دم في فمها.

بدأت "نوال" تفكر في اللحظات التالية كانت قلقة من تكرار عملية الاستجواب و كم من الوقت تستطيع ان تتحمل إذا تعرضت للتعذيب ، اعتراها قلق شديد فراحت تردد بصوت هامس :

– يا رب انقذني.

دام الهدوء لدقائق قبل ان يدخل احد المسلحين ويحررها من الكرسي الا انه اعاد ربط يديها خلف ظهرها ثم امسكها من ذراعها يجرها الى الخارج اصبحت خارجا فنظرت حولها بسرعة ، كان المكان عبارة عن بناية من طابق واحد امامها ساحة كبيرة انتشر فيها الكثير من المسلحين وفي احد جوانبها سيارات مختلفة الانواع والاحجام.

جرها المسلح وسط حشد من المسلحين الى احدى السيارات رباعية الدفع ، كانت مفتوحة الباب الخلفي ، وهناك رأت "علاء" ملقىً في حقيبة السيارة وهو مغمى عليه ويديه مقيدة خلف ظهره ، دفعها المسلح لتصعد الى داخل الحقيبة ، وضعها مع "علاء" بعنف ثم أغلق الباب الخلفية ، كان المكان ضيقا وكان ظهرها لظهر "علاء" .

– علاء .. علاء ...

نادت نوال على "علاء" بصوت خافت محاولةً إيقاظه والتأكد على سلامته ولكن بلا فائدة فلابد ان اصابة "علاء" شديدة وربما هو في غيبوبة ، كان الباب الخلفي له نافذة زجاجية تسمح لها برؤية السماء و كانت تسمع اصوات من في السيارة اذ لا يفصلها عنهم فاصل باستثناء الكراسي الخلفية.

احست "نوال" بركوب المسلحين وقدرت انهم ثلاثة من اصوات فتح الابواب وغلقها ثم تحركت السيارة و بدأت تسير بسرعة على طريق غير معبد جيدا ، وادركت ذلك بسبب كثرة الاهتزازات التي شعرت بها والتي جعلت جسمها يصطدم بشدة بباب السيارة احيانا و بجسد علاء احيانا أخرى.

حاولت "نوال" فتح قيدها بقوة ساعديها الا ان القيد كان قويا ، واستمرت هذه الحالة الصعبة طوال دقائق عديدة ولكن فجأةً .....

رائحة الدخان الذي ملئ السيارة بسرعة ، فتوقفت السيارة بعنف.

***

تدخل سريع:

قبل وقت من ذلك ، أسرع أحمد لنجدة زملائه ، ففي الطريق الى بلدة "الواحة" توقف "احمد" على جانب الطريق ليرتدي القميص الشعبي الذي اشتراه من السوق وليلبس غطاء الرأس كما وضع بعض المساحيق على وجهه لتعطيه سمرة ، ومع النظارات اصبح شكله مشابها لأشكال أهالي المنطقة.

وضع "احمد" جهازه المحمول امامه على لوحة السيارة وفعّل جهاز الملاحة الالكتروني الذي يظهر خارطة الطريق الى بلدة "الواحة" بالإضافة الى علامات كانت يظهرها جهاز التتبع تدل على مكان وجود "علاء" و "نوال" على الخريطة.

سار "احمد" متبعا الخريطة وفي الطريق انتابته موجة غضب عندما سمع "ابو الاسود" يضرب "نوال" وصرخاتها المتكررة واصوات ارتطام الاجسام بالأرض ، ثم تحول الغضب الى قلق عندما ساد الهدوء للحظات و كانت ردة فعله أن ضغط "احمد" دواسة البنزين اكثر رغم السرعة العالية التي يسير بها بدايةً.

كان "احمد" بفضل جهازي التنصت المزروعين في ملابس "علاء" و "نوال" يتابع الحال في محيطهما في وقت واحد ، ويتابع محيط الاصوات قرب "ابو الاسود" ، فبعد ان خرج من الغرفة التي فيها "نوال" و بعد أن ضربها، استمر الحوار قليلا بين "ابو الاسود" وبين رئيسه وفهم "احمد" ان الشخص الثاني رفض تعذيب "نوال" ولكن بعد ذلك ، سمع "احمد" "ابو الاسود" يتحدث مع شخص ثالث بلهجتهم المحلية .. بعد عدة جُمل ادرك "احمد" ان "ابو الاسود" كان يسأل عن صحة "علاء" وان الشخص الاخر وربما كان طبيباً اخبره ان اصابته شديدة وانه لا يستطيع ان يستجوبه ، بعدها ساد الصمت من جديد ثم سمع "احمد" ، "ابو الاسود" يتصل من جديد ويتحدث بالإنجليزية:

– حاولت استجواب الجاسوسان لكن احدهما اصيب بإصابة بالغة والاخرى حاولت استجوابها ولكن .. هذا الغبي "ابو العز" منعني من تعذيبها.

– اجلبهما لي بسرعة وحافظ على حياتهما .. اريدهما على قيد الحياة.

– حاضر.

فهم "احمد" ان هناك من يقود "ابو الاسود" من خارج البلد ويطيع اوامره ويقدمه على رؤساءه المحليين من قادة الثوار وان اوامره صارمة ولابد ان "ابو الاسود" سيقوم بنقل "نوال" و "علاء" تنفيذا لتلك الاوامر ، لذلك اطلق العنان لسيارته لتنطلق بأقصى سرعة.

كانت السيارة تقترب بسرعة من الواحة عندما سمع "احمد" صوت نقل "علاء" الى السيارة ومن ثم نقل "نوال" اليها ايضا.

ابصر "احمد" مرابطة المسلحين من بعيد فخفف السرعة وعندما اقترب من المسلحين لم يتوقف بل اكتفى برفع يديه بالتحية الحارة والمشجعة فردوا له التحية وتركوه يمر ، نجح تنكر أحمد في جعله يمر دون تفتيشه ، ركز "احمد" نظره على الشاشة وهو يشاهد تحرك "نوال" و "علاء" ، خفف "احمد" السرعة وهو يدخل البلدة ، كان "احمد" يتطلع لمعرفة اتجاه حركة زميليه عندما تأكد ان المسلحين يتحركون بهما بعيدا حيث اتجهوا الى طريق فرعي يتجه الى شرق البلدة يفضي الى طريق خارجي يقود الى حدود الإقليم الشرقية ، بسرعة قرر "احمد" ان يسبق المسلحين مستعينا بخارطة جهاز الملاحة ، انطلق "احمد" في الشوارع الفرعية ليصل الى الطريق الخارجي قبل وصول المسلحين ، وصل "احمد" الى الطريق الخارجي قبل لحظات من وصول المسلحين ثم هدأ السرعة حتى يمر من سيطرة المسلحين في الطرف

الثاني من المدينة لكي لا يثير شكوكهم ، عبر "احمد" بسيارته الى خارج المدينة واسرع لينفذ كميناً للمسلحين.

كان احمد قد لاحظ على جهاز التعقب عدة اشارات لأجهزة التعقب فهم منها ان زميليه في السيارة الامامية ، بينما كانت حقيبتي "نوال" و "علاء" في السيارة الثانية ، استمر "احمد" يقود بسرعة عالية مبتعدا عن سيارات المسلحين ليوفر لنفسه فسحة من الوقت تكفي لإعداد خطته.

وصل "احمد" الى مكان فيه كثبان رملية مرتفعة فأوقف سيارته خلف احدها لإخفاء السيارة ، هيأ "احمد" اسلحته ومعداته ونزل من السيارة وصعد الكثيب الرملي و بواسطة نظارته المقربة بدأ يراقب السيارتان تقتربان ، كان الطريق خاليا من سواهما.

كانتا سيارتان رباعيتا الدفع ، الاولى نصف مضللة والثانية قد بدا منها المسلحين وهم يحملون اسلحتهم ، في السيارة الاولى استطاع "احمد" ان يميز وبسبب اشعة الشمس القوية وجود رجلين في مقدمة السيارة و رجل في الخلف و أدرك من الاصوات التي سمعها مسبقا من أجهزة التنصت و الاشارات من جهاز التعقب ان "نوال" و "علاء" في صندوق السيارة ، كانت اجهزة المحمول التي لدى الفريق وكل حقائبهم مزودة مسبقا بمتفجرات صغيرة كافية لإتلاف محتواها في حال وقعت في أيدي غير امينة و يمكن تفجيرها عن بعد عند الحاجة ، لذلك فكر احمد في استغلال ذلك لإرباك المسلحين خصوصا وان افراد العدو اكثر منه.

عاد "احمد" الى السيارة و تهيأ فأدار المحرك واخذ يراقب السيارتين على خارطة جهاز الملاحة والتعقب ، ركز بصره على السيارة الاولى التي اعتقد ان "ابو الاسود" فيها ....

***

عملية الانقاذ:

عندما اعتقد ان اللحظة الحاسمة تقترب وان المسافة الفاصلة بينهما مناسبة ، فعّل "احمد" جهاز التفجير عن بُعد و حدد الاجهزة المراد تفجيرها ، حدد جهاز فحص عينات الدم الموجود في حقيبة "نوال" و المحمولين لنوال و "علاء"، كان المحمولان في السيارة الاولى و كانت الحقيبة في السيارة الثانية ، مع اقتراب ثانية الصفر توكل "احمد" على الله :

- بسم الله .

عندما اصبحت السيارتان في مرمى نظره ، اتصل "احمد" بمحمول "نوال" وهو يراقب السيارة الاولى من بعيد وهنا لمح الحركة التي انتظرها بلهفة وتوقع حصولها ، لمح الراكب في المقعد الخلفي في السيارة الاولى يتحرك بصورة مماثلة لمن يتفقد هاتفه المحمول ويتطلع فيه ، وهنا ضغط "احمد" ازرار التفجير تباعا وحدث ما كان ينتظره.

انفجر محمول "نوال" في يد "ابو الاسود" وانفجر محمول "علاء" قربه في حين انفجرت حقيبة "نوال" في السيارة الثانية.

سببت الانفجارات المفاجِأة بالرغم من قوتها المحدودة ارباكا ، كان انفجار حقيبة "نوال" في العجلة الثانية قويا بحيث فُتح صندوق السيارة و ارتفع منه الدخان و توقفت السيارة على جانب الطريق و فتح المسلحون الابواب وخرج افرادها يتراكضون مبتعدين عن السيارة معتقدين انهم يتعرضون لقصف جوي و خوفا من انفجار السيارة.

اما السيارة الاولى فقد خرجت عن الطريق قليلا قبل ان تتوقف ، وهنا ضغط "احمد" دواسة الوقود وانطلق بأقصى سرعة باتجاه السيارة الاولى ، شاهد ابواب السيارة الامامية تُفتح ويخرج السائق ومرافقه ليفتحوا باب السيارة الخلفي ليخرج "ابو الاسود" بصعوبة ، لم ينتبه المسلحان لاقتراب سيارة احمد الا في اللحظات الاخيرة وعلى بعد عدة امتار حاول احدهما ان يصوب سلاحه باتجاه السيارة فاطلق عليه "احمد" النار فأصابه في كتفه ، اوقف "احمد" السيارة بضغطة قوية على الكابح قرب سيارة المسلحين.

نزل احمد مسرعا باتجاه المسلحين ، اطلق طلقة اخرى على ساق المسلح الثاني فسقط على الارض اما "ابو الاسود" فقد كان محتميا بباب السيارة و آثار الدم على وجهه ويده من جروح اصيب بها نتيجة انفجار الهاتفين المحمولين اللذين كانا بحوزته ، حاول ان يخرج مسدسا من حزامه ولكن "احمد" عاجله بضربة ببدن المسدس على رأسه فسقط مغشيا عليه .

فتح "احمد" صندوق السيارة وعيناه تدور بسرعة تراقب المسلحين وفوهة مسدسه تنتقل من واحد لآخر خوفا من حركة غادرة قد يتعرض لها ، فتح

صندوق السيارة ، كانت "نوال" متنبهة ومتفاجئة بينما كان علاء فاقدا للوعي بجانبها ، اخرج "احمد" سكينا وقطع قيد "نوال" :

– اسرعي .. وساعديني في حمل علاء.

امسك بيدها وساعدها على الترجل من السيارة والنزول.

كان المسلحان المصابان يمسكان جروحهما النازفة وينظرون بنظرة خائفة وقد سقط رئيسهما على الارض ، و يبدوا ان المفاجأة وسرعة الاحداث ما زالت تسيطر عليهما فقد جرت كل هذه الأحداث في ثواني قليلة.

ساعدت "نوال" "احمد" فحمل "علاء" على كتفه ثم اعطاها مسدسه الثاني .

– احمي ظهري والتقطي بنادق المسلحين بسرعة .

امسكت "نوال" بالمسدس والقت نظرة حولها ، كان هناك بعض مسلحي العجلة الثانية يقتربون مع اسلحتهم ، فاطلقت "نوال" اطلاقة باتجاههم :

– "احمد" اسرع .. انتبه .. من ذلك الاتجاه.

واشارت اليه لجهة المسلحين ، اسرع فاطلق اطلاقة باتجاههم وانطلق باتجاه السيارة ، رد المسلحون بإطلاق النار ولكن المسافة كانت بعيدة وحركة "احمد" و "نوال" أسرع.

التقطت "نوال" بندقية احد المسلحين واسرعت خلف "احمد" ثم توقفت واطلقت دفعة من الاطلاقات باتجاه المسلحين، وضع "احمد" "علاء" في المقعد الخلفي لسيارته وطلب من "نوال" الصعود قربه.

اطلق المسلحون النار من بعيد ثم اسرعوا للاطمئنان على زملائهم في السيارة الاولى في حين انطلق "احمد" بالسيارة بأقصى سرعة مبتعدا عن المسلحين ، وضغط على جهاز الاتصال وارسل رسالة :

– تمت مهمة الانقاذ وانا بحاجة الى الدعم.

وبنقرات سريعة على شاشة جهاز الملاحة والتعقب كبّر "أحمد" صورة الخارطة و اختار طريقا صحراويا باتجاه مدينة "الداخلة".

***

القرش يتدخل:

منذ اكثر من ساعة كانت غواصة "القرش الازرق" قد استلمت رسالة الطوارئ الحمراء وحسب الاوامر اسرعت بصمت باتجاه ساحل الاقليم ، وبدأ القبطان ومساعدوه تدارس الخطوات والاجراءات الملائمة ، حيث الغواصة في هذه اللحظات تقترب من الساحل عندما وصلت اخر المعلومات بنجاح الفريق من الافلات من المسلحين وتحركه باتجاه المحيط.

حدد طاقم الغواصة موقع سيارة الفريق ، كانت المسافة بين الغواصة والسيارة بحدود ساعتين باحتساب سرعة الغواصة وسرعة السيارة ، لكن هذا الوقت كان كثيرا كما ان الموقع السابق لنزولهم والذي يحوي القارب المطاطي سيكون بعيداً عليهم وسيصعب عليهم وهم مطاردَون تجهيز القارب والابحار مع علمهم باصابة علاء ، لذلك قررت قيادة الغواصة وضع خطة جديدة حيث تم تحديد موقع جديد على الساحل اقرب من الموقع السابق على ان يتم

ارسال فريق من بحارة الغواصة المسلحين بواسطة قارب مطاطي لجلب الفريق ، ارسلت رسالة مشفرة سريعة الى القيادة بالخطة الجديدة ، ثم ارسلت احداثيات الموقع الجديد و مسار الحركة الى جهاز الملاحة لأحمد ، أُعدت هذه الخطة الجديدة لتوفير ساعة من الزمن.

تمت المباشرة فورا بالخطة الجديدة و بما إن النهار ما زال ظاهراً فقد تم اطلاق قارب مطاطي من عنبر الشحن والغواصة تحت الماء وبعدها سبح اربعة غواصين من كوة من الغواصة الى السطح حيث انفتح القارب تلقائيا على السطح ومعه تجهيزاتهم ، استقل البحارة القارب وانطلقوا الى موقع اللقاء مع "احمد".

في هذه الاثناء كان "احمد" يقود السيارة ويتبع الخطة الارشادية للوصول الى مكان اللقاء ، وكانت "نوال" تتابع النظر الى الخلف.

كانا يعلمان ان هناك سيارة للمسلحين تتبعهما وتحافظ على مسافة ثابتة ، دون اطلاق النار ، كان ذلك مثيراً للتساؤل و عدة احتمالات تدور في خاطر "احمد" لعدم هجوم المسلحين وكان اكثرها احتمالاً ان المسلحين كانوا ينتظرون تعزيزات اضافية قبل الهجوم عليهم وانهم ربما يخشون الهجوم منفردين بسبب ما تفاجأوا به من انفجارات مباغتة وربما اعتقدوا ان الفريق هم جواسيس حكوميون وان احتمال تدخل اسناد جوي حكومي وارد.

كان "علاء" ما يزال في غيبوبة و "نوال" تحمل البندقية وتراقب حواليها لرصد اي هجوم مباغت من قبل المسلحين وفجأة مع اقترابهم من الساحل ظهرت

سيارة ثانية للمسلحين و دون سابق انذار بدأ اطلاق النار الكثيف وهنا ارسل "احمد" رسالة نجدة يخبر فيها بانهم يتعرضون لإطلاق نار كثيف، اصابت بضع اطلاقات الجزء الخلفي للسيارة وبدأ "احمد" يناور بالسيارة يُمنةً ويُسرة لتفادي الاطلاقات.

تلقت الغواصة نداء النجدة الجديد وبعد مناقشة سريعة بين القبطان ومساعده قرر القبطان اطلاق جهاز الرصد "النحلة".

ارتفعت الغواصة الى عمق مناسب ، وبدأ القبطان يصدر اوامره :

- استعداد لإطلاق جهاز الرصد "النحلة".
- عُلم سيدي.

جاوبه ضابط الاسلحة.

- الهدف .. موقع الفريق وفق احداثيات جهاز تحديد المواقع .. في حال كنت مستعداً .. اطلق.

من تحت الماء تم اطلاق صاروخ موجه يحمل النحلة ، ارتفع الصاروخ فوق سطح الماء ثم بدأ يعدل اتجاهه وفق البيانات المعطاة ويتجه صوب الساحل ، ما ان وصل الصاروخ الارتفاع والموقع المطلوب حتى انفصل الجزء العلوي منه وانفتح غلافه الخارجي حيث ظهرت منه طائرة مروحية صغيرة (درون) بدأت تحلق بصورة عمودية ، احتوت هذه الطائرة على كاميرات دقيقة مع عدسات مقربة و اجهزة توجيه بالليزر ، بدأت بتصوير الارض ، بدأ قسم الاستطلاع في الغواصة استلام الصورة الملتقطة مباشرة من النحلة ، وبعد

لحظات استطاع افراد الطاقم رؤية عربة "احمد" تطاردها سيارتان للمسلحين فيما هناك ثالثة تحاول اللحاق بهما ، تم تقريب الصورة وكانت احدى العجلتان تحمل مدفعاً رشاشاً و تطلق النار على عجلة الفريق ، كان الوضع خطيرا فهذا السلاح الرشاش قادر على تدمير سيارة الفريق وقتل من فيها في حال اصابتهم الاطلاقات اصابة مباشرة ، اتخذ القبطان قرارا سريعا وجريئا.

– استعدوا لإطلاق صواريخ سطح– سطح .. استعدوا لإطلاق صاروخ "ج" .. الهدف سيارة المسلحين المحملة بالمدفع الرشاش .. حدد الهدف بواسطة النحلة ... اعلنوا حالة الاستعداد القصوى ... الاستعداد لإطلاق صاروخ "ج" ... في حال الجهوزية التامة اطلق صاروخ "ج" رقم ١.

خلال دقيقة تم اطلاق صاروخ "ج" القصير المدى ، انطلق الصاروخ خارجا من تحت الماء الى الاعلى ثم بدأ بتعديل اتجاهه حسب الاحداثيات المرسلة اليه.

كانت سيارة "احمد" تنطلق بسرعة جنونية في ارض صحراوية وهي تنحرف يمينا ويسارا والغبار يرتفع حولها وعجلات المسلحين تتبعها عن كثب وتطلق النار بين فينة واخرى.

عندها تلقى "احمد" رسالة تحذير بأن قوة مدمرة ستستخدم ضد المسلحين وان عليه الابتعاد بأقصى سرعة.

كانت تفصل "احمد" عن موقع اللقاء ما يقرب من خمس دقائق عندما أحس بضوء شديد يلمع خلفه وصوت قوي يخترق اذنيه وعاصفة من الغبار تغطيه ،

بردة فعل قوية استدار ليطمئن على زميليه فلم يستطع رؤيتهما بسبب الدخان الذي احدثه الانفجار وملأ السيارة ثم عاود النظر امامه الى الطريق، ادرك "احمد" ان التحذير الذي تلقاه قبل قليل قد نُفذ وان اصابة مباشرة اصابت عجلة المسلحين ، ثواني وكان "احمد" يخرج من عاصفة الغبار التي اثارها انفجار الصاروخ الذي اطلقته غواصة القرش.

اصاب الصاروخ سيارة المسلحين اصابة مباشرة ادت الى تدميرها و اصابت السيارات الاخرى شظايا الانفجار واضطروا الى التراجع خوفا من ضربات اخرى.

قطع "احمد" المسافة المتبقية بدون ازعاج او خطر بعد ان انسحبت السيارات الاخرى.

عند موقع اللقاء وجد "احمد" اربعة من الغواصين المسلحين ينتظرونه ، عندما رأوه اسرعوا الى السيارة وحمل اثنان منهم "علاء" فيما حمل الاخر الحقائب ، ثم انطلق الجميع الى قارب مطاطي عند الشاطئ.

انطلق بهم الزورق باتجاه البحر والشمس توشك على المغيب ، بعد ساعات كان الجميع في طريق العودة الى ارض الوطن.

التقرير النهائي

بعد ايام تم رفع تقرير بنتائج العملية التي توصلت الى ان دولة معادية طورت سلاح جرثومي وان الوباء الذي انتشر في اقليم الساحل كان تجربة لهذا السلاح اشترك فيها عملاء لهم في الاقليم وعلى رأسهم المدعو "ابو الاسود"

، كما اشار التقرير الى ان نقص المعلومات وسوء التخطيط عرض المهمة وافرادها للخطر كما اشاد بأفراد الفريق وشجاعتهم ، وبين صواب اجراء القبطان "سليم" في استعمال الاسلحة الصاروخية لكنه نبه ان ذلك الاجراء عرض الغواصة وطاقمها للكشف وللخطر ايضا.

بعد اسابيع تدخلت الحكومة للتوسط لحل النزاع بين الحكومات في شمال أفريقيا والاقليم واستطاعت ادخال المساعدات الانسانية والفرق الطبية الى الاقليم للقضاء على الوباء.

اما افراد الفريق فقد تمت مكافأة "احمد" و "نوال" و "علاء" ، الذي تماثل للشفاء بعد ايام من عودته الى الوطن ، وبعد أشهر صدر امر بتشكيل جهاز " كتيبة الأهوال " وتم نقل "احمد" ليكون ضمن أفراد هذا الجهاز الذي بدأ تاريخه منذ ذلك اليوم.

معركة بين أشجار الأرز

بيروت في الخاطر:

كانت احدى الضواحي الراقية في العاصمة تمسي في هدوء وفي أحدى ثناياها تضم بيت جميل وكبير ، احتوى ستة اشخاص شكلوا قيادة جهاز "كتيبة الأهوال".

منذ اربع سنوات تشكلت كتيبة الأهوال لتكون غرفة عمليات للحفاظ على الامن القومي ومكافحة العمليات الاستخبارية المعادية. شُكلت قيادة الجهاز بحرص وتم اختيار اعضائها بعناية فائقة وكان احمد من بينهم.

كان مقر عملهم عبارة عن بيت أنيق مغطى بالحجر ومنقوش بصورة جميلة وقد علت بابه الخارجي قطعة كبير كتب عليها "شركة المستقبل للمعلوماتية". كان هذا الموقع الامني الاكثر سرية في البلد.

لم يكن أحد سوى من فيه ، يعلم سر هذا المبنى او سر ما يُعد فيه. ولم يكن في هذا المبنى ورقة واحدة ! كما لم يحتوى المبنى على أية وثيقة او مستند ، كل العمل كان يجري عبر حواسيب حديثة مؤمنة. كل المعلومات تُجمع وتتداول بين الستة عبر بطاقات ذاكرة صغيرة عالية السعة يحملها كل واحد منهم اينما ذهب سهلة الحفظ وسهلة الاتلاف اذا لزم الامر. كان من الممنوع

تداول الاسماء الحقيقة لهم وكانوا فيما بينهم يستعملون اسماءً او كنىً وهمية.

كان المبنى اشبه ببيت اشباح يسوده الصمت والهدوء غالباً ، فمعظم الوقت كان قاطنوه يتلقون المعلومات ويحللّونها ثم يصنفونها ويرفعون بها تقارير الى رئيس القوة التي يتخذ قراره في شأنها ، ثم يعود اعضاء الفريق لإعداد الخطط اللازمة لتنفيذ تلك القرارات.

وفي صباح يوم صيفي حار وافق رئيس القوة على المشروع رقم ٥ ، المشروع كان عبارة عن خطة استباقية لمنع عملية ارهابية قد تقود لحرب اهلية.

بعد ايام قليلة كان احمد في طائرة ركاب باتجاه بيروت ، كان احمد يراقب شاشة العرض الموضوعة امامه وهي تعرض مسار الطائرة وتفاصيل الارتفاع والسرعة ، كانت الطائرة تقترب من اجواء لبنان وكانت هذه الرحلة الاولى له لهذا البلد الجميل.

في هذه الدقائق تذكر احمد المحاضرة التي استمع لها من الدكتور عبد العزيز عن لبنان وتاريخها واهميتها العربية والاقليمية وقد استعرض خلالها جغرافية لبنان و تذكر الكلمات التي وصف فيها هذه البلاد بالجمال والطبيعة الغنّاء التي جلبت اليه شعوب شتى وحضارات عديدة.

بدأت الطائرة تدخل اجواء بيروت وتناور للنزول في مطارها ومع انخفاضها بدأ اللون الاخضر زاهيا وهو يكسو الجبال والوديان وبدا شوق احمد يزداد لرؤية هذا البلد الجميل.

حطت الطائرة ونزل المسافرون من الطائرة و توجه احمد لإكمال اجراءات الدخول وختم الجواز ثم اخذ حقيبته و استأجر سيارة أجرة لتوصله الى فندق "الرابية" الذي كان قد حجز فيه مسبقا.

انطلقت السيارة من المطار الى قلب بيروت و بدأ احمد يشاهد شوارعها و ضواحيها لأول مرة.

وصل احمد الفندق واكمل الاجراءات مع ادارة الفندق ثم صعد الى شقته الصغيرة ، تصرف احمد كأي سائح عادي يصل وهو متشوق للسياحة والتجوال ، نزع ملابس السفر على عجل واغتسل وارتدى ملابس جديدة واخرج حقيبة جلدية صغيرة تحمل على الكتف وضع فيها جوازه ومقدار بسيط من المال وهاتفه المحمول وارتدى حذاءً رياضيا ، ثم خرج واغلق باب الشقة ووضع مفتاحها في الادارة وانطلق سائرا على قدميه عبر الطرقات.

كان الفندق يقع في احدى ضواحي العاصمة الراقية ، و الشمس في ذلك الوقت كانت تميل الى المغيب فأضفى ذلك الجو تألقا وجمالا للأبنية والشوارع. استمر احمد في السير والتعرف على هذه المنطقة وطرقاتها ومحلاتها متوقفا بين وقت وآخر ليشرب عصيرا او ليأكل طعاماً من تلك

المحال التي تبيع المأكولات السريعة وليلتقط الصور احيانا عند رؤيته مكانا جميلا او فريدا وليوثق زيارته لها ، في احد المطاعم الجميلة تناول احمد طعام العشاء و قد تجاوز الوقت العاشرة ليلا ، كان الوقت قد مضى سريعا واحمد يتجول في تلك المنطقة التي نزل في فندقها.

احس احمد بالتعب والحاجة الى النوم بعد مجهود السفر والتجوال وخاصةً انه لم ينم منذ اكثر من عشرين ساعة فعاد الى الفندق وأوى الى فراشه . لم يقم احمد بأي تفتيش في الغرفة او تدقيق فقد تغيرت تلك الحال من زمن بعيد فعلى عميل الاستخبارات في هذه الايام ان يتصرف على طبيعته كأي سائح سواءً في داخل غرفته وخارجها ، ففي عصر التكنولوجيا الحديثة والكاميرات المخفية الدقيقة واللاقطات شديدة الصغر اصبح من الخطر ان يقوم العميل بأي عمل مريب داخل غرفته خوفا من ان يكون مراقبا مسبقا.

في فجر اليوم التالي استيقظ على صوت منبه هاتفه وصلى الفجر ثم اخذ يطالع هاتفه والصور التي التقطها في اليوم السابق واثناء ذلك فعل برنامجا خاصا في الهاتف المميز.

بدأ الهاتف الذي بدا عاديا عملية مسح الكتروني داخل الشقة بحثا عن اجهزة التنصت وكاميرات المراقبة ، كان هذا عملاً روتينيا للتأكد من انه غير مراقب او مكشوف مسبقا ، كانت تلك العملية تستغرق عدة دقائق ، خلال ذلك خرج احمد الى الشرفة واخذ ينظر الى محيط الفندق والشوارع امامه.

كان هواء الصباح العليل ينعش الجسم ويشعره بالنشاط ، عاد احمد واطلع على هاتفه المحمول كانت نتيجة المسح سلبية مفيدة بأن الشقة خالية من اية اجهزة مريبة.

ارتدى احمد ملابس رياضية وحمل حقيبته وخرج ، تناول أحمد كوبا من الشاي في احدى المقاهي القريبة ثم استأجر سيارة وطلب من سائقها ان يذهب به الى اجمل مناطق العاصمة.

تجول احمد في انحاء العاصمة فزار الآثار الاسلامية و الرومانية في المدينة ، تناول غذائه في احد المطاعم الشعبية واكمل جولته لحين حلول المساء حيث شاهد جمال المدينة في الليل.

***

لقاء في المقر الآمن:

استمر احمد سياحته في المدينة لمدة ثلاثة ايام تجول فيها في مختلف انحاء المدينة ، كان الهدف الأول من هذه السياحة ضمان عدم وجود مراقبة او متابعة له ، أما الهدف الآخر هو التعرف على طرقات المدينة ومعرفة المزدحم منها وغير المزدحم ومعرفة اوقات الازدحام في تلك الشوارع وامكانية الحركة فيها بسرعة اذا لزم الامر.

في اليوم الرابع بعد أن تأكد احمد انه غير مراقب و في مساء ذلك اليوم وعبر عدة توقفات واجراءات احترازية توجه الى المقر الآمن. في احدى

البنايات العالية وامام شقة في الدور السادس وقف احمد واخرج مفتاحاً من جيبه ودق الباب بظهر كفه دقات خفيفة ثم وضعه في قفل الباب واداره.

فتح احمد الباب ودخل ليجد زميله "حسن" ينتظره خلف الباب ، كان "حسن" شابا اشقراً مفتول العضلات جميل الطلعة ، كان "حسن" يعيش ويعمل منذ سنوات في لبنان بكفاءة ونشاط.

تصافح الاثنان بحرارة بالرغم من انهما لم يلتقيا من قبل ، لكن ربما تلك العاطفة التي تجمع ابناء البلد الواحد في بلاد الغربة كانت السبب.

- كيف حالك سمير ؟
- بخير الحمد لله ، كيف حالك وليد ؟

استعمل الاثنان اسمائهم الرمزية المدونة في بطاقاتهم التعريفية حسب التعليمات ، فأي منهما لم يكن يعرف الاسم الحقيقي للآخر.

ثم قاد حسن احمد الى غرفة الاستقبال ، حيث احضر له علبة من العصير البارد.

جلس حسن واحمد على كنبتين متقابلتين وبدأوا الحديث.

- كيف احوال البلد ؟
- بخير .. و انت كيف حالك هنا ؟

- جيدة.

- كلمني على مشروعنا.

قام حسن وجلب حاسوب لوحي ثم اخرج حسن من جيب سري في حزام بنطلونه بطاقة ذاكرة صغيرة وضعها في الجهاز ثم اخذ بواسطة الحاسوب يستعرض ما فيها بترتيب.

اظهر حسن صورة شخص في الاربعينيات من عمره وجهه مدور ابيض البشرة اشقر الشعر.

- هذا هو فواز طربل.

ثم استعرض حسن عدة صور لنفس الشخص من زوايا مختلفة وفي اماكن ومناسبات متعددة.

- رجل اعمال ومليونير ... شخصية سياسية واجتماعية مرموقة ، تربطه علاقات وثيقة مع مختلف رجال السياسة والاعمال ، اصدقائه اكثر بكثير من اعدائه. يبلغ عمره ستٌ واربعون عاما ، تبلغ ثروته بضعة مئات الملايين من الدولارات ، لديه مجموعة شركات في مجال التجارة والمقاولات. متزوج وله ابن واحد يدرس في الخارج ، مكتبه الرئيسي في منطقة الحدائق وهي منطقة راقية في العاصمة أما قصره ففي ضاحية العالية وهي منطقة غابات جميلة ، يقضي معظم وقته في البلد ويسافر كل شهرين تقريبا الى الخارج لمدة اسبوع او اسبوعين ، فريق

حمايته يتكون من خمس وعشرين شخصا يتحرك معه عادة ستة الى ثمانية اشخاص والباقون يقومون بحماية بيته وشركته ، هم من العناصر المحترفة ، موكبه يتكون من ثلاث سيارات كبيرة مدرعة رباعية الدفع.

اثناء الكلام كان حسن يستعرض صور الحماية و صور خارجية لقصر فواز و لشركاته.

- **حسنا هذه المعلومات العامة... ماهي المعلومات الخاصة ؟**
- **تسربت لنا معلومات من اجهزة الامن الوطنية تشير الى احتمال علاقته بأجهزة استخبارات اجنبية وانه ربما لديه علاقة بعدة عمليات اغتيال حدثت في السنوات العشرين الماضية .**
- **وبعد ، ما الجديد ؟**
- **بعض المعلومات هنا تحذر من احتمال حدوث عملية اغتيال لشخصية مهمة في الايام القليلة المقبلة وان العملية قد تطال شخصية وطنية وقد تحدث فتنة في البلد.**
- **و فواز قد تكون له علاقة بهذه العملية.**
- **نعم ، وبسبب علاقاته المهمة مع اعلى المسؤولين في البلد فان اجهزة الامن لا تستطيع التحقيق معه بسبب عدم وجود ادلة قوية ضده.**

كان احمد كعادته يصغي بانتباه الى حسن وهو يشرح ، كانت معظم هذه المعلومات والصور التي يشاهدها على المحمول قد اطلع عليها في مقر القيادة اثناء دراسة المشروع رقم ٥ ، لكن احمد تعلم ان يسمع من صاحب التقرير نفسه ويعيد التقييم على ضوء المعلومات والتفاصيل الصغيرة التي قد يتم اغفالها في التقارير المرسلة.

- حسنا ... علينا ان نجد الدليل على تورطه في اعمال مشبوهة ... اين الرزمة التي تم ارسالها قبل ايام ؟

- سأجلبها لك.

قام حسن الى غرفة مجاورة ثم عاد بصندوق صغير مغلف بشكل انيق ووضعها على الطاولة بحرص امام احمد. اخرج احمد جهازه المحمول ثم قام بعدة ضغطات وادخل كلمة مرور وبعد لحظات بدأت اشارات خضراء وصفراء تلمع في واجهة تطبيق على شاشة جهازه.

- كل شيء على ما يرام... بعد غد عيد ميلاد فواز ، اريدك ان تذهب الى محل هدايا وتطلب منه تغليفها و ارسالها صباح بعد غد الى فواز على عنوان بيته مع رسالة لطيفة بدون ذكر اسم المرسل.

- حسنا ... انت متأكد انه سيقبلها ؟

- لن يستطيع رفضها.

- حسنا ... دعني الان اعرفك على الشقة وما فيها.

قام الاثنان وبدأ حسن يستعرض لأحمد المخابئ السرية الموجودة في الغرفة التي تحوي مجموعات من الاسلحة والاعتدة مختلفة الانواع ، و من اجهزة الرصد والمراقبة وكذلك مواد للتنكر.

بعد ان اطلع احمد بصورة سريعة ومفصلة على موجودات المخبأ الآمن ، ودع حسن بعد ان اتفق معه على اسلوب الاتصال وخطط الطوارئ في حال دعت الضرورة اليها.

***

المراقبة:

كان المليونير فواز يرتشف من كوب القهوة وهو جالس على كرسييه قرب حوض السباحة ، حيث كان فواز معتاداً على تناول فطوره هناك بعد ممارسة السباحة رياضته المفضلة.

في تلك اللحظات اقترب احد الخدم وهو يحمل صينية فيها علبة انيقة.

- سيدي ، هذه هدية وصلت صباحا.

بدون انتظار وضع الخادم الصينية على الطاولة القريبة. نظر فواز اليها كانت هناك علبة انيقة جدا مذهبة وبقربها بطاقة الاهداء.

كانت الهدية قد تم فتحها وفحصها من قبل حماية فواز حفاظا على سلامته وللتأكد من عدم احتواءها على ما يريب.

تناول فواز بطاقة الاهداء وقرأ (الى اغلى الناس ... عيد سعيد ... محب). استغرب فواز من عدم ذكر المرسل اسمه وساوره الشك. أمسك العلبة وحملها بين يديه واخذ يقلبها كأنه يزن ما فيها ثم فتح غطاء العلبة.

فتح فواز عينيه مشدوها وهو ينظر الى جمال الساعة الفاخرة التي امامه. كانت ساعة سويسرية مرصعة بالجواهر. امتلك فواز ساعات سويسرية كثيرة الا ان هذه الساعة هي الاجمل والاروع كما ان عدد ما فيها من جواهر مرصعة تجعلها قيّمة جدا.

كانت زوجة فواز جالسة قربه وهي تشاهده وهو يتفحص الساعة.

- انها هدية جميلة.
- لم ارى اروع من هذه الساعة ، انها مصنعة حسب الطلب وقيمتها لا تقل عن مليون دولار.
- من ارسلها لك ؟
- لم يذكر اسمه ، ولكن لا بد انه سيُظهر نفسه في الحفلة اليوم.

ارتدى فواز الساعة حول معصمه. واخذ بنظر اليها في يده بانبهار.

بقي فواز في بيته للإعداد للحفل الكبير الذي سيقيمه لمناسبة عيد ميلاده والذي دعا اليه حشد كبير من الشخصيات الاجتماعية والسياسية والفنية.

اثناء ذلك كان احمد يواصل جولته في العاصمة ليشاهد معالمها وفي الوقت نفسه يتبع المسار التي تستخدمه سيارات موكب فواز للوصول الى شركته ويبحث عن الاماكن العامة المناسبة التي يستطيع منها مراقبة مسار موكب فواز.

في وقت متأخر من ذلك المساء انتهت الحفلة وغادر ضيوف فواز الذي اوى متعبا الى فراشه ، وضع فواز ساعته على جنب فوق طاولة قريبة.

بعد نصف ساعة كانت الساعة تبث ما سجلته من بيانات في ذلك اليوم عبر موجة خاصة وبسرعة عالية. كانت تلك الساعة السويسرية الباهظة الثمن قد حُورت بمهارة لتحوي في داخلها جهازا دقيقا يقوم بتسجيل ما يتحدث به فواز والقريبون منه ويحدد مواقع تحركه ولا يبث هذه المعلومات الا بعد ان تُخلع الساعة وتستقر في هدوء لنصف ساعة . و تقوم ببث المعلومات في وقت قصير جدا لتقليل امكانية كشف موجة الارسال.

في هذه الساعة المتأخرة من الليل كان احمد مستلقيا في فراشه ينتظر حين لمعت أيقونة على شاشة جهازه المحمول منبهة الى وصول رسالة الى الجهاز وبدأ يراقب شريط التحميل في حاسوبه اللوحي وهو يتسلم البيانات من ساعة اليد ، ثواني و انتهى تحميل المعلومات .

ضغط احمد على الشاشة ليقوم برنامج خاص بتحليل المعلومات المشفرة الواردة وعرض اهم ما فيها.

كان احمد واضعا سماعات الرأس عندما بدأ يستمع للتسجيلات الصوتية الواردة. انصت احمد بانتباه الى التسجيلات الواردة وما ان سمع الثواني الاولى من التسجيلات حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ففكرة الهدية نجحت ولم يستطع فواز مقاومة جمال و اغراء الهدية.

مرت الدقائق ببطء ، كانت معظم التسجيلات غير ذات اهمية لأنها كانت تتعلق بالاستعدادات للحفلة ، استمر احمد ينصت الى ان جلبت انتباهه محادثة قصيرة بين فواز واحد الاشخاص:

- **عزيزي النائب ... ما رأيك بالوضع الحالي في البلد ؟**
- **كما ترى يا صديقي الوضع متأزم ... وأي شرارة قد تشعل البلد ومن فيه.**
- **ارجو ان لا يحدث ذلك.**

كانت هذه المحادثة العادية تشير الى حقيقة المخاوف التي تقلق المحللين والمراقبين لأوضاع هذا البلد.

بعد ان استمع احمد الى مجمل التسجيلات ضغط على احد مفاتيح البرنامج فظهرت على الشاشة خارطة تُبين تحركات فواز. لم يتحرك فواز في ذلك

اليوم من منزله ولم تكن هناك تسجيلات مهمة فاغلق احمد الجهاز وركن الى النوم.

في اليوم التالي استمر احمد في التجوال على اسواق ومطاعم البلد القريبة من الشارع الذي يسلكه موكب سيارات فواز ، استطاع احمد من موقع قريب مراقبة سيارات موكبه وهي تدخل مقر شركته . من خلال المراقبة حدد احمد ترتيب السيارات وعدد من فيها والتوقيت الذي مرت فيه ومعدل السرعة التي كانوا يسيرون فيها.

في المساء عاد احمد الى الفندق ، وفي الساعة المحددة استقبل التسجيل اليومي وجلس ينصت اليه بحرص لكنه لم يستطع ايجاد شيء مهم في الاحاديث المسجلة.

في اليوم التالي استمر احمد في مراقبة تحركات فواز. ومواقيت وصوله ومغادرته مع تحديد عدد عناصر الحماية وترتيب ركوبهم في السيارات كما فعل في اليوم السابق.

ليومين متاليين استمر احمد في عمله المعتاد وقد استطاع خلال هذه الايام القليلة تعلم لهجة اهل البلد وحفظ سلسلة من الجمل المحلية المتداولة بكثرة بين الناس ولكن المراقبة لم تجدي في الحصول على معلومات اضافية او ادلة على تورط فواز.

***

المطاردة:

في مساء اليوم الخامس وقد اسدل الليل سدوله ، جلس احمد في فندقه يستمع الى التسجيلات عندما جلب انتباهه جملة لافتة للاهتمام ، حدثت على غير المعتاد في وقت متأخر من الليل بعد منتصف الليل ، كان صوت فواز.

- **سامي ... جهز لي السيارة.**

ثم توقف التسجيل ، كان جهاز التنصت يسجل الكلام البشري فقط ، لذلك توقف ثم بدأ يعرض المحادثة التالية :

- **وصلنا سيدي.**

...

- **فارس ... هل اتممت كل شيء ؟**
- **نعم.**
- **كم الشحنة ؟**
- **٢٥٠ كغم.**
- **متى ستتحرك ؟**
- **في الخامسة.**
- **اين ستتوقف ؟**
- **هنا ...**
- **عزيز ... متى ستكون هناك ؟**

- في السابعة.
- هل كل شيء وفق التعليمات ؟
- نعم.
- سيتم التأكيد وفق القاعدة المعتادة.
- نعم.

بعدها سمع احمد التسجيلات الى النهاية ، استنتج عودة فواز الى منزله.

كان هذا التسجيل يؤشر على وجود تخطيط لأمر ما ولكن لا يبين فحوى العملية فهناك حمولة وهناك مكان لتسليم تلك الشحنة وهناك توقيتات ولكن ماهي حقيقة الامر هل هو تسليم لبضاعة عادية أو لشحنة ما ام هي عملية تفجير او اغتيال لكن توقيت المحادثة المتأخر يثير الريبة وفي كل الاحوال فان هذا التسجيل دليل على تورط فواز في اعمال مشبوهة. قام احمد بإعادة توجيه التسجيل وارسله مشفرا الى القيادة. ثم فتح برنامج الخرائط واظهر تحركات فواز في تلك الليلة كان هناك تحرك لفواز من بيته باتجاه الشرق وبمسافة تقارب السبعة كيلومترات بعيدا عن منزله ، حيث توقفت الاشارة ثم عادت الى نفس المكان. كان على احمد ان يعمل بسرعة للتوثق من الامر. قرر احمد التحرك لاكتشاف حقيقة هذه الشحنة وامكانية ان تكون دليلا لإدانة المدعو "فواز".

ارسل احمد رسالة مشفرة الى حسن يطلب منه احضار سيارة خاصة له قبل الثالثة فجرا و موافاته الى المقر الآمن. غيرَ احمد ملابسه و خرج من الفندق متوجها الى المقر الآمن.

عند وصوله الى المقر كان حسن ينتظره فاستفهم منه الامر فشرح له بصورة سريعة الامر وطلب منه الاستعداد لأي طارئ. من احد الدواليب السرية اخرج احمد عدة التنكر وبدأ بالتنكر فلبس شعرا مستعارا اصفر واضاف الى وجهه بعض الملامح المصطنعة ثم غير ملابسه الخارجية بعد ان ارتدى تحت قميصه درعا واقيا.

تجهز احمد للخروج فاخذ هوية تعريفية محلية وباسم مستعار وهاتف جديد ببطاقة مسجلة باسم صاحب الهوية المستعارة. بعد ان اكمل احمد تحضيراته اخذ عدة اغراض للتجسس واخذ من حسن مفتاح السيارة التي جهزها له و نزل من الشقة ليسير عشرات الامتار الى المكان الذي اوقف فيها حسن السيارة ليستقلها وينطلق.

كان احمد مستعجلا لان التسجيل يشير الى ان الحمولة ستتحرك في الخامسة ومن المؤكد انها الخامسة فجرا وهي ستحين بعد اقل من ساعة لذلك قرر احمد الذهاب الى المكان الذي ذهب اليه فواز واستطلاعه. انطلق احمد بسرعة عادية لكي لا تلفت الانظار. اتجه احمد الى خارج المدينة باتجاه الضواحي .كان الظلام شديدا والقمر محاقا و الاشجار تحيط بالطريق من الجانبين واشجار الارز منتصبة تلوح من بعيد .

فتح احمد جهاز دليل الخرائط الموجود على محموله واخذ يتتبع مسار الحركة الذي تحركه فواز وصولا الى موقع اللقاء المشبوه كانت السيارة تقترب منه والسماء تخترقها خيوط من ضياء الصباح ، كان الطريق يخترق الغابات الخضراء ذات الاشجار العالية.

عندما اقترب احمد من الموقع لاح مع ضياء الصباح اسوار مبنية من الحجر ، في الموقع المحدد مرت السيارة قرب بوابة حديدية صغيرة ، بنظرة خاطفة من طرف عينيه استطاع احمد ان يلتقط صورة دقيقة للبوابة وما حولها. استطاع ان يلمح بوابة حديدة عالية بعرض خمسة امتار لا تسمح برؤية ما خلفها مع كاميرات على جانبيها لمراقبة مدخل البوابة و جانبي الطريق.

واصل احمد سيره بدون توقف حتى تجاوز المكان بحوالي نصف كيلومتر ثم توقف. فتح حقيبته الجلدية واخرج علبة صغيرة اشبه بقطعة نقدية سميكة قليلا. شغل احمد السيارة وانطلق عائدا بالاتجاه المعاكس وبسرعة اكبر ، امسك احمد بالعلبة الصغيرة واخرج يده من نافذة السيارة و قبل وصوله الى البوابة بمسافة مناسبة رمى احمد العلبة في وسط المدخل وبسبب سيارة السرعة اندفعت العلبة الى المكان المطلوب واعاد يده التي رمى بها الى المقود ، راجيا ان لا ينتبه احد الى ذلك الجهاز و ان لا يكون حراس المبنى قد شاهدوه بوسطة الكاميرات وهو يرميه. بعد ذلك قاد السيارة الى احد الشوارع الفرعية وسط الاشجار واوقف سيارته هناك وأطفأ انوارها.

كانت الساعة تقترب من الخامسة موعد انطلاق الشخص المدعو فارس. كانت العلبة التي رماها احمد عبارة عن جهاز تتبع صغير بإمكانه بتقنية مغناطيسية الانجذاب الى اي سيارة تمر قربه او فوقه.

كان الاحتمال كبيراً في إن فارس سيستعمل سيارة لنقل الحمولة وانه سيتجه بها الى العاصمة. توقف احمد في مكان يبعد مئات الامتار فقط. وكان جهاز التعقب يرسل اشارة يؤشر الى انه متوقف حيث رماه ، كان احمد يأمل ان لا يكون الجهاز قد تم رصده بواسطة كاميرات المراقبة بسبب صغر حجمه وقلة الضوء في السماء.

كانت الساعة تقترب من الخامسة والجهاز ما زال مستمرا في عمله ، وسيتبين احمد مدى جدواه في خلال ثواني قليلة.

لحظات وبدأت إشارة جهاز التعقب بالتحرك ، نجح الامر، كان احمد قد وضع كاميرة دقيقة للتصوير خلف الزجاجة الخلفية لتصور للخلف.

كانت الاشارة تتحرك عبر الطريق الرئيسي وتقترب من نهاية الطريق الفرعي الذي توقف فيه ، في المرآة الجانبية استطاع احمد رؤية سيارة زرقاء نوع صالون تمر يقودها شخص لم يستطع احمد تبين ملامحه بسبب سرعة السيارة و قلة ضياء الصباح.

سحب احمد الكاميرة بسرعة من الخلف واوقف التسجيل واعاد الفيلم من البداية الى لحظة مرور السيارة الزرقاء ثم اوقف الصورة وكبرها ليدقق في طراز السيارة ثم شكل السائق.

كان السائق حليق الرأس ذو انف معقوف وقد ارتدى نظارات سوداء كبيرة ، إذن هذا هو "فارس" ، كان هذا كل ما استطاع احمد ان يتبينه لكن ذلك كان كافي ليكون صورة عن المشتبه به.

بدأت السيارة المشبوهة تتحرك باتجاه الضاحية الشرقية للعاصمة ، تحرك احمد بسيارته لكنه لم يكن بمقدوره مراقبته عن قرب لان هذه الطرق الريفية خالية في هذه الساعات الاولى من الصباح وسينكشف امره بكل سهولة.

كان جهاز التتبع يسمح لأحمد بتتبع السيارة من بعيد ، كانت خارطة المدينة ظاهرة على جهاز الارشاد ، وكان جهاز التتبع يؤشر مسار السيارة المشبوهة ، قرر احمد ان يتبع السيارة عن طريق السير في الطرق الموازية والقريبة للطريق الذي يسير فيه فارس .كان من الواضح ان فارس يسير في طرق متفرعة وكثيرة من اجل التأكد من عدم وجود متتبع له.

كانت الساعة تقترب من السادسة واحمد يتتبع السيارة عن بعد ، كان يدرك انه اذا توقفت سيارة فارس في مكان ما فعليه الوصول الى ذلك المكان بأقصى سرعة ليراقب ما سيفعله هناك.

استمرت المطاردة اكثر من ساعتين ناور فيها احمد بسيارته كثيرا ، كانت الشمس قد ارتفعت والطرق ازدحمت بالسيارات و فارس يقترب من وسط المدينة وبدأت سرعته تبطئ وادرك احمد إن السيارة ستتوقف قريبا.

فجأة توقفت سيارة فارس و كان الطريق الذي توقفت فيه طريق رئيسي يدعى شارع الحمراء ، ذو اتجاهين.

قاد احمد سيارته بسرعة الى اقرب شارع فرعي يصل الى ذلك الطريق ، دخل احمد الشارع واسرع الى نهايته وتوقف هناك ، كان الشارع مكتظا بالسيارات والمارة ، نظر احمد الى الاتجاه الذي توقفت فيه السيارة المشبوهة وقبل ان يلمحها ، فجأةً التقت نظراته مع نظرات وجه مألوف كان يسير على الرصيف.

كان وجه فارس ! نظر احدهما الى الأخر في لمحة قصيرة حاول كل منهما ان يظهر تجاهله للآخر.

تضجر احمد من هذه المفاجأة الخطيرة غير المحسوبة فلا بد ان هذا الشخص قد حصل له شك وانه على الاكثر سيذكر ملامح وجهه رغم التنكر.

كان فارس تاركا سيارته خلفه ويسير مع اتجاه حركة السير فعبر الشارع الفرعي امام احمد الى الجهة الاخرى ، استمر احمد في مراقبته ، سار بضع امتار ثم اتجه فارس الى سيارة متوقفة على جانب الرصيف ففتح باب السيارة من جهة السائق وركبها ثم انطلق ، في تلك اللحظة ادرك احمد ان مخاوفهم

تتحقق واسرع ينظر الى الاتجاه المعاكس بحثا عن السيارة الصالون الزرقاء ، لمحها متوقفة على جانب الطريق.

فتح احمد هاتفه المحمول الذي زوده حسن بها وطلب رقم الشرطة، ترك احمد فارس يبتعد وبقي مراقبا السيارة فلا بد انها مفخخة وانها موضوعة لتحدث كارثة .

- **الو طوارئ الشرطة !**
- **تفضل.**
- **اود ان ابلغ عن سيارة صالون زرقاء تحمل متفجرات متوقفة في شارع الحمراء.**

اغلق هاتفه بسرعة وهنا لمح على الجانب الثاني من الطريق وعلى مسافة خمسين مترا موكب يقترب من السيارات رباعية الدفع من النوع المدرع ، ادرك احمد ان الهدف يقترب من المصيدة ، و بطبيعته المعهودة لأحمد عمل بسرعة وبدون تردد ، خبأ جهازه المحمول للتتبع في حقيبة يده و ضغط على دواسة الوقود وامسك عجلة القيادة بقوة وحرر المكابح وانطلق بالسيارة قاطعا الطريق بالعرض متجاوزا السيارات باتجاه الجانب الثاني من الطريق ومكنته السرعة العالية من تجاوز الرصيف الوسطي. عبرت السيارة الى الجانب الثاني وبضغطة مكابح قوية ، جعل احمد السيارة تدور في مكانها لتسد الطريق صادما خلال هذه المناورة عدد من السيارات المارة في ذلك الشارع.

كانت الحركة مفاجئة واسفرت عن حادث تصادم بين سيارة احمد التي انطلقت فيها اكياس السلامة وبين ثلاث سيارات كانت تسير في طريقها.

استعاد احمد تركيزه بعد هذه الحركة القوية وانفجار اكياس الامان في وجهه والصدمة التي تلقاها من السيارات الاخرى . فتح الباب وترجل من السيارة ، وجد احمد السواق الاخرون قد ترجلوا وهم يحدقون في وجهه بحقد وحنق ثم أقبل بعض المارة ليشاهدوا الحادث ويروون هذا السائق المجنون و المتهور.

ما ان ترجل أحمد حتى نظر باحثا عن الموكب الرسمي القادم ، لاحظ ان الموكب توقف بسبب الازدحام الذي حصل نتيجة قطعه للطريق بينما كان يسمع صيحات الناس:

... هل انت مجنون ... انه ثمل ... اين الشرطة ...

حاول احمد ان يحد من انفعال الحاضرين وتكلم باللهجة المحلية :

- **انا آسف ... انها المكابح ... انها معطلة.**

وصل شرطي مرور قريب من مكان الحادث وطلب من احمد ان يسحب سيارته بسرعة من وسط الطريق وان يصفها على جنب وطلب ممن تضررت سياراتهم الشيء نفسه.

انقاد احمد لأمر الشرطي ونظره مصوب الى موكب السيارات ، شاهد احمد موكب السيارات يتراجع منسحبا ليغير طريقه ، لقد نجح الأمر فالحراس المحترفون لن يوقفوا موكباً لمسؤول في طريق مسدود بواسطة حادث مفتعل وستساورهم الشكوك وسيضطرون الى تغيير مسارهم.

اوقف احمد سيارته الى جنب وهو يراقب في المرآة الخلفية موكب السيارات يعود الى الوراء.

***

النجاة من الموت:

فتح احمد الباب لينزل من السيارة و شرطي المرور يشير اليه ، قبل ان ينزل احمد قدمه من السيارة احس بلمعة من الضياء الشديد تغمر عينيه وتحيطه من كل جانب وصدمة من الضغط والحرارة تدفعه الى الخلف ، بصورة لا ارادية اغلق احمد عينيه و غطى احمد وجهه خوفا من اللهب.

كان الصوت آخر ما صدح اذنيه ، ثواني مرت قبل ان يستجمع احمد رباطة جأشه ليفتح عينيه .

كانت هناك كتلة من اللهب تلتهم عدد من السيارات والمحال واشلاء محترقة منتشرة في كل مكان وانقاض مباني وهياكل سيارات متحطمة. ترجل احمد من السيارة ونظر حوله ، كانت معظم السيارات في المكان قد تحطم زجاجها وهناك اشخاص مصابين قد سقطوا على الارض اما شرطي المرور فقد

اختفى. سار احمد باتجاه الانفجار ، كان متأكداً ان السيارة الزرقاء قد فُجرت عن بُعد بعد ان فشلت في تأدية الهدف الذي جهزت من اجله.

بعد ان شاهد احمد حجم الدمار الذي احدثه الانفجار عاد الى السيارة ونظر اليها ، كان قد تحطم زجاجها و تحطمت مقدمتها من الانفجار ، ادرك احمد انه قد نجا من الموت بمعجزة.

حمل احمد حقيبته واغراضه وقرر الانسحاب من المكان قبل انتشار القوات الامنية. وسط الفوضى انسحب احمد بهدوء بعيدا عن مكان الانفجار ، قرر احمد الابتعاد ببطء ، لأنه تأكد ان منفذيّ التفجير هما فارس وعزيز وأنهما قد ادركا ان الشخص الذي اعترض طريق موكب "الهدف" وأفشل عملية الاغتيال هو شخص لديه معلومات عن العملية ومن يقف خلفها ولا بد انهما ورئيسهما سيحاولون البحث عنه ، كما ان الشرطة ستحضر بسرعة وستحقق مع شهود العيان وهو من بينهم وسيكون الحفاظ على سرية شخصيته صعبا مع وجود التنكر والهوية المزيفة في هذا الوقت العصيب.

في الطريق اخرج احمد هاتفه المحمول الذي استخدمه للتبليغ عن السيارة المفخخة واخرج منه بطاقة الهاتف واتلفها ثم اتلف الهاتف ، كان احمد يخشى ان يتم تتبع هاتفه والقبض عليه للتحقيق معه بسبب الابلاغ عن السيارة المفخخة.

سار احمد على قدميه حاملا حقيبته اليدوية ، كان هناك جروح طفيفة في يده وفي وجهه ، تجنب احمد المناطق المزدحمة ولجأ لاحد الافرع الجانبية الضيقة والهادئة وهناك تطلع حوله وتأكد من عدم وجود مراقب فخلع شعره المستعار و الملامح الصناعية من على وجهه ووضعها في الحقيبة ثم اخرج زجاجة منظف سريع رش منها على يديه ووجهه ، ثم مسح وجهه بمنديل ، رتب شعره ثم انطلق يسير وهو يحرص على ان لا يتبعه احد.

عندما مر أحمد على مطعم شعبي صغير طلب وجبة فطور سريعة ، جلس في المطعم بانتظار الوجبة واخذ يشاهد شاشة التلفاز التي كانت تعرض أخبار لقناة محلية تنقل مشاهد الانفجار المروع وشريط الاخبار ينقل عاجلها :

انفجار كبير في شارع الحمراء ... الانفجار يوقع اكثر من خمسين اصابة في حصيلة اولية ... فرق الاطفاء والدفاع المدني تسرع لمكان الحادث...

تناول احمد فطوره بسرعة ودخل الى المغاسل وغسل وجهه وحاول ازالة أثر الجروح او الانفجار عن جسمه وملابسه وتأكد من ان شكله مناسب ولا تبدوا عليه اثار الانفجار ثم انسحب بهدوء ، كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة صباحا ، استأجر احمد سيارة اجرة الى الفندق.

في الفندق استكمل احمد ترتيب خططه التي كان يفكر فيها في طريق العودة. وبدأ يرتب امتعته لمغادرة الفندق حيث ادرك ان بقائه فيه قد اصبح خطيراً.

فجأة احس احمد بصوت مفتاح باب الشقة يدور ، بسرعة حمل احمد حقيبته اليدوية التي جمع فيها جوازاته والاجهزة ووضعها على كتفه واسرع الى الصالة وبقفزات سريعة ، وقف بالقرب من الباب ،كان احمد غير مسلح لذلك امسك احمد طاولة صغيرة كانت موجودة في الصالة وحملها بكلتا يديه و وقف خلف الباب ينتظر. فُتحت الباب بقوة ورأى احمد مسدس كاتم للصوت تمسكه قبضتين تتقدم عبر الباب ، انتظر احمد اللحظة المناسبة حين دخل صاحب المسدس بجسده عبر الباب.

في تلك اللحظة اطلق احمد مخزون الطاقة القصوى في ذراعيه ، ضرب احمد المسلح بالمنضدة التي يحملها بكل قوته محطما المنضدة ومسقطا المسلح على الارض والذي فقد مسدسه بسبب الضربة. توسط جسد المسلح فتحة الباب وتوقع احمد وجود مسلح آخر.

بقي احمد ممسكا بجزء من الطاولة المتحطمة واتجه ليقفز من فوق جسد المسلح الى خارج الشقة ، في تلك اللحظة شاهد مسلحاً ثانياً موجها مسدسه الكاتم باتجاه وجهه ، غطى احمد وجهه بقطعة المنضدة الخشبية و اندفع باتجاه المسلح الثاني مطلقا بصورة عفوية صرخة عالية لإرعاب العدو تعلمها عندما كان في القوات الخاصة.

في حركته السريعة سمع صوت الاطلاقات المكتومة تنطلق ، لكن جسده المندفع استمر باتجاه المسلح الذي تراجع ليرتطم ظهره بحائط الممر وفي حركة يسارية سريعة وجه احمد ضربة الى صدر المسلح فرغ فيها طاقة ذراعه

اليسرى. ثم انطلق احمد هاربا بأقصى سرعة ، اتجه الى السلالم واخذ ينزلها قافزا متجاوزا العدد من الدرجات ، كان تفكيره الان مقصورا على الفرار من اعدائه بأقصى سرعة. اثناء تلك الحركات السريعة احس احمد بألم في صدره من جهة قلبه ، تحسس صدره ، كان قميصه مخروقا بإطلاقتين استقرتا في درعه الواقي الذي يرتديه ، كانتا تنخزان صدره وتؤلمه ، لم يشعر احمد بهذه الاطلاقات في اللحظات الاولى بسبب تركيزه على الافلات من الموت.

وصل احمد سريعا الى الطابق الارضي. مشى بهدوء واسرع الى الخارج ، سار مسرعا مبتعدا عن الفندق واختفى في أحد الشوارع الفرعية ثم استقل اول سيارة اجرة صادفها.

ادرك احمد ان عملاء فواز استطاعوا بطريقة ما ، من تتبعه وانهم ربما استطاعوا كشف جهاز التجسس في ساعة اليد التي ارسلها الى فواز ومن ثم وبطريقة أخرى استطاعوا تتبع جهاز الاستلام الموجود في هاتفه المحمول او ربما استعملوا نظاما من التصوير بالأقمار الفضائية مكنتهم من تتبعه اثناء انسحابه من موقع الانفجار وذهابه الى الفندق.

في سيارة الاجرة اخرج احمد محموله المميز وضغط عدة مفاتيح سوية ولعدة ثواني وذلك لتدمير بطاقة الاتصال الموجودة فيه وايقاف جميع العمليات الالكترونية التي قد تستغل لتتبعه ، ثم اغلق الجهاز.

غادر احمد سيارة الاجرة في منطقة شعبية و اشترى قميصا جديدا وهاتفا محمولا صغيرا مع بطاقة تعريف جديدة و استأجر غرفة صغيرة في فندق صغير ، في الغرفة عالج جراحه السطحية الناتجة من الاطلاقات النارية وأخذ قسطا من الراحة بعد يوم مليء بالتعب والإجهاد.

قضى احمد وقته في التفكير والتخطيط للساعات المقبلة ، ثم أرسل رسالة مشفرة عبر محموله الى رقم هاتف خاص بالقيادة ليخبرهم بأنه تم إفشال عملية اغتيال مسؤول لبناني. وانه بخير وفي مكان آمن. بعد ذلك اتصل بحسن:

- **كيف الحال ؟**
- **بخير وانت ؟**
- **اشكو من بعض الحساسية.**
- **هل تناولت دواء ؟**
- **كلا.**
- **هل تحتاج ان اجلب لك دواء ما ؟**
- **نعم ، احتاج الى مجموعة.**
- **اين التقيك ؟**
- **في مطعم التفاحة.**
- **سآتيك في الرابعة.**
- **حسنا ، سأنتظرك هناك.**

- مع السلامة.

كانت هذه الرسالة مشفرة متفق عليها بطريقة مسبقة لتحديد موعد لقاء في أحد المولات.

******

في المول جلس احمد في مقهى صغير في الطابق الاول و يشرف على بوابة المصعد ، يستطيع ان يراقب منه بصورة جيدة ما حوله و يستطيع بسهولة ان يميز اي شخص مريب قد يقترب منه. كتب خطته وما يحتاجه من حسن بطريقة الرموز في ورقة كان قد هيأها مسبقا.

في الوقت المحدد انفتح باب المصعد وظهر حسن خارجا من المصعد ، ذهب حسن الى طرف ثاني في الطابق حيث جلس في مطعم و تناول وجبة سريعة مما سمح لأحمد لمراقبته ومعرفة انه غير مطارد.

تحرك احمد الى المصعد وتحرك بعده حسن ودخل معهم عدد من الشباب ، ما ان اغلق المصعد بابه حتى سلم احمد ورقته خلسةً لحسن.

وما ان فتح المصعد حتى تفرق الاثنان.

****

في عصر ذلك اليوم وفي عاصمة اخرى اجتمع الرئيس مع لواء هاني المشرف عن كتيبة الأهوال في اجتماع ثنائي وسري:

- **لواء هاني ، ماذا حدث في بيروت اليوم ؟**
- **سيدي ، في حوالي الساعة الثامنة من صباح اليوم بتوقيت بيروت ، حاولت شبكة جاسوسية لدولة معادية اغتيال الوزير سليم سمحان المرشح لرئاسة الحكومة المقبلة ، وقد استطاع عميلنا رقم ٤٠ افشال العملية بمنع موكب الوزير من المرور في الشارع الذي تم وضع المتفجرات فيه ، لكن منفذو العملية قاموا بتفجير السيارة المفخخة المعدة لتنفيذ عملية الاغتيال بعد علمهم بان العملية فشلت.**
- **ما كان هدفهم من الاغتيال ؟**
- **سيدي الرئيس ، كما تعلم الوضع متأزم في بيروت ، ولو نجحت عملية الاغتيال فإنها ربما كانت ستشعل حربا اهلية لو قدر الله. ونحن كانت لدينا معلومات مسبقة عن وجود مخطط لتنفيذ جريمة نوعية في بيروت لذلك نحن منذ مدة نتابع هذه التحركات و قد وجدنا ادلة على رئيس الشبكة التي حاولت تنفيذ العملية.**
- **عمل جيد لواء هاني ... لا تعطوا فرصة للجواسيس من تدمير بلداننا ... امسكوهم بالأدلة واقضوا على شرورهم.**

****

استمر احمد مختفيا ينتقل من فندق الى آخر و يتجول في بيروت خوفا من أن يكون مراقبا ، في انتظار ان يصله اتصال من حسن.

كان احمد قد سلم لحسن ورقة فيها تفاصيل معلوماته عن حادثة الانفجار ووجهة نظره عن فواز وتفاصيل خطة لإيقاف فواز وعصابته. كانت الخطة تتطلب موافقة القيادة عليها لتحديد موعد لذلك وكان على حسن إجراء الاتصالات اللازمة و التحضير للخطة في حال تمت الموافقة عليها.

***

القبض على الرأس:

بعد ليال من الانفجار ، كان فواز في موكبه وهو يتحرك باتجاه قصره تحت ضلال اشجار الارز وضوء الشمس يلامس الاشجار العالية بلطف و هو يغيب خلف الافق.

كان فواز ما زال يُقيّم الوضع الحالي الذي آل اليه الحال ، فمنذ اكثر من عشر سنوات لم تفشل له عملية ، والاهم ان هذه العملية كانت شديدة الاهمية كما انها فشلت بفعل فاعل مجهول الهوية ، هذا معناه انه اصبح مكشوفا وان مسؤوليه في الخارج سيعيدون تقييم كفاءته وربما يستغنون عن خدماته وعند ذاك ماذا سيكون مصيره ، كانت هذه الافكار تدور وتتشابك في عقله مسببة له القلق بشكل لم يشعر به منذ زمن طويل.

اثناء تلك الافكار واثناء استدارة الموكب في احدى المنعطفات اهتز فواز نتيجة انفجار و صوت عالي هزّ سيارة المقدمة وأخرجها عن الطريق تبعه انفجار في الخلف ، ضغط السائق المكابح بقوة بعد أن انقلبت سيارة

المقدمة امامه على جانب الطريق وسدته . انفجر اطار عجلته الامامية ، حاول السائق الرجوع لكن انفجار الاطار الخلفي بصورة قوية اوقفه بالإضافة الى انه شاهد السيارة الثالثة قد انقلبت خلفه ايضا.

كان احمد وحسن ، وحسب الخطة التي وضعت ، قد استعدا في منعطف في طريق العودة لبيت فواز. كان الاثنان يحملان قاذفتين صغيرتين وقد اختفيا وسط الاشجار وعندما عبر الموكب المنعطف وخفف سرعته رمى احمد السيارة الاولى و رمى حسن السيارة الاخيرة. استعمل الاثنان مقذوفات ارتجاجية اصابتا السيارتين اصابة مباشرة ، و لان السيارتين مدرعتان اصيب من فيها ببعض الكسور والجروح غير المميتة.

بعد ذلك تقدم الاثنان واطلقا النار على اطارات سيارة فواز ، تقدم احمد وحسن وهما يرتديان قناعين وقد رفعا مسدسيهما الكاتمين باتجاه سيارة فواز بعد ان تأكدا ان افراد الحماية في السيارتين الأُخريين قد تم تحييدهم و استبعاد خطرهم.

تفاجأ السائق ومرافقه في السيارة بمسدس موجه لوجه كل واحد منهما ، همَّ كل واحد منها بإخراج سلاحه لكن احمد اطلق طلقة تحذيرية على زجاج السيارة الامامي المدرع فاخترقته كانه قطعة من الورق المقوى ، ثم خاطبهم احمد :

- **لا نريد قتلكم ، افتحا نافذتيكما و ضعا ايديكما فوق رأسيكما.**

ادرك الحارسان صدق احمد وجديته فالطلقة الخارقة للدروع التي اطلقها تتيح له قتلهما في الحال بدون ان يحركا ساكنا.

انزلا نوافذ السيارة و وضعا يديهما فوق رأسيهما فأخرج احمد جهاز صعق فقام بصعق الحارسين ثم ضغط احمد زر فتح الابواب.

فتح حسن الباب القريب من فواز الذي كان يشاهد ما يجري باندهاش مستسلما لما يجري ، صعق حسن فواز بجهاز يحمله معه ، وسحبه لخارج السيارة واسرع اليه احمد فساعده في ذلك ثم حملاه من ذراعيه الى داخل الاشجار حيث كانت سيارتهما تختفي ، وضعاه في صندوق السيارة وكمموا فمه و غطوا عينيه ، ثم شدوا وثاق يديه وقدميه.

ركب احمد وحسن السيارة بعد خلعا قناعيهما ، قاد حسن السيارة باتجاه الغرب مبتعدا عن موقع العملية. استغرقت العملية قرابة من دقيقتين و قاد حسن بهدوء لكي لا يثير الريبة ، كان عليهم الوصول الى شاطئ بيروت بسرعة قبل ينتشر خبر العملية ويبدأ البحث عن فواز.

وصلت السيارة الى شاطئ بيروت في منطقة مهجورة وقليلة الحركة ، اوقف حسن السيارة و الشمس قد غربت منذ ربع ساعة. فتح حسن صندوق السيارة ونزل الاثنان من السيارة وفي الصندوق وضعوا فواز في كيس جلدي شبيه بكيس الجثث بعد ان حقنوه بمخدر ، ثم وضعوا باقي الاسلحة

والمعدات في حقيبة جلدية اخرى. ثم وقفا الى جنب السيارة ينظران الى البحر الذي انعكس على سطحه لون السماء و الشفق الاحمر.

اخرج حسن جهازا صغيرا وارسل اشارة قصيرة ثم اعاد الجهاز الى جيبه.

احمد – ما اجمل لبنان ومنظر البحر.

- انت لم ترى سوى بيروت ، ولبنان كلها جميلة ولولا الاعداء وما زرعوه في هذا البلد من اعوان وعملاء لعاش شعبها في اسعد الاحوال.
- الايام السعيدة قليلة في هذا الزمن.
- للعلم فقد قامت الاجهزة الامنية اللبنانية بتوزيع صورتك على انك متهم رئيسي في انفجار بيروت لذلك تم اتخاذ قرار من القيادة بالعودة عن طريق البحر.
- حسنا ... لقد ادركت خلال هذه الاحداث ، ان اجهزة المخابرات المعادية في لبنان تمتلك امكانيات واسعة للعمل والتحرك ... لذلك فان عودتي عن طريق البحر ستكون أسلم.

بعد دقائق من الانتظار ، لمع قرب المياه ضوء ثم انطفأ عدة مرات في شفرة ضوئية متفق عليها ، ارسل احمد اشارة ضوئية اخرى باتجاه مصدر الضوء.

- لقد وصلوا.

ثواني واقترب غواصان مسلحان قادمان من تحت الماء. قال احدهما :

- **ستة ، مئتان ، تسعة.**

كانت هذه كلمة السر فأجاب حسن بالجواب :

- **أي ، أس ، أف.**

سلم الغواص احمد بدلة غوص.

- **هذه ملابسك.**
- **اين الطرد ؟**
- **في صندوق السيارة.**

اقترب الغواصان من صندوق السيارة وحملا الكيس الجلدي وانطلقا به الى الماء ، بينما غير احمد ملابسه و ارتدى ملابس الغوص.

- **تشرفت بالعمل معك.**
- **وانا كذلك ، اعتنِ بنفسك.**

تصافح احمد وحسن مودعين احدهما الآخر ثم حمل أحمد الحقيبة الجلدية ، ولحق بالغواصين.

استقل حسن السيارة وانطلق مبتعدا.

بعد دقائق كان الغواصان وطردهما واحمد يستقلون عربة مائية تبتعد بهم عن الشاطئ.

****

بعد اسابيع قليلة استلمت اجهزة الامن اللبنانية تسجيلات للاعترافات التي ادلى بها فواز وقوائم بأسماء العملاء والشبكات التي ارتبطت بفواز و معظم المعلومات التي اعترف بها.

معركة البحر الأحمر

لغز رقم ٣٧:

في ساعة متأخرة من الليل في بيت احمد ، رن الهاتف رنة خاصة ، أستيقظ احمد من النوم ... فتح عينيه ونظر الى الهاتف وقرأ الرقم المتصل ، كان رقم الاستدعاء الفوري.

في اقل من عشر دقائق غير احمد ملابسه وركب سيارته مغادرا المنزل ومنطلقا الى المقر. ذهب مباشرة الى غرفة الاجتماعات وهناك اجتمع احمد مع رئيس القوة و مسؤول العمليات حيث تكلم الرئيس بصورة مقتضبة :

– ارسلت اليكم على عجل لأنه منذ ثلاث ساعات بعث لنا الرقم ٣٧ اشارة النجدة ثم بعد ذلك بثواني انقطعت جميع الاتصالات معه وفقدنا موقعه على الخارطة ...حاول قسم المتابعة والاتصالات خلال الساعات الماضية تحديد موقعه والاتصال به ولكن من دون جدوى ...انتم الاثنان ابقيا في هذه الغرفة وضعا خطة محكمة لإيجاد رقم ٣٧ وانقاذه ، في الصباح اريدكما ان تعرضا عليّ خطة متكاملة ، واضح ؟

– نعم سيدي.

اجاب الاثنان في صوتٍ واحد. انهى رئيس القوة كلامه بدون أن ينتظر أي رد و غادر الغرفة تاركاً الاثنين لتنفيذ الأمر.

نظر "ابو رامز" الى أحمد وقال :

– لنبدأ ...

أخرج "ابو رامز " محفظته ومن جيب سري فيها اخرج بطاقة ذاكرة صغيرة. كانت طاولة الاجتماعات عبارة عن شاشة عرض كبيرة تعمل باللمس ، وضع ابو رامز بطاقة الذاكرة في المكان المخصص لها من الشاشة وضغط عدة مفاتيح فأنارت الشاشة وبدأت بالعمل.

– مشروع ١٧ هو عملية تحقق وجمع معلومات عن ارخبيل دهلك التابع لدولة ارتيريا والتحقق من المعلومات المتداولة عن وجود قواعد اسرائيلية في جزر ذلك الارخبيل.

ظهرت على شاشة العرض خارطة ارخبيل دهلك ، ثم تابع "ابو رامز" شرحه :

– أرخبيل دهلك تجمع جزر في البحر الأحمر قبالة الشواطئ الإرتيرية قرب مدينة مصوع، عدد الجزر ١٢٦ جزيرة ، اثنتين منها جزر كبيرة وهي دهلك الكبرى ونهلق ، تشتهر هذه الجزر بصيد اللؤلؤ من الحقبة الرومانية وما زالت تنتج كميات كبيرة منه. من أصل ١٢٦ جزيرة هناك أربع جزر فقط مسكونة وبشكل دائم وهي دهلك الكبرى وهي الأكبر والاكثر سكانا ونهلق ونورا وحرمل. الحياة البحرية فيها متنوعة والطيور البحرية تجذب العديد من السياح ، ويقطن هذا الارخبيل ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ نسمة ويمتهنون صيد الاسماك والمرجان واللؤلؤ بالإضافة إلى تربية الماعز والجمال واللغات السائدة هي التغري والعفر ولغة الدهالكة ، ويمكن الوصول للجزر عن طريق ميناء مصوع.

وهي جزر صحراوية، وتقل المياه العذبة فيها لدرجة جعلت عدد الجزر المأهولة لا يزيد عن أربعة جزر فقط ، لعبت هذه الجزر دور هام كنقطة تجمع وانطلاق للهجرات العربية القديمة المتجهة صوب اليابسة باتجاه الشاطئ الإرتيري ، وعن طريقها كان يتم نقل التجارة واستقبالها، وبعد الفتح الإسلامي ازدهرت جزر دهلك وقامت إمارة إسلامية كان لها شأن كبير وشجع العرب على استيطانها وتعميرها ومن جزر أرخبيل دهلك وأهمها:

أ- جزيرة "دهلك الكبرى" و هي أكبر الجزر الإرتيرية فمساحتها تزيد على ٧٠٠ كم٢. وتبعد عن الساحل حوالي ٤٣ كم شرقاً. ، وعدد سكانها ١٥٠٠نسمة وهي تشبه سطح القمر في قسوتها لذلك يصعب التصديق إنها كانت محطات الهجرات القادمة من الجزيرة العربية ، وعلى ساحلها عدد من مراسي السفن التي تتجه إلى ميناء مصوّع ، وأراضيها صالحة للزراعة. وأغلب سكانها مسلمون من أصل عربي ، ويعملون في الزراعة والصيد والرعي حيث تنتشر بها المها العربية والغزلان والسلاحف الضخمة ، ونظراً إلى موقع الجزيرة الاستراتيجي ، القريب من باب المندب، ومن خطوط الملاحة الرئيسية في البحر الأحمر، فقد حاولت القوى العالمية الكبرى التمركز فيها، لإنشاء قواعد عسكرية ، خاصة أن في الجزيرة مطارا ومهبطا للطائرات العمودية وأرصفة عائمة ومحطات للاتصالات ومنارات لإرشاد السفن، إلى جانب ثروات اقتصادية، كالزراعة ومصايد الأسماك واللؤلؤ.

ب– جزيرة "ديسي": تقع على ثغر خليج "زولا" في طرف الساحل البعيد عن تأثير الرياح في جزيرة دهلك الكبير ، وتعطى الصخور ذات الأشكال الغريبة والنتوءات ملمحا خاصا لهذا الساحل، وحول كل امتداد أرضي يوجد كهف أو خليج محاط بتلال من الرمال البيضاء.

ج– جزيرة " نخرة" : تقع غرب جزيرة دهلك الكبير واتخذت كمنفى وسجن في الاستعمار الايطالي والإثيوبي.

د – جزيرة "فاطمة" : تقع عند مدخل خليج عصب. وتبعد عن الساحل ١٠ كم، وعن جزيرة بريم اليمنية حوالي ٦٠ كم. ومساحتها ٨ كم٢. وهي ذات أهمية استراتيجية، لمجاوَرتها الممر الملاحي في جنوبي البحر الأحمر، وهي تصلح للاستخدام كميناء عسكري، وفيها مطار.

ر– جزيرة "حالب": أكبر جزر خليج عصب. وتقع جنوبي جزيرة فاطمة بمسافة ٥ كم. وتبلغ مساحتها ٢٢ كم٢، وتكسوها الأشجار. وفيها قاعدة بحرية، ولهذا ، فهي ذات موقع استراتيجي مهم.

وتابع ابو رامز :

– قبل ٧٥ يوما تمت الموافقة على المشروع ١٧ و وهو مهمة لجمع المعلومات عن ارخبيل دهلك وقد تم اختيار رقم ٣٧ لإدائها ... هذه هي المعلومات المتعلقة ب ٣٧ ...

على شاشة العرض استعرض ابو رامز على مهل صور رقم ٣٧ و بيانات عن طوله ووزنه ومواليده و تحصيله العلمي ومهاراته . ثم استطرد قائلاً :

– وحسب الخطة تم ارسال رقم ٣٧ الى جزيرة دهلك حيث استطعنا الحصول له على عمل في مشروع استثماري هناك و كانت التعليمات ان يبتعد عن اي نشاط لمدة شهرين لكي يكّون له غطاء جيد لنشاطه ذاك ، وقد التزم ٣٧ بالتعليمات والاوامر وعمل بجد ليكسب ثقة رؤسائه في العمل ، قبل خمسة ايام اعطيناه الضوء الاخضر لبدء نشاطه في جمع المعلومات ، وكانت جميع تحركاته خلال الايام الخمسة الماضية محسوبة ولم يبتعد عن مكان عمله او خط سير تنقلاته العادية ، انظر هنا الى الخارطة.

على خارطة الجزيرة ظهرت مخططات ورسوم توضيحية للمشروع الاستثماري وطرق التنقل في الجزيرة.

– هنا موقع المشروع وهنا مكان سكن الرقم ٣٧ وهذا الطريق المعتاد الذي يسلكه للانتقال بين سكنه وموقع المشروع واليوم عن طريق متابعة تحركاته سلك نفس الطريق و في أثناء رجوعه توقف هنا وفي هذا المكان وفي الساعة العاشرة و واحد وخمسين دقيقة اطلق نداء النجدة ثم بعد ٧ ثوان انقطعت اشارة تحديد الموقع وانقطعت جميع اشارات الاتصال معه !

– انقطعت الاتصالات والاشارات ! لأنه وضع في مكان آمن ومعزول ؟

– لماذا لم تتوقع احتمال آخر ؟

– لأن هذه الاشارات لن تنقطع الا إذا سقط في جوف الأرض او في أعماق البحر ... بينما هو اختفى في طريق صحراوي وبعد ان ارسل اشارة نجدة تدل على انه توقع وقوعه في خطر حقيقي.

– ومن يكون من الممكن ان يمتلك تلك التجهيزات في ذلك المكان ؟

– عزيزي ابو رامز من خبرتي المتواضعة عرفت انني يجب ان اتوقع الأسوء ، علينا ان نتوقع من العدو اكثر بكثير مما نعلم عنه ... انا لا اقصد ان ابالغ في امكانياته ولكنه يفوقنا بسنوات في الامكانيات والتجهيزات والخبرات ولا استبعد إن رقم ٣٧ كان مراقبا طيلة الفترة السابقة وانهم انتظروا منه نشاطا ملحوظا لكي يقبضوا عليه.

– لكننا رغم ذلك تفوقنا عليهم في عمليات عديدة من قبل.

– ذلك صحيح ، انا أعني، اننا يجب ان نستعمل ذكاءنا وعقولنا للتفوق على امكانياتهم وان نحسب لهم الف حساب.

– حسنا لنعود الى موضوعنا الحالي ، انت تعتقد ان رقم ٣٧ ربما تم كشفه واعتقاله من قبل العدو ؟

– وهذا هو اعتقاد الرئيس ايضا لذلك ارسل علينا بسرعة في هذا الوقت المتأخر ، فرقم ٣٧ سيتعرض للتحقيق والتعذيب للاعتراف بما يعرف عن الجهاز.

– اذن يجب ان تكون الخطة سريعة و محكمة.

– خاصة ان العدو سيتوقع ارسال نجدة الى رقم ٣٧ وسيكون بانتظارنا ...

سكت الاثنان قليلا في لحظات من الاستغراق في التفكير قطعها احمد بكلمات غير متوقعة :

– سأعد قدحاً من الشاي ، هل أعد قدحا لك ؟

***

البحث عن المرجان:

استمر احمد و ابو رامز في الاجتماع الذي استغرق عدة ساعات من المناقشات تخلله طرح الافكار والاسئلة من الجانبين. مع اقتراب الفجر بدت الخطة تتبلور وبدأ الاثنان في مناقشة التفاصيل الدقيقة لمحاور تلك الخطة الى أن وصلوا الى مفصل مهم في تلك الخطة فقال احمد :

– نحتاج في هذه المرحلة الى رأي كابتن سليم فهو الوحيد الذي سيحكم على هذا الجزء من الخطة.

– سأتصل به واطلب حضوره بأسرع وقت.

خرج ابو رامز الى خارج غرفة الاجتماعات العازلة ثم عاد بعد قليل :

– سيوافينا الى هنا في التاسعة صباحا.

استمر الاثنان في وضع الخطة ورسم تفاصيل العملية.

في السابعة وصل الرئيس الى غرفة الاجتماعات وعرض ابو رامز الخطة التي توصلا اليها.

استمر الاجتماع في الحوار لحين حضور كابتن سليم الى غرفة الاجتماعات.

استغرق الجميع ذلك اليوم في سلسلة من الاجتماعات المتلاحقة انتهت بوضع التفاصيل الدقيقة لعملية الانقاذ التي سميت عملية "البحث عن المرجان".

بعد يومين طار احمد الى القاهرة وهناك حصل على هوية مستعارة لشخصية مجهولة تظهر انه شقيق لرقم ٣٧ حيث بدأ اتصالاته من هناك بمقر الشركة التي كان يعمل فيها رقم ٣٧ :

– الو شركة العمران ؟

– نعم ، مكتب شركة العمران للاستثمار ، تفضل !

– انا سامح سعيد اخ السيد عمرو الموظف لديكم.

– أهلا وسهلاً سيد سامح ، كيف استطيع خدمتك ؟

– انا احاول الاتصال بأخي منذ ايام وهو لا يجيب ، هل استطيع أن اطمئن عليه ؟

– سيدي ، ارجو ان تعاود الاتصال بعد ساعة وخلال ذلك سأستفسر لك عن السيد عمرو سعيد.

– اشكرك و سأعاود الاتصال بعد ساعة.

– الى اللقاء.

بعد ساعة عاود أحمد الاتصال :

– الو شركة العمران ؟

– سيد سامح سعيد ؟

– نعم ، هل هناك معلومات عن أخي ؟

– سيد سامح ، أخوك يعمل في مشروع الشركة في ارتيريا ، هل ذلك صحيح؟

– نعم.

– أخوك ، ترك العمل منذ ثلاثة أيام وهو غائب منذ ذلك الوقت و ليس للشركة أية معلومات إضافية.

– شكرا.

كانت اتصالات احمد هذه ضمن التصرفات الطبيعية التي يتبعها الاشخاص العاديون عند فقدهم الاتصال بفرد من أقربائهم. وتمت هذه الخطوات لتغطية عمل "احمد" في الساعات المقبلة ولإعطاء المصداقية على الشخصية التي سيدعيها خصوصا إن هذه المعلومات من المؤكد إنها ستصل الى الطرف الذي يحتجز رقم ٣٧. كان هناك احتمال ان رقم ٣٧ ما زال لم يبح بشيء من اسرار عمله او مهمته لمحتجزيه. لذلك كانت مهمة احمد تمثيل دور اخيه للبحث عنه و التعرف على خاطفيه والاتصال معهم للتفاوض معهم للإفراج عنه.

بعد الاتصال مع الشركة ، حجز احمد على رحلة طيران الى أسمرة عاصمة ارتيريا.

***

جزيرة المهربين:

على بعد مئات الكيلومترات من دهلك ، كان هناك قارب سريع يقترب من جزيرة كمران اليمنية من حدودها الشمالية الغربية ، كان هناك راكبان على ظهر ذلك القارب ، رقم ٤٦ و مندوب الكتيبة في اليمن "سيف" ، كان القارب

يقترب من ساحل الجزيرة بالقرب من قرية "مكرم" عندما بدأت زخات من المطر بالتساقط.

وصل القارب الى المرسى حيث توقف بالقرب من مجموعة من زوارق الصيادين ، ربطا القارب ونزل الاثنان الى الشاطئ.

كان هناك عدد من الصيادين الذين اقتربوا للترحيب بالسائحين الجديدين :

سيف – السلام عليكم .

– وعليكم السلام.

– انا سيف وهذا "جان" صحفي من فرنسا ، قدمنا من صنعاء.

انتحل رقم ٤٦ شخصية مصور فرنسي قادم الى اليمن في عمل صحفي.

تقدم احد الصيادين من سيف وقدم نفسه:

– مرحبا بكم في مكرم ، أسمي "محمد".

تصافح السائحان مع مجموعة الصيادين بعد ذلك ثم دعاهم "محمد" الى منزله وقدم لهم الشاي.

– "جان" غواص ومصور فرنسي يصور افلاما عن البحر الاحمر و مناطق الغوص و المرجان و اللؤلؤ ، وانا اصحبه كمترجم.

– اهلا بكم ، نحن نرحب بالسياح ونقدم لهم كل ما نستطيع من خدمة ومساعدة.

– جزاكم الله كل خير ، و الرجل سيدفع أي أجور تطلبونها مقابل ذلك.

– هل تحتاجون الى مكان تنامون فيه ؟

– نعم.

– لدينا اكواخ صغيرة للسكن ، انها غير مريحة ولكنها كل ما نملكه في القرية.

– لا بأس ، "جان" يقضي معظم وقته في الترحال و همه الوحيد هو الغوص والتصوير.

– تعالوا معي لأدلكم على مسكنكم.

تكلم سيف مع جان بالفرنسية وشرح له الحديث الذي دار مع الصياد وذلك لتمثيل أدوارهم بدقة.

تحرك الجميع الى الخارج حيث قادهم محمد الى كوخ صغير قريب من الشاطئ حيث سيكون منزلهم طيلة بقائهم في الجزيرة ، قدم جان الى محمد مبلغ من المال كدفعة مقدمة كأجرة للنزل و تعبه معهم بعد ان طلب منه احضار وجبة بسيطة له ولجان خصوصا انهم متعبين من السفر ، بعد ذلك حمل محمد و سيف امتعتهم من الزورق الى الكوخ.

بعد ساعة ارتفعت الشمس و توسطت كبد السماء و توقفت زخات المطر وعادت اشعة الشمس للظهور ، اخذ سيف و جان قسطا من الراحة ثم انطلق الاثنان وقد حمل سيف حقيبة جلدية كبيرة باتجاه تجمع من الصيادين.

– السلام عليكم ... هل تدلونا على كبير الصيادين في القرية.

– انه "ابو حمزة" يسكن في طرف البلدة.

– هل تدلونا على بيته.

تطوع احد الشباب من الجالسين فقام لإرشادهم الى بيت "ابو حمزة".

وصل الثلاثة الى بيت صغير حيث كانت مجموعة من الاطفال تلعب امام البيت حيث اشار الشاب اليهم للانتظار ثم اسرع الى داخل البيت ثم عاد مسرعا :

– سيخرج لكم جدي بعد قليل ؟

شكره سيف على مساعدته لهم.

ثوان وخرج لهم "ابو حمزة" كان شيخا قد تجاوز الستين من عمره خطت وجهه السنون ، طويل القامة ، نحيلا ولكن صلب البنية. تقدم ناحيتهم وقد التف الاطفال من حوله ، صافحهم الرجل ورحب بهم بحرارة ودعاهم الى الدخول الى البيت.

– سيد "ابو حمزة" ، اقدم لك جان انه صحفي فرنسي وهو يصور فيلما عن البحر الاحمر وعن كنوزه الطبيعية وعن صيد السمك واستخراج اللؤلؤ والمرجان وغيره .. وهو يود اجراء مقابلة معك امام الكاميرة حيث سيسألك اسئلة وانا اترجمها لك وانت تجاوب وهو يصور المقابلة و بعد ذلك انا سأترجمها له.

– لا بأس يا بني.

– نشكر لك ذلك سيد ابو حمزة ، هل نستطيع البدء الان ؟

– كما تشاء.

تكلم سيف بالفرنسي مع جان و وضح له استعداد "ابو حمزة" لبدء المقابلة.

أخرج جان من الحقيبة الجلدية كاميرة رقمية خاصة بالتصوير التلفزيوني ثم طلب من سيف مساعدته في ترتيب المكان ثم اختار مكانا مشمسا وزاوية جيدة للتصوير وثبت كاميرته ثم طلب من "ابو حمزة" الجلوس في المكان المناسب لتصوير اللقاء.

كان رقم ٤٦ أو "جان" مصورا حقيقيا لذلك اجرى ترتيبات حقيقية لإحكام الدور الذي يلعبه. بدأ جان بتشغيل الكاميرا وبدأ بإلقاء الاسئلة بالفرنسي و سيف يترجمها للشيخ ، كانت الاسئلة معدة سلفا وكان جان يقرأها من دفتر صغير حمله معه ، بدأت الاسئلة حول جزيرة كرمان والصيد فيها وايام زمان وهكذا ، وكان "ابو حمزة" يجيب بإسهاب وبسرور فقد كانت تلك الاسئلة تعيد له الذكريات الجميلة ايام الشباب و القوة ، استمرت نصف الساعة الأولى على هذا المنوال ثم انتقلت الاسئلة عن مصائد اللؤلؤ والمرجان وبدأت الاسئلة تبتعد عن جزيرة كرمان نحو الغرب ...

- سيد ابو حمزة ، انوي اكمال رحلتي الى جزيرة دهلك فهل ذهبت اليها ؟
- ذهبت اليها عندما كنت شابا مع ابي.
- هل ما زلتم تذهبون اليها ؟
- كلا ، منذ حدثت الحرب لم يعد بإمكاننا الاقتراب منها بسبب خفر السواحل.
- لدي ترخيص للتصوير هناك وسأذهب في الاسبوع القادم اليها وقد سمعت انها تحوي اكثر من ١٠٠ جزيرة ، فأي الجزر تنصحني بزيارتها ؟

– لقد ذهبت اليها منذ زمن بعيد وكنا نذهب الى دهلك فهي جزيرة كبيرة وجميلة وكنا نشتري منهم اللؤلؤ واشياء كثيرة.

– حسنا ، سيد ابو حمزة انا مصور واحاول اثناء عملي الحصول على لقطات نادرة وتصوير مناطق لم تصور بعد ، فهل تتذكر في جزر دهلك وجود اماكن غريبة او جزر مميزة او شيء من هذ القبيل ؟

– انها جزر عادية وجزيرتنا وجزرنا القريبة اجمل منها ... ولكني اذكر كمكان غريب اني زرت في طفولتي جزيرة المهربين ...

– جزيرة المهربين ، لقد شوقتني !

كان الهدف من رحلة الفريق الى كرمان هي جمع معلومات عن جزر ارخبيل دهلك وخصوصا عن جزيرة مليئة بالكهوف البحرية في أرخبيل دهلك يعتقد انها تصلح لتتخذها القوات البحرية الاسرائيلية قاعدة بحرية للغواصات والسفن العسكرية ، و بسبب العلاقة القديمة بين صيادي كرمان واهالي دهلك فانه كان من المتوقع ان صيادي كرمان لديهم معلومات مفيدة عن جزر دهلك ، لذلك وجدت رئاسة القوة ان جمع المعلومات من اهالي كرمان سيكون أكثر أمناً وسلامة لأفراد القوة بعد التطورات التي حصلت.

– انها جزيرة صغيرة ، ولكنها مليئة بالكهوف البحرية ، كان يختفي فيها القراصنة في القديم و المهربين و كهوفها جميلة وغريبة.

– هل تستطيع ان تحدد لي مكانها ؟

– يا بني لقد ذهبت لها في طفولتي ، و لا اذكر مكانها.

- **هل هناك من يعرف مكانها ؟**
- **اعتقد "سلمان" يعرف مكانها.**
- **هل هو موجود الآن في القرية ؟**
- **نعم.**
- **هل هي جميلة و مميزة وتستحق ان نصورها ؟**
- **اعتقد ذلك.**

استمر سيف و جان بطرح اسئلة عن الجزر الاخرى في ارخبيل دهلك ثم انتقلوا ليسألوا عن الغوص و انواع المرجان لتشتيت الانتباه عن موضوع دهلك بعد ذلك قاموا بإنهاء المقابلة.

- **أشكرك جدا سيد "ابو حمزة" ، قضينا معك وقتا جميلا.**
- **الشكر لله يا بني.**
- **هل يستطيع احد اولادك ان يدلنا على بيت "سلمان" ؟**
- **يا "أحمد" يا "أحمد" ...**

نادى الشيخ ، فجاء صبي في العاشرة .

- **ارشدهم الى بيت "سلمان".**
- **تعالوا معي.**

شكر سيف و جان "ابو حمزة" مرة ثانية وشدوا على يديه و ودعوه.

بعد دقائق وصل سيف و جان الى بيت "سلمان" ، كان الوقت قد جاوز العصر. دق سيف باب البيت الصغير ، دقائق قبل ان تفتح الباب ، ظهر من

البيت رجل في الخمسين من عمره مملوء الجسم ظهرت على وجهه علامات الدهشة عندما رأى سيف و جان ذي الملامح الغربية و هو يحمل كاميرة في يده.

– السلام عليكم.

– و عليكم السلام.

– سيد "سلمان" ؟

– نعم.

– انا سيف من صنعاء اعمل مترجم مع سيد "جان" وهو صحفي ومصور من "فرنسا" .

– ماذا تريدون ؟

– نحن نصور برنامجا عن افضل اماكن الغوص في المنطقة.

– حسنا.

– نود تصوير لقاء معك.

– ليس لدي وقت.

– سندفع لك أجرا مقابل ذلك يا سيد "سلمان".

– انا فعلاً ليس لدي وقت.

– اذن هل من الممكن أن تجيبنا على سؤال واحد ؟

– ما هو ؟

– اخبرنا "ابو حمزة" انك تستطيع ان ترشدنا الى جزيرة المهربين.

تغيرت التعابير على وجه "سلمان" من الدهشة الى الغضب :

– يبدو ان السنين قد اثرت على عقل "ابو حمزة" ... انا لا اعرف جزيرة المهربين و لا مكانها.

– سيد "سلمان" ، سيد جان يبحث عن مواقع ومناظر مميزة وقد أخبرنا "ابو حمزة" ان في جزيرة المهربين كهوف و مناظر جميلة و مميزة ، لذلك فقط نريد ان ترشدنا الى مكانها.

– انا لا اعلم عن ماذا تتكلمان ، هناك جزيرة كما تصفان ، لكني لم اذهب اليها منذ اكثر من ثلاثين عاما و لست متأكدا من مكانها.

– سيد سلمان فقط اوصف لنا الطريق وسندفع لك جائزة مقابل ذلك.

تغير وجه سلمان عندما سمع بالجائزة و صار اكثر تجاوبا :

– انا ليس لدي خريطة او ما شابه ولكني اذكر اننا للذهاب اليها ، كنا نبحر بعيدا الى شمال جزيرة دهلك ثم نتجه الى أقصى الغرب الى جزيرة اصغر بعد جزيرة نورة ... جزيرة فيها كهوف كثيرة ، لقد مر زمان طويل على ذهابنا اليها ومنذ الحرب لم نعد نستطيع الوصول الى تلك الجزر بسبب خفر السواحل.

– هل هناك اماكن اخرى جميلة للغوص او مميزة للتصوير ؟

بدأ سلمان يعدد اماكن الغوص الموجودة حول الجزيرة وسيف و جان يصغيان اليه متظاهرين بالاهتمام.

بعد ان انهى سلمان كلامه شكراه ودفع اليه جان مبلغا من المال جزاء المعلومات المفيدة التي اعطاها اياهم. عاد الاثنان الى مسكنهما حاملين معداتهما وفي جعبتهما معلومات ثمينة في انتظار يوم عمل شاق و طويل.

***

الوقوع في الفخ:

في اليوم التالي وصل احمد في ساعة مبكرة الى مطار اسمرة عاصمة ارتيريا ليبحث عن رقم ٣٧ بصفته شقيقه الاكبر ، و وفقا للإجراءات الاعتيادية نزل في احد الفنادق ، ثم استأجر سيارة الى السفارة المصرية حيث طلب مساعدته على ايجاد شقيقه "عمرو".

استقبله موظف في السفارة وبعد عدة اسئلة واستفسارات تم اجراء اتصالات بين السفارة و جهات حكومية في أسمرة ، تم اخباره بان اخيه مفقود وانهم لا يملكون اي معلومات عنه. شكرهم احمد وغادر السفارة و ذهب الى الميناء حيث حجز مكانا في عبارة لنقل المسافرين الى دهلك.

قبل زوال شمس ذلك اليوم وصل احمد الى ميناء دهلك. حيث استقل سيارة أجرة الى مقر موقع مشروع شركة العمران ، ما أن وصل حتى ذهب مباشرة الى مكتب مدير الموقع وطلب مقابلته. بعد انتظار لدقائق سُمح له بمقابلة المدير الذي استقبله بترحاب :

– اهلا وسهلا بك ، تفضل !

– انا "سامح سعيد" اخ "عمرو سعيد" الموظف لديكم.

– سامح سعيد ... تذكرته ، انه عامل جيد وتقني كفوء.

– سيدي انه مفقود منذ اربعة أيام واود ان اعرف هل لديكم معلومات عنه ؟

– سأتأكد من الادارة.

رفع المدير سماعة الهاتف واجرى اتصالاً وتكلم مع الادارة عن سامح سعيد الموظف لديه ، استمع لإجابات اسئلته ثم اغلق سماعة الهاتف وعاد الى مخاطبة احمد :

– سيد سامح ، الادارة ابلغتني انه غائب منذ اربعة ايام ، ولا يجيب على اتصالاتنا !

– ظننت انني استطيع ان اعرف معلومات اكثر منكم.

– انا اسف استاذ "سامح" ولكن معلوماتنا محصورة بوقت تواجده في الموقع ، وقد اكمل عمله وخرج من الموقع بسلام و امان ، تستطيع السؤال عنه في موقع سكناه.

– اشكرك سيدي على سعة صدرك.

خرج احمد من موقع المشروع واستأجر سيارة الى موقع السكن للأخ المفقود. سارت السيارة بأحمد دقيقتين قبل ان تعترضها فجأةً سيارة شرطة قادمة من الاتجاه المعاكس ، اوقف السائق سيارة الاجرة على اثر اشارة من احد الشرطيين في السيارة.

ترجل احدهم واقترب من سائق الاجرة وطلب منه اوراقه ، تطلع فيها ثم تحول الى احمد وطلب اوراقه كذلك ، اخرج احمد جوازه وسلمه اليه ، تطلع

في الجواز مليا ثم طلب من احمد الترجل من السيارة ، ترجل احمد من السيارة ففتشه الشرطي ثم قال له :

- ستأتي معنا.
- لماذا ؟
- سنتحقق من هويتك ، اعطني يديك.
- هل ستقوم باعتقالي ؟
- كلا ، انه اجراء احترازي ، مد يديك ولا تجبرني على استخدام القوة معك.

مد احمد يديه فقيده الشرطي بقيود حديدية ، ادرك احمد ان هذه هي الطريقة ذاتها التي استخدمت للقبض على رقم ٣٧ ، نظر احمد الى سيارة الشرطة فوجدها سيارة شرطة عادية من طراز قديم وبنظرة فاحصة وخبيرة لم يجد فيها ما يشير الى احتوائها على جهاز مضاد للاتصالات اللاسلكية. قاده الشرطي واجلسه في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة ثم طلب من سائق الاجرة التحرك. ركب الشرطي وسارت سيارة الشرطة قليلا ثم اتجهت الى طريق ترابي يمتد في الصحراء.

- اين تأخذوني ؟

قال احمد ، التفت الشرطي اليه ونظر اليه بنظرة صارمة :

- اصمت.
- اريد الاتصال بالسفارة.

– عندما نصل سنسمح لك بالاتصال.

كان احمد يدرك انها عملية اعتقال ولكن سياق العمل يفرض عليه التمسك بالدور الذي يؤديه الى اخر لحظة ممكن ان يستمر فيها. كان اعتقال احمد من قبل الجهة التي اعتقلت رقم ٣٧ واردا في خطة الانقاذ ، الا ان هذا الحدث المتوقع حدث سريعا جداً.

توقفت السيارة فجأة ، التفت اليه الشرطي :

– سأغطي رأسك ، ان حاولت المقاومة ستتعرض للضرب.

اخرج الشرطي كيسا قماشيا اسود وغطى به رأس احمد. ضغط احمد فص خاتمه واطلق اشارة النجدة وفعل اجهزة التتبع والتنصت التي يحملها معه. كان احمد يفكر في الثواني السبعة التي استغرقها المختطفون لرقم ٣٧ لتعطيل الاجهزة التي كان يحملها ، كان احمد يحسب الوقت في نفسه بحساب الثواني وينصت بحرص محاولا رصد الاصوات التي قد يسمعها خلال الثواني القادمة. ادرك احمد ان الذَّين اعتقلاه عنصران من الشرطة لكنهما عميلين لجهة اخرى وانهما سيسلمانه لتلك الجهة كما سلما رقم ٣٧ من قبل.

مرت الثواني العشرون دون جديد ، فكر احمد ان ترتيب عملية القبض على رقم ٣٧ كانت اكثر دقة لانهم كان يراقبوه ويعرفون تحركاته لذلك لم تستغرق عملية اختفائه اكثر من ٧ ثواني ، بينما طالت هنا بسبب ان موعد حضوره لم

يكن معروفا مسبقا لدى المختطفين وهذا يشير الى انهم احسوا بحضوره بعد وصوله الى موقع المشروع وان عيونا لهم موجودة في الموقع.

في الثانية الاربعين احس احمد بحركة كان صوت سيارة تقترب بسرعة عالية ، توقفت فجأة وساد الصمت احس بأصوات مكتومة لحركة اقدام تسير على الرمال تقترب منه. فجأة احس بوخزة في رقبته ، ادرك احمد انه حقن بمادة ما ولكن هل هي سم او مادة مخدرة ، تشّهد احمد "اشهد ان لا اله الا الله " وبدأ يفقد وعيه.

***

البحث عن القروش:

على بعد مئات الكيلومترات في جزيرة كرمان وفي فجر ذلك اليوم استيقظ سيف و جان وحملوا معداتهم المهمة تاركين خلفهم ملابسهم وامتعتهم غير الضرورية.

استقل الاثنان قاربهم السريع وانطلقوا الى عرض البحر وسط قوارب الصيادين المنتشرة في البحر. اوقفوا قاربهم وجلس الاثنان يراجعان تحركاتهما ، فتح جان خارطة مفصلة للمنطقة في وسط وجنوب البحر الاحمر :

– لنراجع الخطوات بدقة ، سنذهب الى موقع الغطس هنا لتجربة معدات الغطس ولنبعد عنا الشك حول هدفنا الحقيقي ، سأغطس لمدة رب ساعة واجرب اجهزة التصوير والمسح الصوتي ثم اصعد الى ظهر القارب ... بعدها سننطلق الى هذه المنطقة.

– سنقترب من جزيرة دهلك وسنتوقف على مسافة ٢٠ كيلومتر خارج المياه الاقليمية الإرتيرية .

– في حال تعرض لنا خفر السواحل اليمني ...؟

– سأبرز له اوراق الهوية اليمنية وسنقول اننا ضللنا طريقنا.

– وفي حال تعرض لنا خفر السواحل الإرتيرية ؟

– سأبرز له جوازي الفرنسي وسأقول اني من اصل يمني واننا ضللنا الطريق.

– وسنطلب منهم سواء اليمنيين او الإرتيريين ارشادنا الى طريق العودة ... ان استطعنا الوصول الى النقطة المحددة سأجهز معداتي من جديد واغطس وادور حول الشعب المرجانية باتجاه شمال جزر الارخبيل باتجاه الغرب بحثا عن جزيرة المهربين ... ستنتظرني لمدة اربع ساعات ، عند رجوعي سأرسل لك اشارة لأتأكد انك ما زلت في نفس المكان ان لم ترسل لي جواب على اشارتي سأعرف انك تركت موقعك ... قبل انتهاء الاربع ساعات ان تعرض لك خفر السواحل فارجع الى المياه الاقليمية اليمنية وانتظر تتمة الاربع ساعات ، ان لم ارسل لك اشارة ، عد الى كرمان وحمل اغراضنا وانسحب خلسة وعد الى صنعاء.

– حسنا وان تعرضتُ أنا للاعتقال سأرسل اشارة الاستغاثة.

– نعم ... حسنا لننطلق.

نفذ الاثنان الخطة الموضوعة فانطلقوا الى موقع الغطس قرب كرمان وارتدى جان ملابس الغطس وتفحص اجهزة التنفس واسطوانات الهواء وقفز الى

البحر و اخذ معه الكاميرة البحرية المتطورة ، غطس الى القاع الذي كان بعمق خمس عشر مترا وبدأ بالتصوير والتأكد من عملها ، ثم شغل جهاز الماسح الصوتي (السونار) الذي تم اضافته مع الكاميرة والذي يسمح له بتحسس طريقه في الاعماق المظلمة وكشف القطع البحرية والاجسام المعدنية الغاطسة على بعد عشرات الامتار، بعد التأكد من فعاليته ، اوقف عمله وعاد الى تصوير القاع والشعب المرجانية وهو يراقب ساعة يده ويحسب الوقت.

بعد نصف ساعة كان القارب يغادر الموقع بسرعة باتجاه الغرب. في اقل من ثلاث ساعات وصل القارب الى الموقع المحدد ، كان البحر خاليا الا من البواخر الكبيرة ولم تصادفهم قوارب خفر السواحل. كانت جزر دهلك على مرمى البصر اوقف سيف القارب واسرع جان الى حمل اجهزة التنفس ، ثم اشار الى سيف الى قاع القارب فاسرع معه ففتحا باباً سرية في قاع القارب ، كانت الباب تخفي حيزا في بطن القارب يضم جهازا اسطوانيا ذو رأس مغزلي ومن الجهة الاخرى يحوي مقابض للمسك ، كان طوله يصل الى المتر ، كان عبارة عن مركبة كهربائية ستمكن جان من الغوص والتحرك بسرعة والوصول الى هدفه دون بذل جهد يذكر ، تعاون الاثنان على اخراجه لثقل وزنه. وضعاه على ظهر القارب بحذر ، ثبت احمد على ظهره الكاميرة في موضع خاص بها ثم وضعا المركبة على حافة القارب التي مالت بسبب وزنه ، قفز احمد الى

البحر و وضع على عينيه نظارات السباحة وفي فمه انبوب التنفس ، ثم بحذر انزل سيف المركبة الكهربائية الى الماء حيث استلمها جان.

امسك جان المركبة من قبضتيها ، ثم اشار الى سيف الى ساعة معصمه دلالة على ضبط الوقت ثم القى اليه التحية وادار المحرك الكهربائي النفاث ثم غطس به الى الاعماق ، نظر سيف الى ساعته كانت تشير الى الحادية والربع قبل الزوال.

كانت مهمة جان وسيف جمع المعلومات عن جزر دهلك وهدفهم الاساسي هو تحديد موقع القاعدة البحرية الاسرائيلية في تلك الجزر والتي قد تشكل بما تضمه من قطعات بحرية مثل الطرادات والغواصات الخطر الاكبر على غواصة القرش الازرق في حال حاولت الاشتراك في انقاذ الرقم ٣٧.

كان حصولهم على معلومات عن جزيرة المهربين اضافة مهمة ستمكن جان من تحديد موقعها بشكل أسرع و جهد أقل ، كانت طبيعة جزيرة المهربين و تضاريسها تجعلها مناسبة لإخفاء قاعدة بحرية وتوفير الحماية لها.

اقترب جان بعد ساعة من السباحة من موقع جزيرة المهربين بمساعدة مركبة الدفع الكهربائية النفاثة وبمساعدة اجهزة الملاحة الموجودة فيه، كان جان قريب من الشاطئ وسط الشُعب المرجانية لتوفر له غطاء يقلل من امكانية اكتشافه ، كان جان يغوص في عمق قليل وكان ضوء النهار يضيء الاعماق القليلة ، فينظر ما حوله وينظر الى جهاز الماسح الصوتي الذي يمسح المسافات البعيدة عن رؤية الغواص ، عند اقتراب جان من الجزيرة اضاءت

شاشة جهاز الماسح بإشارة مميزة مشيرة الى وجود اجسام كبيرة طافية في الماء ، فوراً أطفأ جان المركبة وتوقف في مكانه ، خشيَّ جان من ان تكون هذه الاجسام مجموعة من الغواصين ولكن مع مرور الثواني تبين له ان هذه الاجسام ثابتة و تقع على مسافة ١٠٠ متر ، ترك جان المركبة على القاع وسبح بحذر ليستكشف ماهية هذه الاجسام ، تقدم جان ببطء ، امتار وبدأت الرؤية تتوضح ، كانت هناك اجسام تطفو وسط الماء على مسافة من القاع ، عند مسافة معينة توقف جان وقد اصبحت الرؤيا واضحة والصورة مفهومة كانت مجموعة كبيرة من الالغام البحرية الثابتة المضادة للسفن والافراد مثبتة بنظام لحماية الساحل من اي تسلل.

– اذن هذه هي الجزيرة.

قال جان في نفسه وبدأ بالتراجع قليلا ثم ضغط على جهاز يحمله في حزام وسطه ، ارسل الجهاز اشارة الى غواصة القرش الازرق لتحديد موقع قاعدة العدو. سبح جان عائدا الى موقع مركبة الدفع ، عندها احس فجأةً بحركة قربه ، نظر حوله ، رأى فوقه قرشا يصل طوله الى مترين. كان ذلك مفاجئا ومنذرا بوجود المزيد منها. أسرع جان الى مركبته وشغلها وبدأ بالانسحاب بسرعة من المكان.

***

لقاء مع العدو:

في مكان ما بدأ احمد يستفيق ، كان اول ما شعر به اصوات اشخاص يتكلمون ، لكنه لم يكن يستطيع تمييز لغتهم او عددهم بسبب تأثير المخدر فيما كان لا يستطيع فتح عينيه او الشعور بباقي جسده.

ساد الهدوء لفترة ثم سمع صوت يخاطبه بلهجة غريبة :

– هل بدأت تستيقظ ؟

كان احمد لا يستطيع الكلام او الحركة ، لذلك انصت و قد بدا كأن هذا الصوت قد سمعه من قبل.

– رفاقي طلبوا مني ان اسلمهم اياك فور اعتقالك ... لكني احببت ان أسدد لك دينا قديما ... هل عرفتني ؟... ربما سمعت صوتي سابقا ...

أثارت احمد جملة (رفاقي طلبوا مني ان اسلمهم اياك فور اعتقالك) فهذه الجملة تعني انهم كانوا يتوقعون مجيئه ! وهذا يعني انه اصبح مكشوفا لديهم.

عمل عقل احمد بسرعة ليستذكر هذا الصوت واللهجة فلا بد انه يعرفه من خلال عمله ... بسرعة خاطفة استذكر الحاسب البشري ذلك الصوت ! ، انه صوت "ابو الأسود" ، انها حقا مفاجأة ويبدوا جليا انه قد تعرف اليه ،

– خلال دقائق قليلة ستستعيد شعورك ... وستتمنى لو لم تفعل ... لو لا إن رفاقي طلبوا مني تسليمك اليهم معافا لقُمت بتقطيعك الى اجزاء.

ايقن احمد ان هذا الشخص هو "ابو الاسود" وانه يود الانتقام منه نتيجة الاصابات التي أحدثها له في عملية الصحراء ، ويبدوا ان "ابو الاسود" والذي

تم التعرف عليه لاحقا بانه عميل اسرائيلي محترف قد تم نقله من غرب افريقيا ليعمل في البحر الاحمر في جزر الارخبيل.

بدأ احمد يستعيد شعوره وأدرك انه جالس على كرسي ومقيد بالحبال واخذ يشعر بألم القيود في كفيه وقدميه ، ومع مرور الثواني بدأ احمد يفتح عينيه وبدأ يبصر ضوء خافتا في وسط الظلام.

– بدأت تستيقظ ...

قال "ابو الاسود" تلك الجملة ، قبل أن يتلقى احمد لكمة مؤلمة في وجهه ، تبعتها اخرى ، في ثواني قليلة تلقى احمد مجموعة من اللكمات طالت وجهه و صدره و بطنه لم يستطع تبيان من كان يكيلها ، غلب احمد الألم الذي عم جسده ، فلم يستطع فتح عينيه او تمييز من كان امامه. بعد أن انتهى "ابو الاسود" من جلسة التعذيب.

– ارموه مع صاحبه.

عندئذ شعر احمد بأشخاص يحملونه من الكرسي ويسيرون به، ثم يهبطون به امتار عديدة ، ثم القوه بقوة على أرض صلبة آلمت باقي جسده.

رغم الألآم التي كان يشعر بها في وجهه حاول أحمد فتح عينيه و استطلاع المكان الذي فيه ، كان هناك مصباح معلق في السقف ينير المكان بشكل خافت ، كانت جدران الغرفة وارضيتها من الصخور ، كان المكان عبارة عن كهف صغيرٍ او غرفة محفورة في الصخور ، نظر خلفه بصعوبة كان هناك جسد مقيد مرمي على مسافة منه بدون حراك ، تحسس احمد أصابع يديه ،

لقد اخذوا منه الخاتم والساعة ويبدوا انهم افرغوا جيوبه من كل ما كان يحمله ، رغم ألم اضلاعه طوى احمد جسده ومد يده الى الخلف الى حذائه و اخرج سكيناً بلاستيكياً من جيب خفي في نعل حذائه ، كان هذا المكان الوحيد الذي لم يبحثوا فيه ، قطع أحمد قيد يديه ثم قيد رجليه.

قام احمد الى زميله ليتفحصه فوجده قد جرى تعذيبه والدماء تغطي وجهه واطرافه ، حرر احمد ٣٧ من قيوده ، تفحص احمد نبضه فوجده على قيد الحياة ، حاول احمد إيقاظه ولكن دون جدوى ، اخرج احمد من كعب حذائه حقنتين صغيرتين بحجم مضغوط تحويان عقارات منبهة و مقوية ثم حقنها في عنق ٣٧ ، انتظر احمد ثواني ثم بدأ يهز ٣٧ و يربت على وجهه بهدوء ، بدأ ٣٧ بعد دقائق بالاستيقاظ وفتح عينيه و نظر الى احمد :

- كيف حالك ... هل تستطيع الحركة ؟
- من انت ؟
- انا رقم ٤٠ ... لقد جئت لإنقاذك ... هل تستطيع الحركة ؟

بدأ ٣٧ يقاوم الالم ثم بدأ بتحريك اطرافه محاولا الجلوس.

- استطيع الحركة ... ولكن ببطء.
- يجب ان نخرج من هنا بسرعة ... سيقومون بتسليمنا للعدو و عندها ستصبح عملية الهروب اصعب.
- حسنا انا معك ...هل لديك خطة ؟

***

زرع الألغام:

كانت غواصة القرش الازرق تقبع في هدوء في البحر الاحمر في منطقة قريبة من دهلك بانتظار الاوامر . في مقر العمليات في الغواصة تم استلام اشارة جان ، على ضوء الموقع الذي تم ارسال الاشارة المتفق عليها منه ، تم تحديد موقع القاعدة البحرية للعدو. كانت الخارطة معروضة على الطاولة امام الضباط الثلاثة حيث تم تأشير موقع القاعدة.

كابتن سليم – هذه اذن الجزيرة التي تحوي قاعدة العدو البحرية.

– هل نبدأ بالخطة (ب) الان ؟

– ضابط "كامل" اعلن اشارة الحالة الحمراء وابدأ المناورة المطلوبة لتطبيق الخطة ب.

– سيدي ، سنحتاج الى الاقتراب من قاعدة العدو الى هذا المكان ثم ندخل في مرحلة الصمت الكلي لمدة خمس دقائق قبل خطوة عملية الاستكشاف.

– ابدأ على الفور بتطبيق الخطة ، ضابط "عمار" ألم يرسل رقم ٤٠ اشارة جديدة ؟

– كلا سيدي ، ما زلنا ننتظر.

– تابع المراقبة.

بعد ثواني اضاءت الانوار الحمراء في مختلف اقسام الغواصة معلنة بدء الغواصة في مرحلة العمليات العسكرية. ارتفعت الغواصة بضعة امتار وبدأت

تسير بسرعة بطيئة في هدوء مقتربة من جزيرة المهربين ، بعد ساعة وصلت الغواصة الى المكان المحدد لبدء خطوة الاستكشاف.

في ذلك المكان توقفت الغواصة تماما لمدة خمسة دقائق للتأكد من عدم وجود متتبع لها من غواصات اخرى ، بعد ذلك أطلقت الغواصة طوربيد الاستطلاع باتجاه الجزيرة.

تم ارسال الطوربيد لاستكشاف الجزيرة وتحديد ممر الدخول و الخروج للقاعدة الخالي عادةً من الالغام البحرية ، اقترب الطوربيد من الجزيرة وبدأ بإرسال الصور البصرية وصور الماسح الصوتي الى الغواصة حيث كان مقر العمليات مستمر في انعقاده بانتظار المعلومات والتطورات.

– سيدي ، تم تحديد مواقع الالغام والممر الامن لقاعدة العدو.

– والطوربيد ؟

– تم ابعاده باتجاه الساحل الافريقي لغرض اتمام الجزء الثاني من الخطة.

– هل تم اعداد انابيب الاطلاق الستة ؟

– نعم سيدي ، اربعة منها جهزت بالألغام واثنان بالطوربيد.

– كم ستستغرق عملية زرع الالغام ؟

– سنطلق ٢٤ لغما في خلال ٩٠ ثانية.

– ليس هناك اشارة من رقم ٤٠ ؟

– كلا سيدي.

– ضباط ، هذه اجرأ عملية سنقوم بها منذ عملنا في هذه الغواصة ، مصيرها ومصيرنا سيتوقف على دقة عملكم في الدقائق القادمة ، اضبطوا ساعاتكم وابدأوا التنفيذ.

في الساعة ٢:٠٠ ، بدأت الغواصة بإطلاق الالغام باتجاه مدخل القاعدة البحرية للعدو. كانت الالغام تنطلق وفق مسار محدد لتستقر في الممر المؤدي للقاعدة البحرية ، كانت الالغام تنطلق كالطوربيدات وتتجه بسرعة وهدوء الى مواقعها التي يتم توجيها اليها لتتوقف وتستقر في القاع الضحل في انتظار اي هدف متحرك يقترب منها ،كان الهدف من زراعة الالغام هو غلق الجزيرة امام حركة القطع البحرية ومنع غواصات وطرادات العدو من الخروج منها لمهاجمة غواصة القرش الازرق عند اشتراكها في انقاذ رجال كتيبة الأهوال. خلال دقيقتين تم نشر دفعات متتابعة من الالغام.

– سنبدأ مرحلة التشويش الان ، فعل الرمز ت٣٥٥.

كان الرمز يشير الى مجموعة من الخطوات التي تفعل عملية التشويش على العدو ، كانت عملية زرع الالغام عملية مكشوفة لا يمكن اخفائها لفترة طويلة عن أجهزة رصد العدو ، لذلك كانت خطة التشويش تستهدف اخفاء الموقع الحقيقي للغواصة بتفعيل اجهزة التشويش الموجودة في طوربيد الاستطلاع للتمويه عن موقع غواصة القرش.

***

معركة في الجزيرة:

في تلك الاثناء وبعد ان استعاد رقم ٣٧ قوته بدأ احمد تنفيذ خطته ، بدأ يدق على باب السجن لجلب انتباه السجانين ، بعد دقائق من الدق اقترب أحد المسلحين من نافذة الباب ، نظر الى الغرفة فرأى السجينين ممددين كما تركوهما وكان احمد يدق الباب بقدميه.

– ماذا تريد ؟

– ارجوك ، اعتقد ان اخي يحتاج لإسعافات لقد سكت فجأة اخشى انه يحتضر.

بدون ان يرد ، ذهب الحارس وبدأ ينادي زميلاً له ، ثواني قليلة وحضر مسلحان ومعهما شخص ثالث.

تظاهر احمد و رقم ٣٧ بانهما ما زالا مقيدين وسمح لهما الضوء الخافت بإخفاء امرهما ، فتح المسلحان الباب وادخلا الثالث ووقفا قرب الباب كانت المسافة التي تبعدهما عن احمد لا تزيد عن متر واحد.

اقترب المسعف من رقم ٣٧ ومال اليه ليتفحصه فيما كان المسلحان يراقبان ، بحركة مفاجأة هجم احمد على المسلحان فغرس سكينه في ذراع احد المسلحين التي تحمل البندقية ووجه لكمة في وجه الآخر ، فيما استطاع رقم ٣٧ من ايقاع المسعف ارضا واسكاته بسرعة ، اشتبك احمد مع المسلحين في قتال بالأيدي قبل ان يساعده ٣٧ ، في غضون ثواني تم القضاء على المسلحين.

تم ربط المسلحين الثلاثة واغلاق السجن عليهم و حصل احمد و رقم ٣٧ على اسلحتهم ، كانت بندقيتي كلاشنكوف و مسدس عيار ٩ ملم ، كانت البنادق مؤمنة مما منع المسلحان من استعمالها اثناء العراك ، كانت الزنزانة اسفل نفق مظلم ، عاون احمد ٣٧ في الصعود بسرعة الى اعلى النفق .

وصل الاثنان الى الاعلى وخرجا من النفق المحفور في الصخر ، فاجأهما المنظر كانا على قمة تلة صغيرة تطل على خليج صغير كثيف الاشجار وقد غطت هذه الاشجار كميات ضخمة من اكداس الاعتدة المختلفة والمؤن وخزانات الوقود ، كانت كميات الاعتدة الموجودة تكفي لتغذية حروب المنطقة لأشهر ، كما كان الخليج يحوي مجموعة من القوارب والسفن الصغيرة و يتواجد فيه عدد من المسلحين يتراوح عددهم بين العشرين و الثلاثين ، فجأة وهم امام هذا المشهد المفاجئ سمعوا نداءً ، كان هناك من شاهدهم من المسلحين ، اسرع احمد و ٣٧ بالهرب والابتعاد خلف التلة الصغيرة.

ارتمى الاثنان خلف مرتفع صغير وبدءا بإطلاق النار على المسلحين الذين بادروا بإطلاق النار ، خلال تلك الثواني ضغط احمد على جهاز صغير قد تم وضعه بين اسنانه الخلفية لحمايته واخفائه في حال تم اعتقاله ، كان الجهاز بحجم حبة الحمص وكان مصمم ليعمل لثواني قليلة فقط ، لذلك كان على احمد ان يتأكد انه في مكان مناسب لاستعماله خارج الانفاق والاماكن

العميقة في الارض ، بعد أن ضغط عليه انطلقت اشارة تحديد الموقع لتصل عبر شبكة من انظمة الاتصالات الى القرش الازرق.

كانت الغواصة تسير بهدوء مبتعدة عن جزيرة المهربين عندما وصلت اشارة احمد و تم تبليغ مقر العمليات بها .

كمال – سيدي ، الاشارة ... تم تحديد موقعها من هذه الجزيرة رقم ٥ شمال دهلك وجنوب شرق قاعدة العدو البحرية وتبعد عنا الان ١٢ كيلومترا.

– ابدأوا مناورة الانزال ، نقيب عمار ابدأ الاشراف والسيطرة على عملية القوات الخاصة.

– نعم سيدي.

– بعد الإنزال ، اقتربوا لأقرب مسافة ممكنة الى جزيرة رقم ٥ ثم ادخلوا في وضع الصمت الكلي.

في ثواني بدأت الغواصة في الارتفاع الى العمق المطلوب حيث تم اطلاق زورقين مطاطيين سريعين من مخزن الشحن فيها ثم بدأ رجال القوات الخاصة يخرجون مع اسلحتهم من كوة خاصة في سطح السفينة ، بعد دقائق انطلق الزورقان وهم يحملان عشرة رجال باتجاه الجزيرة رقم ٥ .

استمر احمد و ٣٧ في مقاومة المسلحين مستفيدين من الموقع المرتفع كما استغلا وجود اكداس السلاح و الخزانات القريبة من المسلحين باستخدامها سلاحا اضافيا لهما ، فكانا يطلقان النار على خزانات الوقود القريبة من

المسلحين ويفجرونها مما يحد من تحركات المسلحين. كان الاثنان يقاومان في انتظار وصول النجدة.

*** * ***

في ساعة متأخرة من ذلك اليوم كان رئيس القوة يجتمع مع رئيس الدولة ليطلعه على تطورات العملية :

– سيدي في الساعة ٢:٣٥ عند محاوله هرب عميلينا رقم ٤٠ و رقم ٣٧ اشتبكا مع المسلحين في جزيرة رقم ٥ في ارخبيل دهلك ، و في الساعة ٢:٥٥ وصلت قوة الانقاذ على متن الزوارق الى الجزيرة و اشتبكت مع المسلحين ... في الساعة ٣:٠٦ تدخلت وعلى نحو مفاجئ طائرتان عموديتان إسرائيليتان في الاشتباك الى جانب المسلحين ، وقد رد رجال القوة بإطلاق صواريخ مضادة للطائرات... نتيجة لتدخل طائرات العدو استشهد احد رجال القوات الخاصة واصيب اثنان آخران ، ثم قامت الغواصة في الساعة ٣:١٥ بإطلاق صواريخ على مخزون الاعتدة الموجود في الجزيرة مما ادى الى حدوث انفجارات وحرائق كبيرة استغلها فريق القوات الخاصة للانسحاب مع العميلين ٤٠ و ٣٧ ... في الساعة ٣:٢٦ قامت الغواصة بإجلاء الرجال وبدأت بالانسحاب، لكنها في الساعة ٤:١٢ تعرضت لهجوم بالطوربيد من طائرات للعدو مضادة للغواصات وقد استطاعت الغواصة الافلات من الهجوم ولكنها اصيبت بأضرار طفيفة جراء الهجوم.

– واين هي الان ؟

– لقد انسحبت الى ملاذ آمن.

– لقد قدمنا عدة تضحيات في هذه العملية ! ؟... هل كانت هذه التضحيات مجدية ومبررة ؟

– سيدي ، لقد تعهدنا لإفراد القوة باننا لن نتخلى عن أي منهم وكان علينا ان نوفي بذلك ، كما أردنا الحفاظ على هيبة القوة وعلى سريتها باسترجاع رجالنا وعدم السماح للعدو باستجوابهم ...واستطعنا في هذه العملية تحديد موقع القاعدة البحرية الاسرائيلية بدقة كما قمنا بتدمير مستودعات الاسلحة التي تستخدمها اسرائيل بتمويل حروب العصابات في منطقة البحر الاحمر.

– والغواصة هل ستبقى خارج البلد ؟

– سيدي ، وفق معلوماتنا فالعدو اطلق حملة بحرية كبيرة للبحث عن الغواصة وتدميرها ... لذلك نحن نعد الان خطة دقيقة لتمكين الغواصة من العودة بأمان الى البلد.

– نسق مع القوة البحرية و لتخرج قوة من قطع البحرية لحمايتها اثناء عودتها ؟

– حاضر سيدي.

– ورقم ٤٠ لقد اصبح معروفا من قبل العدو؟

– نعم سيدي ، نحن الان ندرس عمله المستقبلي في القوة .

– لا اريد التخلي عنه.

– مفهوم.

انطوت صفحات هذه العملية لتستمر في صفحات المستقبل.

الريح العاصفة

مرت اربعة اشهر على معركة البحر الاحمر وغواصة القرش الازرق ترسو في جزيرة نائية في المحيط الهندي. كانت هذه الجزيرة تبعد مئات الكيلومترات جنوب اليمن وهي جزيرة صغيرة مهجورة ، حوت الجزيرة على حوض طبيعي التكوين سمح لغواصة مثل القرش الأزرق بالدخول والتواري فيه.

تم اكتشاف هذه الجزيرة من قبل طاقم القرش الازرق منذ سنوات واصبحت مستودعا للمؤن ومكانا للتوقف والاستراحة في الرحلات الطويلة ومكانا آمنا للاختباء من مطاردات الاعداء.

بعد ايام من انسحاب الغواصة من البحر الاحمر توقفت الاتصالات بين القيادة في العاصمة و الغواصة وانقطع اتصالهم بالعالم الخارجي و كانت الوسيلة الوحيدة لمعرفة اخبار العالم هي المذياع الذي كانوا يستمعون عبره الى الاذاعات العالمية والعربية التي تصل اليهم.

ومرت الايام بطيئة بانتظار التعليمات ولكن دون جدوى. و الخبر الأهم الذي وصلهم هو استقالة الرئيس وتولي آخر لحكم البلاد.

كانت الغواصة متضررة من المعركة الاخيرة مما لا يسمح لها بالعودة بصورة متخفية الى الوطن وكان من المقرر ان تقوم القيادة في العاصمة بوضع خطة تؤمن عودة الغواصة بأمان الى البلاد ولكن الصمت الطويل من العاصمة اثار الشك والتساؤلات.

بالإضافة الى القلق الذي ساد الطاقم فان المؤن والطعام المخزون في الجزيرة قارب على النفاد. كان الضباط يُطمئنون البحارة بان التغييرات في الرئاسة في الوطن ربما شغلت القيادة العسكرية عنهم مؤقتا و ان الامر لن يطول اكثر.

كان ارسال اية رسالة او برقية الكترونية من الغواصة الى القيادة ممنوعا لأنه قد يكشف موقع الغواصة التي ما تزال مطاردة من قبل اجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والغربية منذ عملية البحر الاحمر.

في احد الايام استيقظ احمد مع ساعات الصباح الاولى كعادته وذهب للقاء الكابتن سليم كما اعتاد طوال اربعة اشهر منذ رسوهم في هذه الجزيرة. كان الكابتن سليم قد اتخذ عريشا له قريبا من مكان رسو الغواصة، مكانا للاجتماع مع ضباطه في النهار و مكانا للنوم في المساء. في ذلك الصباح سلم احمد على الكابتن سليم كالعادة لكن سليم رد السلام و نبرات صوته تشير الى انه يمر بحالة غير طبيعية ، رغم إنه طيلة الأشهر الطويلة التي مضت حافظ فيها الكابتن سليم على رباطة جأشه و هدوئه.

جلس احمد بالقرب من كابتن سليم الذي بدا عليه السهر وعدم النوم ... احس احمد ان امرا خطيرا قد حصل ، لكن ما هو !

قبل ان ينطق احمد بكلمة اخرج سليم ورقة مطوية من جيبه وسلمها الى احمد وقال :

– اقرأ.

كان الورقة عبارة عن برقية سرية وعاجلة من القيادة تطلب من الكابتن سليم العودة بالغواصة الى الوطن فورا.

– ماذا ! كيف ؟... الا يعلمون ان الغواصة متضررة وانها ستصبح هدفا سهلا للعدو.

كان احمد يعلم ان الغواصة قبل لجؤها في الجزيرة كانت قد أرسلت رسالة مشفرة الى القيادة بينت حال الغواصة و عدم قدرتها على تفعيل نظام الاختفاء بسبب الاضرار التي لحقت بها ، لذلك كان محتوى الرسالة مفاجئا جدا له.

كان رد فعل سليم على احمد أن اخرج ورقة اخرى وسلمها اليه.

– هذا هو الجواب.

فتح احمد الورقة الثانية كانت برقية سرية اخرى تخبر سليم بانه صدر قرار رئاسي يعتبر أية نشاطات عسكرية او استخبارية جرت خارج نطاق الاجهزة الرسمية للدولة في المرحلة السابقة هي تصرفات شخصية غير مسؤولة و تعد استغلالاً لإمكانيات الدولة بصورة غير شرعية وان جميع من اشترك فيها سيتعرضون للمساءلة القانونية والمحاكمة العسكرية.

– ما هذا ! من ارسل هذه البرقية ؟

– هذه من "ابو عامر".

كانت "ابو عامر" كنية تستعمل كاسم مستعار لقائد كتيبة الأهوال وهو اسم كان يستعمله الضباط الكبار للقوة فيما بينهم عندما كانوا يريدون الإشارة إلى قائد القوة بصورة سرية.

– ماذا يعني ذلك ؟

– هذه البرقية لو كانت جاءتني من غير "أبو عامر" لربما كان لها تفسير آخر ولكنها جاءت فور وصول برقية الاستدعاء و قد تم إرسالها عن طريق موجة خاصة لا يعلم بها الا عدد قليل من مسئولي القوة ومعناها واضح انه ينذرنا و يحذرنا من عواقب العودة.

– تقصد إن القرار الرئاسي صدر بخصوص القوة ؟

– بالتأكيد ، القرار معناه ان القوة أُلغيت وان جميع ما نفذناه من عمليات من اجل الوطن والامن القومي هي عمليات غير مشروعة واننا جميعنا سنتعرض للمحاكمة العسكرية فور رجوعنا للبلد .

كانت البرقيتان واضحتان و قد فهمها احمد ولكن القراءة السوداوية التي بينها سليم كانت مربكة و مفاجأة بشكل كبير.

– لقد أدركت ذلك فور قراءتي للبرقية ولكني رجوت أن تخبرني بتفسير آخر يخالف رأي أو أن أكون مخطئاً.

ساد الصمت لثواني ، استغرق احمد في تفكير عميق ، تعود احمد في حياته الشخصية والعملية على المفاجئات المؤلمة ، بالرغم إنهم عندما انظموا الى

القوة تم إعلامهم بان القوة غير رسمية وإنها ستعمل تحت غطاء غير رسمي من رئيس البلاد إلا انه لم يتوقع أن تجري الأمور على هذا النحو الصادم و المتسارع والمفاجئ.

– ماذا ستفعل ؟ قال احمد .

– البرقيات وصلت مساء أمس ومنذ ذلك الوقت وأنا أفكر بتعمق ... بالنسبة للبرقية الأولى فملخصها إنهم يطلبون منا الانتحار.

– ماذا ؟

– هذا هو واقع الحال ... تنفس سليم بعمق وتابع ... عندما يرسلون برقية يطلبون منا الحضور فورا وهم يعلمون بان الغواصة متضررة وبان هناك احتمال كبير بتدميرها في طريق العودة فذلك هو ما يريدونه ، يريدون منا أن ننفذ الأوامر وان ننتحر بتنفيذ أمر العودة .

– و لماذا يريدون ذلك ؟

– في حال تم تدميرنا فعليا في الطريق فستموت أسرار القوة معنا و لن تكون هناك تحقيقات أو محاكمات وأعمال كتابية كثيرة قد تصل إلى الرأي العام أو الصحف المحلية أو العالمية.

– والبرقية الثانية أرسلها "أبو عامر" ليحذرنا من العودة ؟

– نعم بطريقة غير مباشرة ، أرسل لنا فحوى القرار الرئاسي ولكنه قرر ترك الخيار لنا في العودة من عدمها.

– ألا تعتقد انك قد تكون مبالغا في تقدير الأمر أو انك ربما متشائما كثيرا.

نظر سليم الى احمد نظرةً فيها شيء من الغضب.

– هل تعتقد إني أبالغ ! ... لقد قضيت أكثر من ٢٥ عاما من عمري في الجيش ، هل تعتقد انه من المتعارف عليه في الجيش أو البحرية أن تترك قطعة بحرية كبيرة في البحر بدون ان يتم الاتصال بها لأكثر من ثلاثة اشهر ، هذا لم يحدث في تاريخ جيشنا ولم اسمع به من قبل في جيوش العالم ، هل تعتقد إني في هذه الأشهر الثلاثة التي مرت لم افكر في معنى ذلك ... برقية الامس لم تكن إلا تأكيد لما استقر في نفسي من ظنون ... لم يتصلوا بنا لأنهم أرادونا أن نخطئ وان نرم بأنفسنا في التهلكة ، كانوا يريدون إجبارنا على واحد من أمرين ، اما ان نخرق الصمت ونتصل بهم ونفضح موقعنا للعدو وتكون نهايتنا والامر الثاني ان نتحرك وان نصبح عرضة للتدمير في البحر.

كانت هذه الاستنتاجات صادمة لأحمد فمنذُ شهور خاطر هو بحياته وخاطر الكابتن سليم والطاقم بحياتهم من اجل انقاذ شخص واحد من افراد القوة والان سليم يخبره بان موتهم جميعا اصبح مرغوبا فيه من قبل الرئاسة.

– كابتن سليم هل تعتقد ان الامور تغيرت في البلاد بين ليلة وضحاها بحيث تحولنا الى خونة او خارجين عن القانون يتحتم التخلص منهم ... وهذه

الغواصة الا يفكرون فيها الا يفكرون في قيمتها المعنوية أو العسكرية أو المادية على الأقل ... ماذا حصل هناك ! هل تعرف شيء لا اعرفه ؟

الكابتن سليم – عندما قرر الرئيس السابق تشكيل القوة بعد اقتراح قدمه له "ابو عامر" عرض الفكرة على كثير من القادة العسكريين والأمنيين ، و ظهر هناك فريقين فريق قبل الفكرة وشجع عليها ، وفريق آخر رفض الفكرة مما جعل الرئيس يتراجع ، وبدلا من تشكيل القوة بشكل رسمي وإصدار امر رسمي بذلك قرر الطلب من "ابو عامر" تشكيل القوة بشكل سري وطلب المساعدة من قيادات الأجهزة التي أبدت ترحيبها بالفكرة ومن بينها قيادة المخابرات وقيادة القوات الخاصة و سلاح الغواصات وتم التمويل من هذه الجهات لتشكيل القوة ..

– وبعد ؟

– الفريق الآخر كان من وزارة الدفاع وسلاح الجو وهيئة الاركان و نواب الرئيس ...

– والرئيس الجديد هو نائب الرئيس وهو من الرافضين لفكرة تشكيل القوة ... صحيح ؟

– نعم.

– لكننا في القوة حققنا انتصارات وحمينا البلد والمنطقة من الكثير من المؤامرات ، و لم نفشل او نسبب خسائر للوطن ... كان من المفروض حتى

للرافضين للقوة ان يقيموا القوة وما أنجزته بدلا من حلها او محاسبة افرادها كأنهم خونة.

– عزيزي احمد انت ما زلت شابا طموحا شجاعا وترى الاشياء بمنظار الانسان الوطني البسيط ولكن يجب ان تعرف انه ليس كل الأشخاص مثلك ...هناك اشخاص يودون ان يعيشوا في سلام ، يكبروا ويموتوا في سلام دون أن يعرضوا أنفسهم للمصاعب أو المشاق ليس لديهم طموح سوى ان يأكلوا ويشربوا ويموتوا في سلام ... كذلك بعض الحكام يودون ان يبقوا على كراسيهم اطول مدة ممكنة وان يعيشوا ويقضوا فترة حكمهم في سلام ، قد يكونون حكاما صالحين يحمون بلدانهم ويبعدون عنها الحروب ولكنهم لا يعبئون لما يحصل حولهم حتى لو احترق ما حولهم او مست النار اخوانهم، و ربما يحاولون ان يرضوا من في الخارج حتى ولو على حساب شعوبهم.

– هل معنى ذلك ان الرئيس الجديد سيضحي بنا لكي يثبت لمن في الخارج انه مسالم وانه غير عدائي ؟

الكابتن سليم :

– سيفعل كل ما يظن انه سيبقيه اطول وقت في الحكم سيحاول ان يبعد اي شيء قد يعكر صفوه او صفو فترة حكمه.

– إذن كيف و متى سنعود ؟

– انا لن اعود.

– كيف ؟

– احمد لقد تجاوز عمري ٤٦ عاماً ، قضيت اكثر من ربع قرن من سنوات حياتي في البحر في خدمة وطني وشعبي ، كنت اتمنى يومَ ان اعود الى وطني لأتقاعد ، أن أعود كبطل ، ان أُكرم و اقضي بقية حياتي في بيت جميل وعيشةٍ كريمة ولكن أن أعود الآن وان أعامل كخائن و أحاكم كأحد المجرمين او الجواسيس و ربما يكون مصيري ان احكم بالإعدام رميا بالرصاص او أن اقضي ما تبقى من عمري في زنزانة ، كلا ، لن افعل ذلك من اجل حاكم انانيي.

– واين ستذهب ؟

– سأتدبر امري واذهب الى احدى الدول القريبة .

– والغواصة من سيعود بها ؟

– لن تعود.

– كيف ؟

– لن اخاطر بطاقم الغواصة ... الغواصة عبارة عن معدن يمكن تعويضها لكن هؤلاء الرجال الابطال لا يعوضون ، لهم عائلات وابناء بانتظارهم... الابحار في مثل هذه الظروف معناه تعريضهم للموت .

– إذن ماذا ستفعل ؟

– سأرسل الطاقم الى اليمن على انه طاقم لسفينة غارقة وسيسلم نفسه للسلطات اليمنية التي ستتصل بحكومتنا ثم سيتم ترحيلهم الى البلد ... الضباط سأزودهم باعتراف مكتوب باني اتحمل مسؤولية اي عمليات قامت بها الغواصة او طاقمها.

– والغواصة ؟

– لم أقرر بعد ... افكر في تسليمها لأقرب بلد عربي.

استغرق احمد في التفكير فقد مرت هذه الدقائق المليئة بالمفاجئات بسرعة اشبه بالكابوس.

– انت ايضا لن تعود... قال سليم لأحمد.

كانت مفاجآت سليم تتوالى بسرعة اربكت افكار احمد ، شعر بان سليم قد فكر وخطط لكل شيء وكانه كان يعد لهذا الامر منذ ايام او اسابيع ، كان سليم يفرض قناعاته بقوة بفضل شخصيته القوية والاحترام الذي يفرضه بسبب عمره وخبرته الطويلة.

– ماذا ! كيف ؟

– لن تعود ، لأنك اذا عدت ستنتهي اما الى المشنقة او ستقضي سنوات شبابك المتبقية في السجن وفي احسن الاحوال ستطرد من الوظيفة و ستعيش فقيرا مراقبا من اجهزة الامن وربما سيطاردك الموساد ليقضوا عليك ... احمد طوال فترة خدمتي في العسكرية لم ارى شخصا بمثل جرأتك و شجاعتك ،

انت بطل حقيقي ، هذا ليس إطراء لكنه حقيقة ، اقول لك ذلك لأني اعتقد انك يجب ان تحافظ على نفسك من اجل الوطن ، ما زلت في بداية شبابك وتستطيع ان تقدم المزيد لا يجب ان ينتهي عملك و انجازك بهذه السرعة ، سيكون هذا انتصار للعدو يجب ان تبقى لكي تعمل و تعيش حتى و لو خارج الوطن يجب ان تستمر في عملك.

– هل سأصبح هاربا خارج الوطن مثل المجرمين ؟ ... والى متى !

– لست مجرما يا احمد ، و اعلم انه مهما طال الزمن فلا يصح الا الصحيح ، سيأتي يوم و ستنصلح الامور في البلد وسيسمح لك بالعودة.

– واذا لم يأتي ذلك اليوم ؟

– تفاءل فما زلت شابا والعمر امامك ، لقد مررت في مواقف خطيرة و خرجت منها ، اصبر قليلا و سنخرج كلنا من هذا المأزق ان شاء الله.

مع ارتفاع الشمس بدأ ضباط الغواصة الثلاثة بالتوافد ، كان الضباط على علم بالبرقيات التي وصلت ، و ساورتهم الظنون و الشكوك السيئة حولها ، لذلك ما أن عرض عليهم سليم محتوى البرقيتان و عرض عليهم توقعتاه و ظنونه تقبلوها بدون نقاش كثير وبدت كأنها امور مسلمٌ بها.

بعد عرضه لواقع الحال المؤلم الذي يمرون به عرض عليهم خطته لتوفير الامان لهم ولطاقم الغواصة في انزالهم في اليمن ... كان الضباط يتلقون خطة سليم كأنها اوامر بسبب احترامهم الكبير له واحساسهم بانه حريص على

سلامتهم و ايصالهم الى بر الامان ، كما ان تعهده بتسليمهم اعتراف خطي بتوقيعه يقر فيه بمسؤوليته الكاملة على اي اعمال غير مشروعة قامت بها الغواصة و اخلاء مسؤولية طاقمها منها ، رفع ذلك الأمر من مكانته في انفسهم .

لكن الضباط بعد نقاش مع سليم اتفقوا على وضع خطوات محددة وآمنة لتنفيذ فكرة سليم.

في فجر اليوم التالي وقبل الضياء الاول انطلق زورق مطاطي بهدوء من الجزيرة باتجاه سواحل اليمن حاملا احمد ورقم ٣٧ و وبحاراً لقيادة الزورق.

وبعد ساعات من الإبحار وحسب خطة توقيتات دقيقة تسلل الزورق إلى إحدى السواحل النائية شرق جنوب اليمن.

كان الهدف من هذه الرحلة الوصول إلى مكان آمن يستطيعون منه إجراء اتصال لاسلكي بدون تعريض موقع الجزيرة للاكتشاف في حال استطاع العدو تحديد موقع الاتصال. هناك اتصل احمد بواسطة جهاز الاتصال المحمول بمندوب القوة في اليمن "سيف" . كان الغرض من الاتصال التأكد عن طريق "سيف" من واقع الحال في العاصمة و ما حال اليه امر القوة.

اكد سيف توقعات "سليم" بان معلومات واردة من مقربين من القيادات الامنية في العاصمة تبين ان قراراً نهائياً قد صدر بحل القوة و احالة قيادتها وضباطها الى التحقيق فيما تم نقل باقي منتسبي القوة إلى الأجهزة والتشكيلات الأمنية والعسكرية الأخرى.

اقتنع "احمد" أخيرا بشكل لا يقبل الشك إن كابتن "سليم" كان على حق في كل كلمةٍ قالها.

حسب الخطة الموضوعة ، أرسل "احمد" رسالة مقتضبة عبر موجة إذاعية عامة من الممكن التقاطها في الجزيرة.

كانت الرسالة مكونة من كلمة واحدة هي "نعم". كان إرسال هذه الرسالة الى الجزيرة معناه ، المضي في خطة "سليم".

بقي "احمد" ورقم ٣٧ و رفيقهم البحار في مكانهم لعدة ساعات لحين وصول "سيف" حيث نقلهم بسيارته الى داخل المدينة.

في ذلك اليوم كان "احمد" محبطاً ، شعر بأنه فقد جزءاً عزيزا من نفسه ، مفارقا أصدقائه ، تاركا أهله في الوطن في جهل من أمره ، وذاهبا الى مستقبلٍ مجهول.

الضياع بين بغداد و القاهرة

سامح سعيد:

وقف "عبد الحميد" يشاهد فرسه وهي تعدو وتدور في حلبة التدريب تروح جيئة وذهابا ، وفي يده كوب من الشاي الاخضر يرتشف منه بين الفينة و الأخرى.

اعتاد "عبد الحميد" قضاء عطلة نهاية الاسبوع في مزرعته خارج القاهرة بعيدا عن زحمتها وهموم العمل الكثيرة و المهام الكبيرة المكلف بها ، فبعد سبع وعشرين عاما قضاها في المخابرات فان السنوات الخمس الاخيرة التي شغل فيها منصب مدير مكافحة التجسس كانت الاصعب بسبب الاوضاع التي تشهدها مصر والمنطقة فمحاربة العصابات الارهابية وشبكات التجسس العاملة في مصر كانت من صلب نشاطات جهازه وكان العبء الاكبر في حفظ الامن في مصر يقع على عاتق جهازي الامن و المخابرات.

خلال السنوات الاخيرة وبسبب الاحداث الامنية الداخلية في مصر تركز عمل الجهاز على محاربة الشبكات الارهابية التي تمول العصابات في الداخل بالسلاح والمال ، و بالرغم من إن "عبد الحميد" لديه من المعلومات الكثير عن وجود شبكات تجسس لدول اخرى تعمل داخل البلد لكن مكافحة الارهاب كان لها الاولوية على جدول اعماله ومهماته لذلك ولأسباب سياسية

ايضا كان على الجهاز ان يتغاضى عن هذه الشبكات ويراقبها من بعيد و على مضض و ان يتدخل في حال الضرورة القصوى. لم يكن "عبد الحميد" مرتاحا لما آل اليه جهاز المخابرات المصري الذي كان في السابق يدير عملياته في الخارج في مختلف دول الشرق الاوسط والعالم.

كانت عطلة نهاية الاسبوع منفذه الوحيد لإعطاء نفسه فرصة للراحة والاسترخاء فصحته في الشهور الاخيرة اصبحت تتدهور فجأة وكان لابد ان يستمع لنصائح الاطباء ويقلل من التوتر والارهاق الذي يصيبه اثناء العمل في مقر مديرية المخابرات.

احس "عبد الحميد" بحركة قربه ، استدار ، كان حارسه الشخصي الذي لا يكاد يفارقه ليلا ولا نهارا ، اقترب بهدوء وبإطراقة رأس و صوت هادئ قال :

– سيدي ، مقدم "عصمت" ينتظرك في المكتب .

اومأ "عبد الحميد" برأسه معبرا عن سماعه للخبر ، انسحب الحارس بعد تحية عسكرية سريعة.

تعود "عبد الحميد" على هذه الزيارات المفاجأة ، حتى اصبحت اقرب الى الرتيبة فغالبا ما كان "عصمت" يزور "عبد الحميد" عصر الجمعة في بيته ليطلعه على آخر المستجدات في العمل واهم الاحداث في صباح ذلك اليوم.

كان "عصمت" رجلا في الاربعين قد ملأ رأسه الشيب ، هادئ الملامح ،

وقور الهيئة ، قد قضى سنوات كثيرة في ادارة المكتب.

تبادل الرئيس والمرؤوس التحية والمجاملات السريعة.

– ماذا لديك من اخبار يا عصمت ؟

– الخبر الأهم ، هو القبض اليوم على المدعو "سامح سعيد" في مطار القاهرة.

– "سامح " ....

ردد "عبد الحميد" الاسم في محاولة ليستذكر هذا الاسم ... فقد مر على ذهنه ولكن منذ مدة ليست بالقصيرة ، فبرغم ذاكرته القوية الا ان كثرة الاسماء التي تمر عليه يوميا تجعله يستغرق بعض الوقت ليستعيد قضية كل اسم يرد على مسامعه.

"سامح سعيد" ، بدأ "عبد الحميد" يستعيد قضية هذا الاسم فهي قضية تعود بدايتها الى تسعة شهور مضت ، عندما وردت تقارير استخبارية متعددة بأن انفجارات قوية وكبيرة شوهدت في احدى جزر ارخبيل دهلك و ان اصوات تلك الانفجارات سُمعت من مسافة كيلومترات من على سطوح السفن التي كانت تمخر مياه البحر الاحمر.

كانت التقارير المجموعة لدى جهاز المخابرات عن تلك الحادثة خالية من التفاصيل والمعلومات الموثقة ، لكن توافق حدوثها مع ورود تقرير من

المسؤول الامني في السفارة المصرية في ارتيريا يخبر عن قيام شخص مصري الجنسية يدعي "سامح سعيد" بالقدوم الى السفارة وطلب المساعدة في ايجاد اخيه المفقود الذي كان يعمل في جزيرة دهلك.

كان الفارق الزمني بين الحادثتين هو ساعات قليلة فقط لذلك كان الربط بين الحادثتين امرا مسلما به، و عند قيام المخابرات بالتقصي عن شخصيتي سامح و أخيه عمر سعيد تبين لها ان الشخصين مزيفان و ينتحلان شخصيتا مصريين مغتربين في الخارج منذ اكثر من عشرين عاما. وقد تبين للمخابرات ان المدعو "سامح سعيد" قد سافر الى ارتيريا عبر مطار القاهرة.

كان وقع هذه المعلومات في ذلك الوقت مذهلا ومثيرا فقد قام شخص مزيف الهوية في حركة بدت كأنها استعراضية او استفزازية بدخول مصر والخروج منها وتجاوز الاجراءات الامنية في مطار القاهرة ودخول السفارة المصرية في ارتيريا بجرأة بدون الخوف من كشفه.

اثار "سامح سعيد" بتصرفه ذاك حنق جهاز المخابرات المصري وادارة جهاز مكافحة التجسس على وجه التحديد فالجهاز لا يملك معلومات عن ذلك الشخص وكيفية دخوله مصر وما الذي كان يعمله فيها و ما سبب قيامه بدخول السفارة المصرية في ارتيريا مع علمه ان مثل هذه التحركات كانت توثق في السفارات وترسل الى اجهزة الامن.

استطاعت المخابرات الحصول على صوره من كاميرات المراقبة الموجودة في

السفارة والتي تمت مطابقتها مع الاوصاف التي قدمها موظفو السفارة. كما علم الجهاز ان "سامح" اختفى في دهلك وانقطعت اخباره بعد وصوله اليها.

لعدة اسابيع تلت حادثة دهلك ، تتبعت المخابرات المصرية المدعو "سامح سعيد" والخيوط والمعلومات التي قد تكشف عن هويته الحقيقية او الجهة التي يعمل لها ولكن دون جدوى.

اغلقت قضية "سامح سعيد" بعد شهرين من حادثة دهلك لقلة المعلومات ، ولكن قبل اربعة شهور حصل فيها تطور مفاجئ.

****

المخابرات المصرية:

مرت تلك القضية بسرعة في ذهن "عبد الحميد" بعد سماعه لاسم "سامح سعيد".

– متى ؟

– في الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم، كان على متن طائرة تابعة للخطوط العراقية قادمة من اربيل ، و متوجهة الى الجزائر.

– من القى القبض عليه ؟

– أمن المطار بأمر من جهاز مكافحة الارهاب.

– هل ما يزال في مكافحة الارهاب ؟

– نعم يا سيدي.

– اعمل طلب لجلبه الى جهاز المخابرات فورا.

وضع "عصمت" حقيبته المميزة على الطاولة الصغيرة امامه ، فتحها قلب فيها بعض الاوراق ، اختار منها واحدة ، ثم اقفل الحقيبة ، وضع الورقة فوقها و دوّن فيها بعض الكلمات ، كان "عصمت" في حقيبته تلك يحمل مجموعة نسخ من الكتب الرسمية والجاهزة للاستعمال ، قام "عصمت" و سلم الورقة الى "عبد الحميد" :

– تفضل سيدي.

كانت الورقة عبارة عن كتاب طلب لنقل "سامح سعيد" الى جهاز المخابرات مذيل باسم مدير المخابرات. تناول عبد الحميد الورقة ووضعها امامه على المكتب وسحب قلما من امامه ووقع الكتاب.

- اكمل الإجراءات بسرعة يا "عصمت" ... واتصل لي بعميد "سمير".

طلب "عبد الحميد" من "عصمت" الاتصال بسمير وهو معاونه في دائرة مكافحة التجسس، و لعلمه ان جهاز "عصمت" المحمول محمي بصورة ممتازة على عكس اجهزة اتصاله المراقبة من شتى الجهات. اخرج عصمت هاتفه الخاص وطلب رقما واتصل به ثم سلمه الى المدير :

– كيف حالك "سمير" ... هناك صديق ينتظرك في المديرية ... انها مفاجأة

... اهتم به ... مع السلامة.

كان "سمير" ضابطا قديما في جهاز مكافحة التجسس ، وقد اعتاد ان يقضي يوم الجمعة بين افراد اسرته ، كان ذلك يوما مقدسا لأسرته فهو اليوم الوحيد الذي يستطيعون فيه رؤيته والاستئثار به ، فهو في معظم ايام الاسبوع يقضي ما لا يقل عن اثني عشر ساعة في دائرته. لذلك كان الاتصال الهاتفي الذي تلقاه من رئيسه مزعجا له لأنه يعلم انه سيسبب الازعاج والضيق لزوجته التي قطع لها وعدا بقضاء عطلة الجمعة مع العائلة. قبّل "سمير" رأس زوجته معتذرا منها وقام ليتهيأ للذهاب .

كانت كلمة "الصديق" الذي استعملها الرئيس مجازية تستعمل للدلالة على جاسوس او عميل اجنبي ، ومن اتصال الرئيس الشخصي به بدا ان هذا الصديق مهم. كان "سمير" متشوقا لمعرفة من هذا الشخص المهم الذي أفسد عليه نهاره.

بعد خمس وعشرين دقيقة تقريبا وصل "سمير" الى مبنى المخابرات ، ما ان وطأت قدمه ارض المبنى حتى توجه الى مكتب "عصمت" فهو يعلم ان الرئيس اتصل به من هاتف "عصمت" الخاص ولا بد ان كل المعلومات في حوزته.

وجد "سمير" "عصمت" منشغلا كالعادة بأوراقه الكثيرة ، حياه وجلس ، كان من الواضح لدى "عصمت" ان "سمير" جاء ليستفسر منه عن الامر الذي

جعله يقطع استراحته الاسبوعية و يسرع الى الدائرة.

– عزيزي "عصمت"، أما كان من الممكن ان ينتظر الصديق بضع ساعات حتى صباح الغد ؟

– سيدي ، ربما لن تجده حيا حتى صباح الغد.

– لقد شوقتني ، من هو ؟

– "سامح سعيد".

اثار الاسم ذهن "سمير" المتوقد ، "سامح سعيد" ذلك الشخص المزيف المستهتر الذي دخل مصر وخرج منها بجواز مزيف وعبر مطار القاهرة ذي الاجراءات الامنية المشددة ليذهب الى ارتيريا ليقوم بحركة استعراضية بزيارة السفارة هناك وليكشف وجهه امام كاميرات السفارة ورجال الامن فيها.

ليس هذا الامر فقط ، فقد كان لهذا الشخص دور في الاعمال التخريبية والانفجارات التي دوت في جزر دهلك وكان في استعماله للجواز المصري في مهمته تلك جانب سيئ فقد كان من الممكن ان يعرض العلاقات المصرية الاسرائيلية او الارتيرية الى الضرر. ولكن الصمت الذي لزمه الجانب الاسرائيلي بصفته المتضرر الاول في حادثة دهلك كان مريبا.

لكن المفاجئ في قصة "سامح سعيد" كان قبل اربعة اشهر، عندما صدرت مذكرة قبض دولية من شرطة الانتربول باسم المدعو "سامح سعيد" مصري

الجنسية باعتباره ارهابي خطر قام بالتخطيط والتحضير لعدة هجمات ارهابية في دول المنطقة.

– اين تم القبض عليه ؟

– في مطار القاهرة.

– في مطار القاهرة !

– نعم ، و هو يحمل جواز يمني مزيف.

– وكيف تم التعرف عليه ؟

– جاءنا اشعار من الانتربول يعلمنا برقم الرحلة التي يستقلها وبيانات جوازه.

اثار هذا الامر استغراب "سمير" ، كان يدرك ان هذا الامر معناه ان الرجل كان مكشوفا قبلاً وان توقيت الاشعار ومكانه كان لغرض معين.

– متى قُبض عليه ؟

– في حوالي الواحدة والنصف بعد الظهر.

– اين هو الان ؟

– في جهاز مكافحة الارهاب.

نظر "سمير" في ساعته ، كانت الساعة تشير الى السادسة مساءاً .

– مضى عليه هناك اربع ساعات ونصف ... هل اصدرت امرا لجلبه ؟

- بالطبع ، هناك وحدة خرجت لجلبه قبل قليل.

- سأنتظر في مكتبي لحين جلبه.

- حسنا ، حظا موفقاً.

كان لدى "سمير" كم هائل من الاسئلة التي يود طرحها على المدعو "سامح سعيد" لذلك ذهب الى مكتبه واعاد فتح ملفات قضيته ومراجعتها استعدادا لاستجوابه.

***

عودة الوعي:

تنبه "احمد" من غيبوبته على ضجيج مزيج من الاصوات البشرية واصوات قرقعة الحديد و احس بقبضات قوية تمسكه لترفعه من الارض التي كان يرقد عليها. كانت ارض زنزانة انفرادية نتنة الرائحة ضيقة و مظلمة ، وُضع فيها "احمد" بعد فقدانه الوعي جراء التعذيب الذي تعرض له اثناء التحقيق في مديرية مكافحة الارهاب.

اخرجه الحراس من الزنزانة وحملوه من ذراعيه يتقدمهم اثنان من المرافقين المسلحين ومسؤول السجن . كان مسؤول السجن ينفذ امر التسليم الذي وصله من جهاز المخابرات.

كان "احمد" غير قادر على الوقوف وكان الحراس يمسكونه لمنعه من

السقوط. وُضع "احمد" في السيارة الخاصة بنقل السجناء الخطرين. كان لحركة السيارة واهتزازها بسبب مطبات الطريق اثرا في أيقاظ "احمد".

فتح "احمد" عينيه ليجد نفسه في عربة حديدية مصفحة وقد اوثقت يديه و قدميه بعدة سلاسل و جلس على جانبيه اثنان من الحراس الغلاظ. ادرك "احمد" انه يُنقل لمكان ما ولكن الى أين ! .. ولكن ما اثار عقله سؤال آخر : هو ينقل من أين ؟ كان دماغ "احمد" قد اصيب برجة جعلته يستعيد وعيه بصعوبة وكأن جزءا من ذاكرته قد تعطل لدقائق. كان دماغ "احمد" يستعيد نشاطه في محاولة لاستذكار أين هو و كيف وصل الى هذا المكان وكيف انتهى به المطاف الى هذه الحال.

***

مكالمة غريبة:

كان "احمد" منذ شهور عدة قد استقر في اليمن بعد ان لجأ اليها بعد الغاء "كتيبة الاهوال" وقرار كابتن "سليم" بعدم العودة الى الوطن. استطاع احمد بمساعدة "سيف" ان يستقر في اليمن وان يستأجر له سكن لائق ويشتري سيارة أجرة للعمل عليها. بعد ذلك ووفقا لمتطلبات الامن قرر الاثنان قطع جميع الاتصالات بينهما.

كانت الايام الاولى في اليمن صعبة لأحمد بسبب التحول المفاجئ والغريب في حياته ، فبين ليلة وضحاها تحول الى لاجئ وهارب و اضطر الى ترك

عمله السري الاستخباري والتحول الى العمل كسائق أجرة لكسب عيشه. لكن مع الايام استطاع احمد ان يتكيف للعيش في اليمن السعيد والجميل ولكن شوقه و حنينه لبلده ولأهله كان يزداد يوما بعد يوم.

قبل خمسة ايام كان احمد يقود سيارته عندما رن هاتفه و كان الرقم المتصل غريبا ، ليس رقما محلياً و لا يحمل مفتاحا دوليا .

تفاجأ احمد فهذه المرة الاولى التي يتلقى فيها اتصالا بهذا الشكل منذ وصوله الى اليمن وساوره شعور كان يراوده ايام عمله السري.

اوقف السيارة الى جانب الطريق وفتح الاتصال.

– السلام عليكم.

– السلام عليكم ، كيف حالك أخي "ناصر". ؟.

كان الصوت الآتي من الهاتف مميزا ومعروفا لأحمد كما إن اسم "ناصر" هو احد الاسماء المستعملة في شفرات التعارف المستعملة سابقا في القوة .. لذلك قرر "احمد" مجاراة الاتصال المجهول بانتظار استكشاف المزيد من المفاجآت.

– بخير، من معي ؟

– الم تعرفني ؟ ، انا "سلمان ابو فهد".

– اهلا وسهلا بك ، اعذرني لأني لم اميز صوتك ، كيف الاحوال ؟

- بأفضل حال ، كيف حال اخوك "كريم" ؟ كيف هي صحته ؟

- اجرينا له عملية في "الامارات" وصارت صحته أفضل.

- و "جابر" ما هي أخباره ؟

- جابر ما زال يدرس في كلية "الهندسة" ، انت كيف حالك و حال اولادك؟

- يقبلون يديك ، جميعهم بخير ، أخي العزيز ، لدي صديق بحاجة الى مساعدتك سأرسل لك رقمه ، ارجو ان تتصل به و تقدم له المساعدة ؟

- ان شاء الله سأفعل ما في وسعي ؟

- أشكرك كثيرا ، ارجو ان اراكم بخير .. مع السلامة .

- مع السلامة.

انقطع الاتصال مع آخر جملة ذكرها المتصل ، ولم يعد لأحمد شك في إن المتصل كان "ابو عامر" الرئيس السابق لجهاز "كتيبة الأهوال" ، كان صوته مميزا ويستطيع "احمد" تمييزه بسهولة . كانت شيفرة التعارف التي استعملها "ابو عامر" هي من الشيفرات القليلة المتداولة في القوة والتي تستعمل عند استعمال شبكات الاتصال المحلية و العالمية والاجهزة غير المؤمنة ، كانت هذه الشيفرة تتضمن ذكر عدد من الاسماء المحددة بترتيب خاص ، فتم ذكر اسماء "ناصر" و "كريم" و "جابر" وفق الشيفرة الخاصة و رد احمد بذكر اسماء "الامارات" و "الهندسة" وفق ترتيب الاسماء المذكورة ، طبقا لهذه

الشيفرة تم التعارف بين "ابو عامر" و "احمد" وتم تبادل الثقة بين طرفي المحادثة.

كانت هناك اسئلة كثيرة تدور في ذهن احمد :

- **كيف استطاع ابو عامر معرفة رقم هاتفه ؟**
- **ولماذا استعمل الشيفرة للتعرف عليه ؟**
- **و هل عادت القوة للعمل ؟**
- **و هل هناك مهمة تنتظره ؟**

أدرك "احمد" عند اتصاله الهاتفي باهله قبل اسابيع والذي كان هو الاول منذ وصوله الى اليمن أنه خرق اجراء امنيا وسيسمح بتحديد مكانه بسهولة ولكن شوقه لأهله لم يمنعه من المخاطرة خصوصا ان القوة تم حلها وانه لم يعد لا هو و لا القوة يشكلان خطرا على احد كما كان يعتقد.

لكن كيف استطاع ابو عامر معرفة رقم الهاتف ، عن طريق اهله ام عن طريق متابعة ورصد الاتصالات الواصلة اليهم. ولو كانت القوة قد عادت للعمل لما اتصل ابو عامر بنفسه ولكان استخدم رقما او جهازا آمنا للاتصال به ولكن لماذا استعمل صوته المجرد بدون تحوير !! خلافا لإجراءات الامان ، ربما لأتعرف عليه وأثق في مصدر الاتصال.

في اثناء انشغاله بالتفكير رن هاتفه منبها لوصول رسالة.

فتح الرسالة ، حوت الرسالة اسم ورقم هاتف محلي ووفقا للشيفرة التي كان قد تدرب عليها و بإجراء حسابات معينة استخرج الرقم الحقيقي المفترض ان يقوم بالاتصال به وكذلك كان الامر بخصوص الاسم الوارد في محتوى الرسالة.

رغم شكوك احمد الكثيرة الا ان رغبته في العودة الى الوطن و الى عمله وترك هذه الحياة الرتيبة و المملة دفعته الى ترك هذه الشكوك جانبا وتجاوز ما تعلمه من احترازات الامن والسلامة.

اتصل احمد بالرقم وتكلم مع صاحب الرقم الذي حمل اسم "خالد" ، كانت المكالمة عادية وتم التعرف بين الاثنان باسمي "خالد" و "ناصر" حيث طلب خالد من احمد اللقاء في احد مطاعم العاصمة في مساء ذلك اليوم.

اعاد احمد التفكير في الاتصال الهاتفي والأمر برمته مرات عدة و كان من الاحتمالات المطروحة في ذهنه وجود خدعة او مكيدة في الامر ، فكر احمد في تلك احتمالات وما هي الترتيبات التي عليه اتخاذها ليضع نفسه في موقف آمن.

في الموعد المحدد ذهب احمد للقاء "خالد" ، كان احمد يجهل شكله وجنسيته وان كان تكلم في الهاتف بلهجة يمنية صرفة ، و كان احمد منزعجا من طريقة اللقاء فهو سيقابل شخصا مجهولاُ بينما سيكون مكشوفا ومعروفا للمقابل الذي يجهل كل شيء عنه.

***

القرار الخطير:

ذهب احمد الى المطعم واختار طاولة في طرفه ليسهل عليه مراقبة المكان في انتظار خالد. كان المطعم مليء بالزبائن المحليين و تصعب ملاحظة اي شخصية غريبة في المكان. اقترب احد مضيفي المطعم من احمد وسلم عليه ثم ترك له قائمة الطعام على الطاولة. استطاع احمد بخبرته اكتشاف ان مضيفه لم يكن مضيفا عاديا.

سحب احمد قائمة الطعام ولاحظ انها كانت ثقيلة وممتلئة ، فتح القائمة فوجد في داخلها ضرفاً ابيضاً كتب عليه اسم "ناصر". اخذ احمد الظرف ووضعه في جيبه وقلّب في القائمة ، اختفى مضيفه وجاء آخر ليستلم الطلب ، طلب احمد وجبة خفيفة ليتناولها لكي تجري الامور بصورة طبيعية. كان احمد يعلم ان المدعو خالد لن يظهر تلك الليلة مرةً ثانية.

كان ذهنه مشغولا بأحداث ذلك اليوم المتسارعة. تحسر احمد على الزمن الماضي ، فقبل شهور عندما كان في القوة كان عدد الذين يعرفون هويته السرية لا يزيدون عن عدد الاصابع حتى اقرب المقربين كانوا لا يعرفون حقيقته ، و عند سفره في مهمة كانت تُتخذ جميع الاحترازات الامنية لحمايته و للمحافظة على سرية هويته. اما اليوم فقد باتت جميع هذه الاجراءات في مهب الريح فأبو عامر يتصل به مباشرة على هاتفه المحمول ثم يلتقي بشخص

مجهول يتعرف عليه ولا يعرفه ، وفوق كل ذلك هو لا يعلم ما هو المطلوب منه.

كان احمد يدرك ان الامر مثير للريبة ولكنه عندما لجأ لليمن فكر في البقاء آمنا فيه لحين توفر فرصة للعودة للبلد او العودة للعمل مع الجهاز حتى ولو خارج الوطن ، لذلك كان هم احمد منصبا في ان هذه المهمة قد تكون تلك الفرصة المنتظرة وربما الفرصة الاخيرة ، لذلك حاول التمسك بها رغم الشكوك التي تساوره في داخله تجاهها.

عاد احمد الى بيته وكانت المفاجأة حين فتح الظرف فوجد جوازاً ونقوداً وتذكرة طائرة ، وقصاصة صغيرة. امسك احمد بالقصاصة كان مكتوبا فيها : اربيل ، "روكان" وتحت اسم روكان دُوّن رقم هاتف محمول ، اما التذكرة فقد كانت رحلة ذهاب وإياب الى اربيل في العراق و تاريخها يشير الى تاريخ اليوم التالي والساعة الى الثانية ظهراً.

كان الجواز يمنياً ، فتحه احمد و كانت المفاجأة الأخرى فقد وجد فيه صورته الشخصية الحقيقية الرسمية ، المستعملة في ارشيف الجهاز و كان الجواز يحمل اسم "ناصر سالم". ازدادت شكوك احمد ومخاوفه الامنية فهذا الجواز يحمل صورته الشخصية على خلاف الحال في جميع الجوازات التي كان يحملها في مهماته فقد كان يجري عليها تحوير الكتروني تناسب تنكره والهوية التي يتقمصها.

ادرك احمد ان ما جرى في بلده من حل للجهاز ومحاسبة افرادها قد رفع غطاء السرية عنها وكشف جميع اسرارها.

لم يستطع احمد النوم في تلك الليلة فقد أثر توالي مفاجآت ذلك اليوم على طمأنينة نفسه ولم يستطع الوقوف على حقيقة الامر المقبل عليه ، كان امام خيارين عليه ان يقرر تنفيذ احدهما : اما الذهاب في تلك الرحلة الى المجهول ومواجهة جميع المخاوف والمخاطر المتوقعة ، والخيار الثاني التخلي عن هذه المهمة ومحاولة تغيير هويته من جديد والهرب الى مكان اخر للحفاظ على حياته وبالتالي ربما التخلي عن آخر فرصة له لاستعادة مهنته التي احبها وتدرب عليها وبذل الكثير من اجلها.

***

إلى اربيل:

بعد ساعات من التفكير العميق اتحذ احمد قراره ، وفي مساء اليوم التالي كان احمد قد وصل مطار اربيل ، اكمل احمد اجراءات الدخول وأستأجر سيارة الى احد فنادق المدينة.

في الفندق استراح من عناء السفر ثم تناول وجبة عشاء خفيفة ، كانت الساعة تشير الى التاسعة ليلاً عندما اتصل احمد بالرقم الذي أُرسل اليه في الظرف الابيض :

- **الو سيد روكان !**

- من معي
- ناصر .
- اهلا بك سيد ناصر في اربيل. اين انت الان ؟
- انا في فندق "الجبل".
- سأرسل لك سيارة لتقلك الي . مع السلامة.

كان الصوت حادا ومميزاً و آثر التكلم باختصار.

بعد عشر دقائق تلقى احمد اتصالا من ادارة الفندق تعلمه بوجود شخص ينتظره في الاسفل.

نزل احمد من غرفته الى بهو الفندق فوجد شخصاً في بزة انيقة ينتظره، سلم على احمد و طلب منه مرافقته. كان هذا الرجل سائق لدى المدعو "روكان". انطلقت السيارة الحديثة تنهب الطريق ، كان احمد يشاهد مدينة اربيل لأول مرة وكانت جميلة وهادئة بالنسبة لمدينة في العراق يسمع ويشاهد في الاخبار ما يحدث فيه من حرب وقتل و دمار.

وصلت السيارة الى ضواحي المدينة ، حيث لاح الى ناظريه قصر كبير التمع بالأضواء ، يحيطه سور حديدي يكشف حديقة غناء . توقفت السيارة عند المدخل فاقترب احد الحراس الشباب منها ، كان طويلا وضخما فتح الباب وطلب بأدب من احمد النزول من السيارة ، اخرج الشاب من تحت سترته جهازاً لكشف المعادن وقام بتفتيش احمد بحثا عن سلاح ثم طلب منه

مرافقته ، قاده الحارس عبر ممرات مرصوفة بالحجر الاحمر ، عبر حديقة مزهرة بالورد و مضاءة بشكل انيق.

في وسط الحديقة كانت هناك مساحة دائرية مرصوفة بحجر اصفر توسطتها طاولة من المرمر و توزعت حولها خمسة مقاعد معدنية جميلة.

على احداها جلس رجل اشيب الشعر في حلة زاهية من الملابس الكردية المحلية. كان رجلاً قد تجاوز الستين حاد القسمات ، عندما رأى احمد قام من كرسيه ورحب به وطلب منه الجلوس قربه ثم طلب من الحارس الذهاب.

– لقد اتصل بي "ابو عامر" وطلب مني ان اساعدك في مهمتك.

– أعذرني ، ولكنني لم التق بأبو عامر منذ فترة واود ان اعرف منك كيف تعرفه ؟

– انا كنت ضابطا سابقا في المخابرات العراقية قبل الاحتلال الامريكي وكنا في تلك الفترة نتعاون مع "ابو عامر" في اعمال استخبارية مشتركة لذلك فنحن لدينا علاقة عمل قديمة ، وعندما اتصل بي طلب مني المساعدة في نجدة شخص يتواجد الان في سامراء في العراق. ولكني في الحقيقة اعتذرت منه لان المنطقة خطرة جدا ولن يقبل احد من رجالي المخاطرة بحياته للذهاب الى تلك المنطقة. لذلك اتصل بي مرة ثانية واخبرني انه سيرسل احد اصدقائه ليقوم بالمهمة وطلب مني توفير المساعدة و التسهيلات له.

– سيد "روكان" وما المهمة المطلوبة مني بالتحديد !

– هناك عالم عراقي يعيش في سامراء ، و مهمتك بالتحديد الذهاب اليه واخراجه بسلام من هناك وايصاله الى كردستان وبعد ذلك مرافقته الى الجزائر حيث ستلتقون هناك بأبو عامر.

كان سماع ان "ابو عامر" متواجد الان في الجزائر يشكل معلومة جديدة كما ان خبر اللقاء به كان خبرا سعيدا جدد الآمال ولكن تفاصيل العملية ما زالت غير واضحة لأحمد.

– هل استطيع ان اعرف تفاصيل اكثر عن المهمة وعن الوضع هناك ؟

– حسنا ، من واجبي ان اوضح لك الحقيقة كاملة فاني ارى انك يجب ان تعرفها بدقائقها وان تقرر على ضوء ذلك القيام بها ام لا ... تقع سامراء في محافظة صلاح الدين ومعظمها الان تحت سيطرة داعش بينما سامراء بيد قوات الحكومة والمليشيات. و المنطقة بأكملها منطقة قتال مستمر ليلا ونهارا لذلك الذهاب الى تلك المنطقة هو كالذهاب الى الموت ..

نظر كمال الى وجه "احمد" ليرى ردود افعاله وتأثير كلماته الاخيرة على وجهه ، لكن وجه احمد لم يظهر ردود الافعال المتوقعة ولكن احمد سأل بهدوء وبرود :

– اليس هناك طريق اخر للوصول اليها ؟

– هناك طريق من بغداد ولكن الشخص ذاك يخشى على حياته ، ولا يود الذهاب الى بغداد ويريد الخروج عبر اربيل.

– وهل هناك خطة للوصول اليه.

– هناك خطة لإيصالك اليه ، سأزودك بهوية شخصية كردية تظهر انك كردي الجنسية ثم ستشتري سيارة صغيرة و سأجعل احد اصحابي يوصلك الى صلاح الدين الى ابعد مسافة يمكن الوصول اليها بأمان ، عندها سيكون عليك اكمال الرحلة بنفسك... سنزودك بجهاز محمول يحوي نظام التموضع العالمي سيقوم بإرشادك باتجاه سامراء ، في حال تم اعتراضك من افراد "داعش" ستخبرهم انك من طرف "شيخ سامان الكردي" وعليك ان تقنعهم بذلك لكي يسمحوا لك بالمرور ويرشدوك الى طريق آمن الى سامراء واخبرهم ان عندك اخ يشكو من مرض خطير وانك بحاجة ماسة لإيصاله الى اربيل للعلاج ، في حال عبرت منطقة داعش ستتجه الى سامراء ولا بد انه ستقابلك قوات حكومية وميليشيات على الغالب سيعتقدون انك داعشي و سيكون عليك محاولة اقناعهم بنفس قصة أخيك المزعوم ، و ستظهر لهم بطاقة هوية مختلفة باسم آخر ليسمحوا لك بدخول سامراء. اذا فشلت في اقناعهم بقصتك فستكون في خطر ... حاول ان تتكلم اللهجة العراقية ... لانهم اذا شكوا في انك اجنبي ايضا ستكون في خطر ...

صمتً "روكان" قليلا مرة اخرى وبصره مركز على وجه احمد وقال :

- بعد ما سمعت كل هذا هل ما زلت مصرا على تنفيذ المهمة ؟

صمت احمد للحظات ، عندما قرر احمد المجيء الى العراق رغم الشكوك

التي ساورته كان قد عزم على الذهاب رغم المخاطر ليعود الى سابق وظيفته وعمله لذلك كان قد تجاوز موضع التفكير في الاخطار.

- **نعم ما زلت.**
- **في حال دخلت سامراء اتجه مباشرة الى الشخص المطلوب واجلبه بدون ادنى تأخير. هذا ظرف فيه بطاقات الهوية ...**

فتح احمد الظرف واستخرج بطاقات الهوية ، كانت البطاقات كالجواز تحمل صورته الشخصية الحقيقية.

عند الفجر سأرسل لك "كمال" ليزودك بباقي المعلومات و ليسهل عليك المهمة.

شكر احمد "روكان" وودعه و عاد بنفس السيارة التي جاءت به.

الى الحرب

في الخامسة فجراً تفاجأ أحمد بصوت دقات على باب غرفته . فتح احمد الباب ليجد رجلا متوسط الطول انيق المظهر قد تجاوز الاربعين ويحمل في يده حقيبة بلاستيكية.

- **صباح الخير.**
- **صباح الخير**
- **سيد ناصر.**

– نعم.

– انا كمال ارسلني سيد "روكان".

– تفضل ، ادخل.

– لقد طلب مني سيد روكان ان اساعدك في الوصول الى سامراء.

فتح كمال حقيبته البلاستيكية وأخرج سترة جلدية خفيفة .

– البس هذه ، انها تحوي جيوبا خفية كثيرة من الممكن ان تخفي فيها بطاقات الهوية الموجودة عندك ... لقد اشتريت لك سيارة صغيرة لتذهب بها الى سامراء وقد اعددت لك اوراقها بنسختين مختلفتين كل واحدة منها باسم هوية من التي بحوزتك.

اخرج كمال من الحقيبة وثائق شراء السيارة وناولها لأحمد الذي قرأها كانت فعلا نسختين متطابقتين ولكن كل منها باسم مختلف. احداها باسم "برهان شيروان محمد" والأخرى باسم "حسين جعفر علي".

– بطاقة الهوية باسم "برهان" ستظهرها لمسلحي داعش والاخرى ستظهرها لقوات الحكومة والميليشيات. ....

– حسناً.

– لقد كلفتني السيارة والاوراق خمس وعشرون الف دولار.

اضاف كمال. كان قد تبقى لدى احمد ما يقرب من سبع وعشرين الف دولار

من الاموال التي ارسلها اليه "ابو عامر" ، دفع احمد لكمال النقود التي طلبها. ثم اخرج كمال هاتف محمول من حقيبته.

– هذا جهاز اتصال محمول حديث فيه ارقام هواتف مختلفة و بأسماء محايدة ... اذا اوقفك المسلحون أياً كانوا من داعش او الميليشيا فسيحاولون التأكد من حقيقة هويتك وعادةً ما يقومون بالاتصال على الارقام الموجودة في الهاتف ... اذا قاموا بالاتصال فجميع هذه الارقام تعود لرجالنا و عندها سندعم قصتك ...

مد "كمال" يده بالجهاز الى احمد ثم وقبل ان يناوله اياه اشار الى زرين على جانبي الهاتف.

– اذا وقعت في يد داعش اضغط الزر الايمن واذا وقعت في يد الميليشيات اضغط الزر الايسر ، ستصلنا إشارة وعلى ضوئها سنستطيع موائمة روايتنا مع روايتك .

ثم فصل كمال لأحمد الروايتين التي سيرويها في حال وقع في اسر داعش او الميليشيات.

ارتدى احمد السترة الجلدية واخفى فيها البطاقتين ووثائق السيارة.

نزل احمد مع كمال الى خارج الفندق ، حيث اوقف كمال السيارة التي اشتراها لأحمد.

انطلقت السيارة يسوقها احمد و الى جواره كمال يرشده الطريق، اوضح له كمال انهما سيتجهان الى مدينة كركوك ومنها الى محافظة صلاح الدين.

كان احمد سيمثل دور شخص عراقي وكان بحاجة الى ان يفهم وضع هذا البلد و والتاريخ القريب له وكيف آل الى هذا الحال لذلك بادر بالأسئلة :

– سيد كمال، كيف اصبح العراق بهذا الحال ، لقد كنت في شبابي اسمع عن العراق وعن قوة الجيش العراقي ، كيف سقط العراق بسهولة تحت الاحتلال الامريكي ووصل الى هذه الحالة المزرية و المظلمة.

اخذ كمال نفسا عميقا و زفر زفرةً مسموعة .

– انها قصة طويلة و حزينة .

– دعني اسمعها.

– القصة ترجع بدايتها الى نهاية الثمانينات ، كان العراق قد انهى حربه مع ايران بانتصار كبير وقد اصبح لصدام بعد نهاية الحرب جيش كبير يقرب من مليون جندي و يمتلك الآف الدبابات و قوة جوية كبيرة و قوة صاروخية تستطيع ضرب اسرائيل بالإضافة الى قاعدة صناعية حربية ضخمة مع محاولته الحصول على اسلحة الدمار الشامل ومشروع نشط للحصول على السلاح النووي. وبذلك تجاوز العراق خطوطاً حمراء كثيرة لأمريكا واسرائيل ... كل هذه الامور وامور اخرى جعلت امريكا تقرر تدمير العراق وايقاف تهديده على مصالحها في المنطقة و حينها كان صدام يحظى بالتفاف عربي شعبي وسياسي

كبير لذلك كان ضرب العراق صعب المنال لذلك تم استدراج صدام لاحتلال الكويت و عندما وقع صدام في الفخ اصبح سهلاً على امريكا جمع الحلفاء والتخطيط لحرب تحرير الكويت ، في تلك المعركة تم تدمير معظم قوات الجيش العراقي القوية و دمرت القوة الجوية و تم تدمير الكثير من مصانع الانتاج الحربي و المشاريع الصناعية . بعد الحرب تم فرض الحصار على العراق وهو اقسى حصار فرض على دولة في العالم ، تم منع العراق من بيع نفطه و خسرت الدولة معظم ارصدتها في البنوك العالمية وتم فرض ضوابط قاسية على المواد المستوردة. مُنعت الادوية ولقاحات الاطفال وحتى اقلام الرصاص بحجة امكانية استخدامها في صنع اسلحة الدمار الشامل ... عانى الشعب العراقي لأكثر من اثني عشرة سنة من الموت البطيء ... عانى معظم الشعب من الجوع و المرض و اضطر الكثير الى الهجرة خارج العراق و سافر اكثر اساتذة الجامعات والمثقفين للعمل في الخارج. دمر الحصار معنويات الشعب العراقي و اقتنع بضرورة البحث عن بديل عن نظام صدام للخروج من هذه المأساة.

– والجيش العراقي ماذا حل به ؟

– في عام ٢٠٠٣ كانت معظم اسلحة الجيش العراقي قديمة تعود الى حقبة السبعينيات و كان في حرب الكويت قد تعرض الى خسارة افضل قطعاته و بدون قوة جوية و نظام دفاع جوي حديث و نظام اتصالات متطور اصبح جيشاً متخلفاً في مواجهة الجيش الامريكي ... اما على المستوى القيادات

العسكرية فبعد حرب الكويت و بسبب القرارات الخاطئة والجسيمة التي ارتكبها صدام زاد حنق ضباط الجيش عليه وجرت عدة محاولات من قبل الجيش للإطاحة به ولكنها فشلت وادت الى اعدام الكثير من ضباطه و جعل ذلك صدام يولي اقاربه واولاده قيادة الجيش و وزارة الدفاع مما زاد من سوء حالة الجيش.

– وبغداد كيف سقطت بهذه السرعة ؟

– كما قلت لك ، بعد عشر سنوات من الحصار والمعاناة لم يكن هناك أحد من الشعب مستعدا للقتال وكان الجيش العراقي في اسوء احواله وعندما بدأ الغزو الامريكي قامت امريكيا بشن غارات صاروخية و جوية مكثفة و متواصلة دامت اكثر من اسبوعين تم خلالها تدمير معظم قطعات الجيش العراقي قبل ان تدخل المعركة ، لذلك عندما تقدمت القوات الامريكية باتجاه بغداد ، دخلت القوات الامريكية بسهولة الى بغداد ، كما إن اكثر القوات فرت من المعركة بعد هروب صدام وقيادات الدولة من بغداد.

– و بعد الاحتلال ماذا حصل ؟

– احتلت امريكا العراق و قامت بحل الجيش العراقي والمخابرات والتصنيع العسكري و تم تسليم حكم العراق الى احزاب موالية للدول المجاورة لا يهمها سوى جمع الاموال ونهب خيرات البلد.

وجد احمد في كمال فرصة ليزيد من حجم معلوماته وتصوراته حول الاحداث

الجارية فاستمر في طرح الاسئلة.

– و داعش كيف ظهرت ؟

– في السنوات الاخيرة ، ازداد الظلم والفقر نتيجة الحكم السيء وشجع النزعات الطائفية و نتيجة لذلك نشطت الحركات المتشددة مثل داعش.

– وكردستان ؟

– ما بها ؟ ما حالها ؟

– كردستان تعيش عصرها الذهبي وتعيش فرصتها.

– الان خبرني عن ذلك العالم الذي يجب اخراجه من سامراء.

– ظننتك لن تسالني عنه ! ... اسمه "عبد الكريم محمد احمد" ...

اخرج "كمال" من جيبه ورقة صغيرة و ناولها أحمد .

– هذا عنوانه ورقم هاتفه .

قرأ احمد الورقة بسرعة و بمهارته استطاع حفظ محتواها على الفور ثم اخفاها في احد جيوب سترته.

– من يهدده بالقتل و لماذا ؟

– لا أعلم.

– كيف سيكون شكل التهديد الذي قد يتعرض له ؟

– طرق الاغتيال في العراق متنوعة و كثيرة مثلا هناك العبوات اللاصقة و نقاط التفتيش الوهمية وفرق الاغتيالات وغيرها.

– وكيف سأتعرف عليه ؟

– ستتصل به وسيحدد لك مكانا لتلتقي به لأنه مختفي في مكان مجهول .

– وكيف سيثق بي ؟

– قل انك من طرف " ابو عامر".

– وكيف سنخرج من سامراء ؟

– عندما تصل الى الدكتور اطلب منه ان يدلك على طريق كركوك ، ما أن تخرج من حدود المدينة اتصل بنا على هذا الرقم .

اعطى كمال بطاقة فيها رقم الى احمد.

– عندما تتصل بهذا الرقم سنستطيع تحديد موقعك وسنرسل لك قوة خاصة لإخراجكم من ذلك المكان في الوقت المناسب.

– اذن لماذا لا ترسلون تلك القوة لإخراجه من سامراء بدلا من المخاطرة بحياتي ؟

– نحن لا نخاطر بحياتك ، انت قبلت المهمة ، و نحن لا نستطيع ارسال قوة الى سامراء لان الميليشيا لن تسمح لقوات البيشمركة الكردية بدخولها ... اضافة الى اننا لا نعرف مكان الدكتور بالضبط.

اثناء السير سهل "كمال" لأحمد عبور نقاط التفتيش ، كان واضحا لأحمد ان كمال يشغل منصبا امنيا مهما يتيح له فرض ارادته على تلك النقاط. بعد ساعات من السير شرح خلالها كمال لأحمد خارطة الطريق على جهاز التموضع العالمي وتفاصيل الطرق و المناطق التي سيمر بها وصلت السيارة لأبعد نقطة يمكن ان يصلها كمال مع احمد.

****

الوقوع في الأسر:

عند نقطة تفتيش للقوات الكردية توقفت سيارة احمد.

– هذه ابعد نقطة استطيع ايصالك لها ، كن على حذر . رافقتك السلامة.

نزل كمال وتكلم مع افراد السيطرة فسمحوا للسيارة بالمرور ، بدأ احمد يسير على طريق ترابي متبعا خارطة جهاز التموضع العالمي (جي بي أس).

بدأ احمد يسير بهدوء و بحذر ، كان الطريق زراعيا على جوانبه تنتشر مساحات جرداء واسعة ، كانت هناك بيوت متفرقة و منتشرة على جوانب الطريق بعضها مهدم او محترق بالإضافة الى بعض السيارات و المدرعات المحترقة ، كانت ببساطة ساحة حرب.

اقترب احمد من احد الاراضي التي تغطيها سيقان القصب والاعشاب الخضراء الطويلة. فجأة سمع احمد اطلاقة نار قريبة و صياح .

ضغط احمد على مكابح السيارة بقوة فتوقفت على مسافة امتار مثيرة عاصفة من الغبار على الطريق الترابي. من بين القصب ظهر رجلان مسلحان ببنادق كلاشنكوف الروسية ، كانا في عمر الشباب و نفس العمر تقريبا :

– توقف ! والا قتلناك .

صرخ احدهما بأحمد.

– انا غير مسلح ، انا اعزل ؟

قال احمد ذلك ورفع يديه .

وجه المسلحان بنادقهما باتجاه احمد :

– ابقي يديك مرفوعتين ، وانزل بسرعة.

فتح احمد باب السيارة بإحدى يديه ثم عاد ورفعها و ترجّل من السيارة .

– لا تطلقوا النار ... انا اعزل.

– اين هويتك ؟

قال احدهما وهو يقترب من احمد وفوهة بندقيته ما زالت موجهة اليه فيما كان الثاني على مسافة يراقب احمد من بعيد. ادخل احمد يده في جيبه لإخراج الهوية فضغط على الزر الايمن لهاتفه المحمول ثم تناول بطاقة الهوية.

ناوله احمد البطاقة ، اخذها المسلح وقرأ الاسم ثم نظر الى احمد.

– انت كردي ؟

– نعم .

– ماذا تفعل هنا ؟

قال ذلك وهو يفتش احمد بحثا عن سلاح او شيء مريب.

– لدي اخ يعيش في سامراء وهو في حالة صحية خطرة و اود نقله الى اربيل.

– انه كذاب ، لا شك انه جاسوس.

قال المسلح الثاني مخاطبا رفيقه.

– صدقني ، انا لا اكذب.

قال احمد مدافعا عن نفسه.

ثم تقدم المسلح الثاني ليفتش السيارة ، فتح الابواب واخذ مفتاح السيارة و فتش صندوق السيارة.

– إنها آمنة.

– لنأخذه الى القائد .

تابع المسلح الأول.

– لست جاسوسا ، صدقوني.

قال احمد وهو يعرف ان لعب دور الممثل البارع في هذا الوضع افضل من لعب دور البطل.

– تقدم امامنا ... سنطلق النار عليك اذا قمت باي محاولة مريبة.

– لا تطلقا النار انا مسالم ... اخي المريض ينتظرني وهو في حالة حرجة.

– اصمت ... اعصب عينيه و اربط يديه ...

قال المسلح الثاني.

تم عصب عيني احمد بقطعة من القماش ثم سمع احمد احد المسلحين وهو يبحث عن سلك كهربائي.

– ارجع يديك الى الخلف.

اطاع احمد الاوامر فربطت يديه خلف ظهره بقوة وامسكه احدهما من ذراعه يسوقه الى مصيره المجهول.

في تلك اللحظات احس احمد لأول مرة في حياته انه قد ذهب بعيدا في مغامراته فهو لأول مرة بين يدي مسلحين لا يفرقون بين موته او حياته وبدون اي دعم وليس هناك من يحميه او يتابع تحركاته ، فهو في ارض غريبة لسبب غريب وبين ايدي اناس غرباء. احس احمد في تلك الساعة انه خاطر لمدى بعيد بقبوله لهذه المهمة.

بعد دقائق من المسير في ارض ترابية وعرة. احس احمد انهم وصلوا الى مكان ذي ارض مستوية ومرصوفة وبدأ يسمع اصوات اشخاص من بعيد.

– من اين جلبتم هذا ؟

سمع احمد احد الاشخاص يقول.

دخل احمد بناية ما والمسلح بدأ يدفع به من كتفه بسبب ضيق البناء .

– السلام عليكم ...

وقبل ان ينتظر الاجابة اضاف :

– لقد امسكنا هذا و هو قادم من كركوك وبطاقة هويته تثبت انه كردي ويقول انه يريد الذهاب الى سامراء.

– الا تعلم ان هناك حرب وقتال ... هل انت معتوه !

قال الصوت الذي اعتقد احمد انه قائد تلك المجموعة من المسلحين.

– اخي في حالة حرجة في سامراء واريد نقله الى اربيل للعلاج.

في هذه الاثناء دخل المكان شخص آخر في عجلة وهو يتكلم بارتباك :

– ابو محمد ، جاء "المغربي".

– اخفيه في الممر ، لا تجعل المغربي يراه.

– حسنا.

احس احمد بقبضة قوية تسحبه بسرعة الى خارج المكان وتوقفه في مكان ما. لم تكن المسافة بعيدة عن المكان الذي كان فيه.

– لا تصدر أي صوت والا تم اعدامك ، لا تتحرك من هنا.

قال له المسلح ، ثم احس احمد به يبتعد ، قبل ان يسمع احمد جلبة من الاصوات واصوات اقدام كثيرة.

– السلام عليكم ... كيفكم ؟

كان صوت جهوري حاد مع لهجة غريبة رنت في إذني احمد.

***

المغربي:

– وعليكم السلام. اجابه عدد من الاشخاص.

– كيف حال المجاهدين ؟

استمر احمد يسمع "المغربي" وهو يسأل تارة ويوجه تارة وكان من بين توجيهاته :

– أي جاسوس او منافق تُمسكوه اقتلوه على الفور... واضح.

استمع احمد الى المحادثة وقد أحس بقلق و خوف أشد على مصيره بعد ان تعرف على صاحب الصوت.

كان صوت "ابو الاسود" ، المغربي هو ابو الاسود ، ما الذي جاء بابو الاسود الى هنا:

– اينما اذهب اجده في وجهي .

قال احمد في نفسه ، تصور احمد للحظة لو ان "ابو الاسود" رآه وتعرف عليه ، ماذا كان فعل به. وماذا يفعل "ابو الاسود" في العراق مع داعش ! يبدو انه من ضمن القادة. لقد اعطى اوامر بإعدام جميع الجواسيس هل سيعدم هو كجاسوس.

لحظات وبدأ صوت وقع الاقدام يبتعد ، وبدأت الأصوات تقل ، ساد الهدوء للحظات قبل ان يقترب اشخاص من مكانه .

– جاسم خذه و اسجنه مع عمر ؟

كان صوت ابو محمد وهو يوجه احد الاشخاص بخصوص احمد.

مرة اخرى بدا احمد رحلة على الاقدام لدقائق ، كانت الرحلة لمبنى اخر ، سمع احمد صوت مزلاج و صرير باب حديدي يفتح ، لا بد انه زنزانة ما ، دفعته اليد داخل الغرفة ثم اعادت غلق الباب.

بعد ذلك احس احمد بشخص يقترب منه ويرفع عنه عصابة العينين ويفتح قيده. نظر احمد كان امامه شابا في العشرين من عمره صغير الحجم يرتدي قميصا وبنطلونا. لابد انه عمر.

كانت غرفة صغيرة مع نافذة اصغر تسمح بتغيير الهواء و مرور بعض الضوء ، تلك التي وضع فيها احمد وكانت جزءا من بيت مبني من الطابوق والسمنت.

فتح الشاب قيد احمد .

- من اين انت ؟

- انا جئت من اربيل.

- وما الذي جاء بك ؟

- اخي يعيش في سامراء وحالته الصحية حرجة واود نقله الى اربيل ؟

- لهجتك ، ليست عراقية.

- انا كردي في الاصل واعيش في الخارج منذ سنوات عديدة ، وانت ؟

- انا من ديالى.

- ولماذا يقبض عليك المسلحون ؟

- انت ، لماذا قبضوا عليك ؟

- يعتقدون اني جاسوس لذلك قرروا حجزي هنا.

- انا قصتي اطول من قصتك ، انا طالب في كلية القانون في تكريت ، عندما دخلت داعش للمدينة لم استطع الخروج منها واضطررت للانضمام اليهم و في الحقيقة كنت في البداية متأثرا بهم ... بعد ذلك تبدلت عندي

الصورة و قررت الهروب والعودة الى اهلي في ديالى ولكنهم امسكوني واعتبروني مرتدا عن افكارهم.

– وما هو مصيرك ؟

– سيعرضونني على القاضي الشرعي وسيقرر مصيري.

– هل تعرف من هو المغربي ؟

– " ابو ادريس المغربي" ، انه وزير المخابرات في داعش.

– من اين تعرفه ؟

– المقاتلون كلهم يعرفوه ، انه يقوم بجولات على الجبهة ما بين سوريا والعراق.

– وهل تخافون منه ؟

– هم يخافون منه ... انه يقتل بسهولة و بدون تردد.

– عندما جاء ، اخفاني المسلحون حتى لا يراني .

– لو رآك لقتلك فورا.

– ولماذا اخفاني المسلحون منه؟

– ربما اشفقوا عليك لأنك لم تفعل شيء ضدهم و لم يجدوا عندك ما يثير ريبتهم.

– و "المغربي" كيف هو شكله ؟ لقد سمعت صوته ولم اره.

وصف عمر شكل "المغربي" لأحمد ، وكانت الوصف مطابقاً لشكل "ابو الاسود" ، لم يعد لدى احمد شك في انه هو ، ضابط المخابرات الاسرائيلي من قوة العمليات الخاصة ، ضابط ذو امكانيات هائلة ، عالي التدريب يتقن العربية بعدة لهجات ، منذ اكثر من عشر سنوات وهو ينتحل دور مجاهد في تنظيم القاعدة مهمته اختراق الجماعات المتطرفة و تنظيمها و توجيهها لضرب مصالح الدول العربية والاسلامية ، عمل متنقلا من المغرب العربي الى السودان والصومال والان يعمل في العراق وسوريا مع تنظيم داعش.

بعد ان اخذ المسلحون هاتفه وسجنوه اصبح منقطعا عن العالم و محجوزا ، ادرك احمد ان عليه انتظار مصيره الذي سيقرره المسلحون.

****

الحرية:

مر يومان واحمد مسجون مع عمر ، مضى الوقت بطيئاً و كان الانتظار صعبا لمصير مجهول. في الليلة الثالثة استفاق السجينان على اصوات انفجارات كبيرة واخذ المبنى يهتز بهما و ضجت السماء بأصوات الاطلاقات النارية الكثيفة.

– لابد انه هجوم على المنطقة ... قال عمر.

– انا اسمع اصوات طائرات مقاتلة .

– هذا اكيد ، انها دائما تقصف هذه المناطق.

استمرت المعارك حتى الصباح و كانت اصوات الرشاشات الخفيفة والثقيلة مستمرة ، مع حلول التاسعة صباحا بدأت الاصوات تقل ثم اصبحت عبارة عن رشقات بنادق متقطعة .

عرف السجينان ان المعركة انتهت وان هناك هدوءً مثيراً للريبة .

فجأة سمعوا صوت المزلاج و الباب يفتح بقوة. وقف احمد وعمر بانتظار القادم دخل مسلحان يرتديان الملابس المرقطة و قد وضعوا علامات على بدلاتهما واحدهما يربط راسه بعصابة خضراء .عرف احمد ان الاثنين من الميليشيا.

– نحن سجينان لدى داعش.

قال عمر .

– انا لدي اخ في سامراء وقد ضللت طريقي و امسكوا بي.

تكلم الاثنان ليدفعا عن نفسيهما تهمة التعاون مع داعش.

– اعطوني بطاقتيكما ؟ قال احد المسلحين.

مد احمد الى جيبه الداخلي الخفي و اخرج بطاقة هويته الثانية وسلمها الى المسلح.

قرأ المسلح الهوية التي حملت اسم علي حسين جعفر ثم قال:

– حسنا ، وانت .

في تردد واضح اعطى عمر هويته الى المسلح .

امسك المسلح الهوية وقرأ :–

– عمر ...

ابتسم المسلح ابتسامة ساخرة ... ثم التفت الى صاحبه وأشار الى أحمد :

– خذه الى القائد ...

سحب المسلح احمد من كتفه و دفعه الى الخارج .

كانت عيني احمد تدور يمينا ويسار لترى الجثث ملقاة هنا وهناك ، كان يتبع المسلح وهو يقوده بين المباني المهدمة وبين مجموعات من المسلحين بعضهم ارتدى المرقط والاخر لبس الازرق ... ادرك احمد ان القوات الحكومية سيطرت على المكان وقتلت عدد كبير من مسلحي داعش خلال المعركة الماضية.

– من هذا ؟

– كان اسيرا لدى داعش.

كان هذ السؤال والجواب يتكرران بين المسلحين كلما مر احمد قرب

مجموعة ما .

مرت الثواني كأنها دهور واستفاق احمد على الواقع وقرر ان يكمل طريقه الى النهاية .

***

الى سامراء:

اخذ مسلحو الميليشيا احمد الى الخطوط الخلفية الى مجموعة من الضباط الذين اكتفوا بالاطلاع على هويته و سؤاله عدة اسئلة مثل ، من اين اتى و الى اين هو ذاهب. التزم احمد بالرواية التي علمها له "كمال" وكانت القصة موفقة و سببا في نجاته من الميليشيا. اركب المسلحون احمد سيارة متوجهة الى سامراء تستخدم لنقل الجرحى. هناك توجه الى محل للهواتف النقالة واشترى جهازا ليتصل بالدكتور "عبد الكريم" . ادخل احمد رقم الهاتف وضغط زر الاتصال.

في المرة الاولى لم يجب احد ، في المحاولة الثانية ، في المحاولة الثالثة فتح الاتصال :

– الو !

–السلام عليكم ، دكتور "عبد الكريم".

– من انت ؟

– انا "ناصر" ارسلني "ابو عامر".

– من هو "ابو عامر" ، ما اسمه ؟

– "حسين" ... ذكر احمد اسمه الاول المشهور به و تردد في اعطاء اسمه الكامل بسبب كون الاتصال معرض للتنصت.

– حسنا ... اين انت ؟

– انا في سامراء.

– هل لديك سيارة ؟

– كلا.

– سأعطيك عنواني حاول ان تكون حذرا عند قدومك.

حفظ احمد العنوان في ذاكرته واستأجر سيارة لتنقله الى الشارع الذي يقع فيه مسكن الدكتور عبد الكريم.

بعد ربع ساعة وصل احمد الى العنوان المطلوب. كان بيتا من طابقين ذي واجهة صغيرة ، دق احمد الجرس وانتظر.

بعد دقائق من الانتظار ، خرج رجل قصير اشيب الشعر ذو لحية خفيفة.

– السلام عليكم.

– ناصر؟

– نعم انا ناصر ، دكتور "عبد الكريم" ؟

– نعم .

بعد تبادل التحية سأل "عبد الكريم" احمد عدة اسئلة ليتأكد من حقيقة "ناصر" وكونه من اصحاب "ابو عامر" ثم قص احمد لعبد الكريم كيف اتصل به "ابو عامر" وكلفه بالمهمة وشرح له باختصار كيفية وصوله الى سامراء و عرض عليه خطة "كمال" في الخروج من المدينة. رغم قلق "عبد الكريم" إلا إنه ادرك ان هذه فرصته الثمينة للخروج مع رفيق امين و حارس يحميه من مخاطر الطريق. وافق "عبد الكريم" وقدم لأحمد بعض الطعام والشراب ، وطلب منه المبيت في البيت وليكن خروجهم في صباح اليوم التالي لانهم في ساعة متأخرة من النهار و الخروج في الليل في مثل هذه المناطق خطير بحد ذاته.

في صباح اليوم التالي أعد الدكتور عبد الكريم حقائبه و ارتدى ملابس انيقة و جلب معه عدة قناني من الماء البارد. اخرج احمد سيارة "عبد الكريم" من المنزل في حين وقف "عبد الكريم" يقفل بابه و يودعه في نظرة أخيرة.

انطلقت السيارة يقودها احمد وبدأ احمد في محاولة فك اسرار بدت غامضة له.

– دكتور ، هل تعرف أبو عامر شخصياً ؟

– نعم .

– كيف ؟

– عملت معه سابقا.

– في ماذا ؟

– كان بيننا عمل منذ سنوات.

– ما هو اختصاصك.

– انا دكتور في الهندسة الالكترونية ؟

– و ما هو المشروع الذي أنجزته مع أبو عامر.

– انه سر ، وان كان لم يخبرك فكيف أخبرك به انا.

– وكيف اتصلت به ؟

– عبر البريد الالكتروني.

– و هل اجابك ؟

– نعم.

زادت الأمور غموضا لأحمد فهذه اول مرة يعلم ان أبو عامر لديه بريد الكتروني ويستعمله لمراسلة احد وخاصة ان جميع البريد الالكتروني مراقب و مكشوف لدى الأعداء.

– لماذا لم تذهب الى بغداد ؟

– قبل سبع سنين كنت أعيش في بغداد وحينها تم تهديدي بالقتل فخرجت الى سامراء ولم اعد منذ ذلك اليوم.

– ولماذا لم تذهب الى الشرطة.

– الشرطة ، ان معظم القتلة كانوا يتنكرون بزي الشرطة او يتعاونون معهم.

– اذن طيلة هذه السنوات كنت تعيش بأمان في سامراء.

– نعم.

– و ما الذي جد في الامر وجعلك تتعرض للتهديد من جديد ؟

– لا اعلم. وصلتني رسالة تهديد ، لذلك قررت الرحيل.

تجاوزت السيارة عدة نقاط تفتيش عسكرية قبل ان تغادر المدينة. بعد دقائق قليلة وصلت السيارة الى نقطة تفتيش مكونة من عدة سيارات بيضاء مضللة و اشخاص بملابس سوداء.

– انها نقطة وهمية.

قال الدكتور.

– ما معنى وهمية.

– ليست حكومية.

كان هناك مسلحين يقطعان الطريق ، اشار احدهما اليهما للتوقف على جانب

الطريق ، توقف احمد في مكان بعيدا عن السيارات البيضاء .

اقترب احد المسلحين وطلب بطاقتي هويتهما بعد ان نظر داخل السيارة. سلم الاثنان هويتهما الى المسلح الذي اخذها الى احد السيارات المضللة ، نظر اليه احمد باستغراق و راقب المسلح وهو يعود ، بنظره الثاقب لاحظ احمد ان المسلح عاد بدون البطاقات وادرك ان الامر مريب.

بسرعة ادار احمد السيارة وضغط دواسة الوقود وانطلق .

– دكتور ، اخفض رأسك.

انطلقت السيارة بسرعة فيما اطلق المسلحان اطلاقات الرصاص عليها من بعيد.

– دكتور اخرج هاتفك ودون الرقم التالي.

امسك احمد بمقود السيارة بقوة وهي تقفز فوق الطريق بسبب السرعة و وعورة الطريق.

كان الدكتور يرتعش من الخوف و احتاج الى دقائق ليخرج هاتفه ويدون الرقم الذي سمعه من احمد. ضغط عبد الكريم زر الاتصال الذي انقطع بعد لحظات بدون اجابة .

بدأ احمد في المرآة يشاهد السيارات البيضاء تقترب ، بينما كانت سحابة من الغبار ترتفع وراء السيارة. استمرت المطاردة واخذت السيارات البيضاء

تقترب كالذئاب المسعورة من فريستها.

***

الاعتقال:

أحس احمد بالخطر يقترب مع اقتراب سيارات المسلحين. بدأ المطاردون بإطلاق النار على السيارة ولكن الاطلاقات مرت فوق السيارة وبالقرب منها .

وبدأ الدكتور عبد الكريم بالدعاء بصوت مرتفع بعد ان احس بخطر الموت. كان احمد يدرك ان السيارة الصغيرة التي يقودها لن تستطيع الاستمرار في هذا السباق العنيف في هذه الطريق الوعرة وان سيارات المطاردين الرباعية الدفع ستلحق بهم في خلال ثواني قليلة و ليس دقائق ولكن لم يكن هناك امامه خيار آخر.

فجأة سمع احمد صوت طائرة عمودية يقترب ، كان صوتها يدل على انها على ارتفاع منخفض وتقترب من مكانه. اصبحت الطائرة فوق الطريق و لمح احمد ظل الطائرة على الارض.

مع ضجيج صوت الطائرة سمع احمد صوت رشقات من مدفع رشاش استطاع احمد ان يميز صوته كان عيار ١٢,٧ ملم ، لم تصب الاطلاقات السيارة و مع مرور الثواني لاحظ احمد ان الطائرة لم تستهدْف سيارته بإطلاق النار و رأى عبر المرآة ان سيارات المطاردين توقفت.

هل هي هذه هي النجدة التي تكلم عنها كمال ! تساءل احمد.

استمر احمد في الانطلاق بسرعة. فجأة توقف اطلاق النار و لكن عاد صوت الطائرة العمودية يقترب وهذه المرة ابصر طائرة عمودية من نوع سي هوك امريكية الصنع في مناورة للهبوط على الطريق على مسافة مئة متر امام سيارته.

ادرك احمد ان هذه الطائرة هبطت من اجل الدكتور عبد الكريم وانه عليه ان يخفف السرعة قبل وصوله الى الطائرة ،

– ما هذه الطائرة ؟

تساءل الدكتور عبد الكريم

– انها نجدة لإنقاذنا ، لا تخف.

لم يكن احمد متأكدا ولكنه اراد ان يخفف على الرجل الذي اصيب بذعر شديد بسبب المطاردة.

هبطت الطائرة مثيرةً عاصفةً من الغبار ، توقف احمد على مسافة منها ولكنه لمح مجموعة من الاجسام السوداء تخرج من بين الغبار ، كانوا اربعة من جنود القوات الخاصة بملابس سوداء مسلحين برشاشات امريكية الصنع و جعب عسكرية على صدورهم وظهورهم، احاط الاربعة بالسيارة موجهين فوهات البنادق الى السيارة .

فتح المسلحون بابي السيارة وسحبوا احمد والدكتور ودفعوهما امامهما باتجاه الطائرة بسرعة وبدون أي كلمة ، استسلم احمد والدكتور لقوة السلاح ، صعدا في الطائرة التي كانت تحمل رشاشين على الجانبين من عيار ١٢,٧ ملم و قد امسك عسكري بكل منها. اجلس المسلحون احمد والدكتور على الكراسي ، كلاً مقابل الاخر وجلس المسلحون بجانبيهما وفور ذلك بدأت الطائرة بالارتفاع ، لم تدم العملية اكثر من دقيقة ، بينت انهم قوة محترفة.

كانوا يرتدون الاقنعة و توقع أحمد انهم قوة من الاكراد لكنه تفاجأ انهم قيدوا يديه ووضعوا كيسا من القماش على رأسه ليمنعوه من الرؤية .

اصبح احمد في حيرة من امره من هذا التصرف ولكنه آثر الصمت في هذا الوضع الخطير والمبهم ، طوال الطريق ساد صمت غريب في الطائرة سوى صوت محرك الطائرة .

بعد دقائق عديدة هبطت الطائرة وانُزل احمد من الطائرة و تم اقتياده عبر مسافة و طلب منه بلغة عربية الجلوس والهدوء. عرف احمد انه وضع في غرفة مكتومة الصوت ، بقي الكيس على راسه يحجب عنه النظر و لم يستطع سماع اي صوت ، ومضى الوقت ببطء شديد.

انتبه احمد على صوت باب يفتح واقدام تقترب امسكت قبضة يد بذراعه بغلظة و اجبرته على الوقوف وبدأت تسحبه ، قاده الغريب عبر ممرات وابواب ثم توقف في مكان وقد احس احمد بحرارة الجو وعرف انه اصبح

في الخارج وهناك سمع حوارا باللغة الكردية . سحبته اليد مرة اخرى وقادته بضعة خطوات ثم سمع صوت باب سيارة يفتح ، وُضع احمد داخل السيارة برفق واغلقت الباب خلفه.

ادرك احمد انه وضع في سيارة عادية بجانب السائق ، فُتحت باب السائق وركب السائق وبدأت السيارة بالحركة.

توقفت السيارة بعد دقائق واحس بالكيس يرفع عن راسه ونظر احمد ليجد كمال بالقرب منه :

– انا اسف على هذه المعاملة سأفك قيدك .

– شكرا كمال.

ازال كمال قيد احمد .

– اين دكتور عبد الكريم ؟

– دعك منه ... عليك الاهتمام بنفسك.

انطلق كمال بالسيارة بسرعة في منطقة جبلية وعرة .

– الم يكن من المخطط ان يسافر عبد الكريم معي الى الجزائر.

اخرج كمال تذكرة من جيبه وسلمها الى احمد.

– هذه تذكرة طائرة الى الجزائر ، الطائرة ستحلق في العاشرة ، بعد ساعة من

الآن .

استمع احمد للهجة كمال الحادة وعرف أن لا فائدة من النقاش .... دقائق ووصلت السيارة الى داخل اربيل اوقف كمال السيارة قرب احد الشوارع :

– لن استطيع ان ارافقك ابعد ، الفندق على بعد ١٠٠ متر يمينا ... اذهب فورا وخذ جوازك واغراضك من الفندق واذهب الى المطار وارحل ...

ادرك احمد ان الامور تسير بالشكل غير الصحيح و انه ربما كان ضحية حيلة كبيرة.

***

في المخابرات المصرية:

قرأ سمير ملف المدعو سامح سعيد ، كانت المعلومات مقتضبة والتفاصيل قليلة وعلامات الاستفهام كثيرة. اتصل سمير بمديرية مكافحة الارهاب وطلب ارسال نسخة من مذكرة القبض بحق سامح سعيد التي ارسلها جهاز الانتربول والمعلومات المرفقة معها.

بعد دقائق جاءه موظف في الادارة حاملا حزمة من الاوراق.

- سيدي ، هذه الفاكس استلمناه من مديرية مكافحة الارهاب.

استلم سمير الاوراق التي تحوي المعلومات التي طلبها عبر الهاتف.

كانت مذكرة القبض باسم سامح سعيد المصنف بانه ارهابي مطلوب في

بريطانيا لانتحاله شخصية بريطانية وتزوير جواز سفر بريطاني ومطلوب كذلك في المانيا والمغرب والعراق بجرائم التخطيط والتمويل لأعمال ارهابية. كانت هذه المعلومات جديدة ، والمستغرب في المذكرة ان تاريخ اصدارها قبل يومين. كانت هذه المعلومات جديدة و صادمة فهي تثبت ان سامح هو ارهابي دولي لكنها لا تظهر الى اي تنظيم ينتمي ! احتوت المذكرة على صورة دقيقة للمتهم.

وضع سمير المذكرة في جهاز الماسح الضوئي ليستنسخ صورة سامح الى جهاز الحاسوب ، كان سمير يريد ان يبحث عن صورة سامح في ارشيف المخابرات ليطابقها مع صوره الملتقطة في السفارة المصرية في ارتيريا كما اراد في الوقت نفسه تجربة النظام الجديد لمطابقة الصور الذي تم الحصول عليه مؤخرا.

اختار سمير مطابقة صورة الانتربول مع كامل صور الارشيف واعطى الامر للبرنامج وبدأ ينتظر.

ثواني ظهرت صورة سامح في السفارة المصرية مع نسبة مطابقة ٧٠% ،

ابتسم سمير فالبرنامج يعمل جيدا فسامح كان يضع قناعا للتنكر اثناء دخوله السفارة في مصر الا ان البرنامج استطاع اعطاء مطابقة بنسبة كبيرة.

فجأة ظهرت صورة جديدة للمدعو سامح بنسبة تطابق ٨٠% ، استغرب سمير فهو لم يرى هذه الصورة في الملف الورقي للمخابرات سابقا.

ضغط على الصورة الجديدة لإظهار المعلومات المرفقة مع الصورة.

وبدأ يقرأ المعلومات الجديدة.

– عبد العزيز ابو المجد (هوية مزورة)

مطلوب في لبنان بتهمة تفجير شارع الحمراء في بيروت عام .....

ملاحظات :

يعتقد انه العميل المسمى برقم ٤٠ والمنتمي الى جهاز كتيبة الاهوال في دولة ..... وتم الصاق التهمة به لإبعاد الشبهة عن الجهة الحقيقة.

كانت الملاحظة موقعة من مدير المخابرات.

***

مفاجأة مربكة:

كانت هذه المعلومات مفاجأة ومربكة لسمير فجهاز التعرف على الوجوه ربط بين صورة جاسوس وارهابي وبين صورة العميل رقم ٤٠ ....

دخل الغرفة ضابط ليخبر سمير انه تم جلب المدعو سامح سعيد وانه يحتاج الى عناية طبية.

امر سمير الضابط بعرضه على الطبيب واجراء اللازم لعلاجه. راجع سمير المعلومات المتوفرة ثم طلب بالهاتف نقل المتهم الى غرفة الاستجواب.

***

كان احمد في غرفة التحقيق يتذكر كيف تم اعتقاله في المطار فور نزوله من طائرة الخطوط الجوية العراقية والتي هبطت في مطار القاهرة وذلك ضمن مسار رحلتها. وكيف تم نقله الى مكافحة الارهاب حيث تم معاملته بقسوة كإرهابي . هناك طلب منه ضابط التحقيق الاعتراف بالجرائم التي ارتكبها و لأنه لم يرتكب عملا ارهابيا رفض احمد الاعتراف بشيء او الاجابة على الاسئلة التي طرحت عليه.

وكانت رد الفعل انه تلقى تعذيبا قاسيا افقده الوعي.

*****

دخل سمير غرفة التحقيق وطلب من الموظف المسؤول تسجيل التحقيق ومراقبة المتهم.

دخل سمير وجلس امام المدعو "سامح سمير"

كان المتهم مصابا بكدمات في وجهه و عدد من اصابع يديه مكسورة بالإضافة الى كسور في احد اضلاعه.

- **انت سامح سعيد.**

تأمل احمد في وجه سمير من جهة وفي السؤال من جهة اخرى، ادرك انه منذ كان في اليمن كان مكشوفا لإعدائه وان عملية استدعائه للعراق كانت

لأسباب مجهولة ولكن يبدوا ان اعدائه استطاعوا هناك التأكد من هويته الحقيقة وان ذهابه الى مصر والقاء القبض عليه كان ضمن خطة كبيرة ومجهولة الاهداف. عرف احمد ان نهاية مشواره العملي و ربما حياته ستكون في السجون المصرية وان اخفاء الحقائق عن المصريين ليس ذو جدوى خصوصا ان اعدائه كشفوه واوشكوا ان يقضوا عليه في العراق.

- **نعم.**

كان جواب المتهم على السؤال الاول ايجابيا مما جعل سمير يستمر في هدوء.

- **هل تشعر بألم ؟**
- **كلا.**
- **هل نستمر بالاستجواب .**
- **نعم.**
- **ما اسمك الحقيقي ؟**

ذكر احمد له اسمه الكامل.

- **من اي بلد انت ؟**

ذكر له احمد بلده والمدينة وتاريخ ميلاده.

استمر سمير في طرح الاسئلة الشخصية واحمد يجيب بدقة.

تعجب سمير في السهولة التي يجري بها التحقيق مع المتهم والمفترض انه ارهابي.

- **الى اي تنظيم تنتمي ؟**
- **لا انتمي الى تنظيم.**
- **مع من كنت تعمل ؟**
- **كتيبة الاهوال.**

كانت صراحة احمد في الاجابة تدهش سمير وكانت المعلومة الاخيرة تتطابق مع المعلومة التي اكتشفها اخيرا. ولكنه اراد ان يتأكد اكثر.

- **ما اسمك الحركي في كتيبة الاهوال ؟**
- **رقم ٤٠.**

كانت سمير يزداد تأكد من ان الشخص الجالس امامه هو حقا رقم ٤٠.

- **وكيف من الممكن ان اصدق كلامك.**
- **كما تحب**
- **ما هو لقبك عند الموساد؟**
- **ذو الاربعين وجه ؟**

كانت هذه المعلومة تتطابق ايضا مع معلوماته عن رقم ٤٠.

- **هل تستطيع ان تحكي قصة عملك مع كتيبة الاهوال منذ البداية.**

- نعم .
- انتظر.

خرج سمير وطلب من مراقب الاستجواب ايقاف التسجيل و كتم الغرفة و اعطاءه جهاز تسجيل صغير.

عاد سمير ووضع المسجل امام احمد

- سأفتح المسجل واريدك ان تسرد لي قصتك مع كتيبة الاهوال منذ البداية وحتى هذه اللحظة.

ضغط سمير مفتاح التسجيل.

وجلس ينصت الى احمد وهو يحكي قصته ، احس احمد بنوع من الراحة وهو يحكي قصص بطولاته وكانه يدونها او يسجلها للتاريخ فلن تضيع جهوده وانجازاته في مهب الريح وهناك على الاقل من سيسمعها ويقدر اعماله.
بعد ساعات في تلك الغرفة شعر سمير بالتعب والارهاق وقد تجاوزت الساعة منتصف الليل ، سجل فيها احمد ملاحظاته في دفتر خاص وهو يستمع لأحمد يروي تفاصيل عملياته المتعددة.

- توقف الان ... سنأخذ وقت للراحة ثم نستأنف ...

اوقف سمير جهاز التسجيل ثم حمله معه و خرج.

امر الحراس ان يضعوا سامح سعيد في غرفة انفرادية مع حراسة مشددة وان

يقدموا له وجبة طعام جيدة.

ذهب سمير الى غرفته واستلقى على الاريكة وهو يفكر في هذه الليلة الطويلة المليئة بالمفاجآت.

***

عبد الحميد و رقم ٤٠:

في الصباح وصل "عبد الحميد" مبكرا لمبنى المخابرات ليجد سمير ينتظره في مكتبه ليخبره بآخر المستجدات في تحقيق سامح سعيد.

تفاجأ عبد الحميد بتفاصيل التحقيق والمعلومات التي اعترف بها سامح سعيد او رقم ٤٠ كما يدعي. كان سمير مقتنعا بان سامح سعيد هو رقم ٤٠ وان المعلومات التي اخبرهم بها حقيقية.

- **سمير ، اعطني دفتر ملاحظاتك واكمل تسجيل اعترافات المتهم واستمر في تدوين الملاحظات والمختصرات لأطلع عليها ، حاول ان تنهي التحقيق اليوم واخبرني مباشرة.**
- **حاضر سيدي.**

اهتم عبد الحميد بكون ان سامح سمير هو رقم ٤٠ وكونه يدلي بتفاصيل مهمة عن عملياته السابقة وتفاصيلها بحرية ودون ضغوط.

استمر التحقيق مع احمد الذي اخبر سمير بجميع التفاصيل والمعلومات

المتعلقة بعملياته بدقة مع حرصه على عدم تزويده بالأسماء الحقيقية لرفاقه بالجهاز.

خلال الاستجواب كان سمير يسأل احمد بعض الاسئلة و يستفسر عن بعض الامور التي يراها مبهمة.

بعد الظهر تم استكمال التحقيق واعيد احمد الى زنزانته و التقى سمير بعبد الحميد ليخبره بذلك ويزوده بملاحظاته و مختصر المعلومات التي ادلى بها.

استمع عبد الحميد باهتمام الى سمير .

- **هل تعتقد حقا انه رقم ٤٠ .**
- **نعم ... المعلومات التي ادلى بها دقيقة وتفصيلية ...**
- **حسنا ...**

نظر عبد الحميد في ساعته ...

- **سمير اريدك ، في السادسة ان تقوم باستجوابه مع جهاز فحص الكذب ...**
- **حاضر ، سيدي.**

في السادسة بدأ سمير استجوابا جديدا لأحمد بعد ان ربطوه على جهاز فحص الكذب. بدأ الاستجواب في غرفة مغلقة ، واثناء الاستجواب حضر عبد الحميد الى الغرفة الملحقة والتي فيها يتم رصد نتائج جهاز فحص

الكذب. كانت النتائج سلبية ، كان في الغرفة نافذة تطل على غرفة التحقيق فجلس عبد الحميد يتابع ويشاهد رقم ٤٠ وجها لوجه لأول مرة ، فها هو عميل الاستخبارات الشهير في قبضته بعد سنوات قضاها هذا العميل يترك بصماته في مختلف الاماكن والبلاد محاربا لأجهزة مخابرات العدو و زارعا الرعب في عملائها. بدأ عبد الحميد يستمع الى الاستجواب بهدوء ويجري في ذهنه حسابات دقيقة .

مرت الدقائق بسرعة وانتهى سمير من الاستجواب والذي استمرت فيه نتائج فحص الكذب سلبية. خرج سمير من غرفة الاستجواب ليتفاجأ بعبد الحميد جالسا مع اختصاصي الفحص في الغرفة الملحقة.

- **احسنت سمير ... كان استجوابا ممتازا.**
- **شكرا سيدي ، ما نتيجة الاختبار ؟**
- **سلبية.**
- **ما رأيك ؟**
- **لست مقتنعا ... اوقفوا اجهزة التصوير والتسجيل واوقفوا جهاز فحص الكذب ... اريد الاختلاء به ، اخلوا هذه الغرفة ويبقى سمير فقط للمراقبة.**

اطاع الحاضرين الاوامر و نفذوها بسرعة، ما ان فرغت الغرفة حتى قال عبد الحميد مخاطبا سمير:

- **سمير ، ما سيحدث هنا سيبقى سر بيننا ، هل ذلك مفهوم ؟**
- **حاضر سيدي.**

قال سمير ذلك بحزم رغم غرابة الحوار.

دخل كمال غرفة الاستجواب واغلق الباب وجلس امام احمد.

- **احمد ، هل تعرفني ؟**
- **كلا.**
- **انا مدير مكافحة التجسس.**
- **تشرفت بك.**

تفاجأ احمد من وجود مدير مكافحة التجسس امامه وان كان الشك ساوره في حقيقته.

- **لقد اعترفت على كتيبة الاهوال تفصيلا ، لماذا ؟**
- **لقد تم حلها وتم كشف اسرارها لإعدائنا ، فلا ضير في كشفها لكم.**
- **متى اتصلت بأبو عامر اخر مرة ؟**
- **قبل ايام .**
- **تكلمت معه في الهاتف ؟**
- **نعم.**
- **وهو الذي زودك بتفاصيل عملية العراق ؟**
- **نعم .**

- **حسنا ... معلوماتنا المؤكدة ان ابو عامر توفي قبل شهرين في ظروف مريبة.**

بدأ التأثر والارتباك على وجه احمد. استمر عبد الحميد

- **يبدوا ان ملفاتكم تم تسليمها للموساد بطريقة او اخرى.**
- **يبدوا ذلك.**
- **هل تعلم ما هو مصيرك ... عليك مذكرة قبض دولية من دول اوروبية وعربية و سنضطر كدولة الى تسليمك لهم.**
- **نعم ، انا افهم.**

قام عبد الحميد من مكانه ووقف بجانب احمد الذي كان مقيدا الى كرسي الاعتراف. كان سمير لا يسمع الحوار الذي يجري في الغرفة لان عبد الحميد امر بكتم الصوت وعندما وقف بجانب احمد لم يستطع رؤية احمد من مكانه.

- **احمد ، ستنتهي حياتك في افضل الاحوال في سجن انفرادي مؤبد ... لذلك انا ارى ان الموت افضل لك....**

تفاجأ احمد و نظر الى وجه عبد الحميد الواقف الى جانبه ... لكنه قبل ان يتكلم احس بوخزة في كتفه.

- **ما هذا ...**

و قبل ان يكمل احمد تساؤله فقد وعيه ...

اخفى عبد الحميد في جيبه الحقنة الصغيرة وتحسس نبض احمد الذي توقف فجأة ... وخرج الى غرفة المتابعة حيث سمير:

- استدعي الطبيب فورا ... يبدوا ان سامح فقد الوعي.

بعد دقائق حضر الطبيب وقام بفحص احمد ثم فتح قيده هو والحراس ومددوه على الارض وبعد عدة دقائق من الفحص والمحاولات.

- سيدي ، لقد مات ، قلبه متوقف.
- هل هناك امل في انعاشه ؟
- كلا سيدي ، لقد حاولت.
- اعمل له شهادة وفاة حتى ننقله للطب العدلي ... سمير حضر سيارة لنقل الجثة.
- سيدي هناك سيارة اسعاف جاهزة.
- لا داعي للفت الانظار ... ونادي لي عريف "فرج".

ذهب سمير لإعداد سيارة لنقل الجثة ، وخلال دقائق تم حمل الجثة الى السيارة. ثم حضر عريف "حسين" وكان رجلا كبير العمر من قدماء الجنود في المديرية ، اخذه عبد الحميد على جنب وتكلم معه بهدوء. ثم اتصل عبد الحميد بحراس البوابة لتسهيل خروج جثة سامح سعيد الى المشرحة.

كان سمير يراقب بحذر واستغراب الى عبد الحميد وهو يتصرف ببرود كأن شيئا لم يحدث. خلال دقائق قليلة مات احمد فجأة و بسرعة سيتم نقل جثته

الى المشرحة.

وهكذا غُلق ملف سامح سعيد في المخابرات المصرية الى الابد.

في أحضان العدو

ليلة وداع:

وقف عازار ينظر الى اطلالة القمر المستدير على المدينة الهادئة في سكون الليل، وبجانبه راحيل زوجته المحبة وهي تنظر اليه بإعجاب نظرة الحبيبة العاشقة والمتعلقة برجل احلامها. نظر اليها عازار وقد القى عليها ضوء القمر ضياء لطيفا زادها جمالا وقد بدت في ملابس النوم الحريرية حورية من قصص ألف ليلة وليلة.

- **هل تحبينني حقا؟**

سألها عازار. كان السؤال مباغتا ومستغربا فلطالما أبدت له عن حبها له قولا وفعلا وربما فعلت ذلك كل يوم وربما كل الوقت لذلك اسرعت بالرد.

- **اكيد يا حبيبي وهل عندك شك في حبي لك!**

- **كم تحبينني؟**

كان وجه عازار جادا وقسماته صارمة ولم تظهر على وجهه الابتسامة او ما يدل على انه يلاعب او يلاطف.

- **احبك اكثر من كل شيء في حياتي يا حبيبي ، لماذا تسأل هذه الأسئلة الغريبة ... عازار.**

كانت راحيل تعيش مع عازار أجمل أيام حياتها فرغم انها تزوجته منذ ثلاث سنوات الا انها كانت سنوات مملوءة بالحب والدفء فأخلاقه الطيبة وروحه المرحة والمتسامحة عكست شخصية ذلك الشاب الإيطالي ذو التربية الريفية البسيطة و حياة العائلة الدافئة.

و رغم سنين كثيرة من التدريب والخبرة قضتها راحيل في جهاز الموساد الا انها لم تستطع فهم طبيعة اسئلته ومغزاها ولم تستطع قراءه ملامح وجهه.

ما ان اجابته استدار اليها عازار بكامل بدنه ووضع احدى يديه على رقبتها والأخرى على وسطها مع لمسة دافئة.

-اريدك ان تعلمي إني احبك أكثر من حبك لي وسأبقى احبك الى الابد مهما حدث.

تبادل الاثنان قبلة دافئة ودخل الاثنان الى داخل الشقة. حيث قضى الاثنان ليلة جميلة في انتظار الصباح القادم الذي يحمل في طياته الكثير .....

*****

نظر عازار في حب الى راحيل النائمة وهو يلقى عليها نظرة الوداع الأخيرة ... كما كان يظن. مع طلوع الفجر ترك "عازار" فراشه كعادته كل صباح. كان عازار يعمل في خدمة التوصيل وقد اعتاد خلال سنوات من عمله على النهوض مبكرا لإعداد فطوره وغداء العمل الذي سيحمله معه في سيارة التوصيل.

بعد فترة وجيزة خرج عازار حاملا حقيبته مرتديا ملابس العمل، استقل عازار سيارته وانطلق باتجاه وسط المدينة في تل ابيب. في كل خميس كان جدول عمله يتضمن عمليات توصيل مواد تموينية الى عدة دوائر حكومية في تل ابيب.

اتصل عازار بالهاتف بصديقه "فرايم":

- كيف حالك افرايم ، انا قادم اليك.

- اهلا بك، قد اعددت الطلبيات كما اردت.

دقائق كان افرايم يقف على جانب الطريق وقد وضع بجانبه عدة صناديق مختلفة الاحجام واكياس تسوق بانتظار صديقه.

توقف عازار بسيارته بالقرب من افرايم وتبادلا التحية، فتح عازار باب صندوق السيارة الخلفي ، وحمل الاثنان الصناديق والاكياس الى الخلف حيث القى عازار نظرة عليها للتأكد.

ركب الاثنان السيارة، كانت جولة التوصيل في ذلك الصباح تتضمن الذهاب الى مقر وزارة الدفاع وأحد مراكز الشرطة والانتهاء بمقر المخابرات الإسرائيلية الموساد.

كان من المستحيل الحصول على عقود توصيل مع هذه الجهات بدون توصية او وساطة لذلك كانت راحيل بعلاقاتها و بسبب وضيفتها السابقة ، السبب

الرئيسي الذي سمح لعازار الحصول على هذه العقود المهمة. و رغم ذلك احتاج عازار الى الحصول على موافقات كثيرة من الأجهزة الامنية واجتياز عدة تحقيقات واختبارات بعضها كانت سرية لضمان امن تلك المؤسسات.

***

مقر الموساد:

يقع مقر قيادة الموساد في تل ابيب في منطقة عسكرية شديدة التأمين والتحصين، و بناية القيادة تتكون من عدة طوابق تضم اقسام جهاز الموساد المختلفة.

في احدى غرف تلك البناية كان أهارون يشرب كوبا صغيرا من الشاي. اعتاد أهارون شرب الشاي كل صباح خلال السنين الكثيرة التي قضاها مع العرب. تسلم المقدم أهارون رئاسة جهاز العمليات الخارجية في الموساد قبل أشهر تقديرا لجهوده وخبرته الكبيرة في العمليات خارج إسرائيل.

امام أهارون كانت شاشة كمبيوتره تعرض عرضا رقميا لأخر الاخبار السرية المجموعة من قبل وكالات المخابرات الإسرائيلية المختلفة. كان الاطلاع على هذه المعلومات واجب يومي له ليكون على اطلاع بآخر المستجدات والمعلومات الاستخبارية.

فجأة استرعى انتباه أهارون خبر أثار استغرابه، جعله يتوقف ليتأمل فيه ، كان استقالة ضابط المخابرات المصري المخضرم "عبد الحميد فوزي".

عبد الحميد فوزي هو عميد في المخابرات المصرية وكان لعدة سنوات مسؤول مكافحة التجسس، وقد اطلع على كثير من الملفات السرية لعمليات الموساد الخارجية كما كشف الكثير من شبكات التجسس الإسرائيلية في مصر وعدد من الدول العربية. كان عبد الحميد ضابطا وطنيا رصينا وكان ندا قويا واستطاعت الموساد وبجهود سرية كبيرة و مستمرة على مدى سنوات طويلة أن تبعده عن إدارة قسم مكافحة التجسس ليتسلم ملفا امنيا اخر.

ضغط أهارون مفتاحا في جهاز الاتصال الداخلي:

- **شمعون، احضر هنا.**

- **حاضر سيدي.**

ثواني قليلة دخل المعاون شمعون، القى التحية وجلس امامه

- **شمعون، هل تعرف العميد المصري عبد الحميد فوزي؟ انا متأكد إنك سمعت به.**

- **نعم، تجابهنا في احدى العمليات في اليونان.**

- **جيد اذن انت تعرفه جيدا، عبد الحميد هو اخر من التقى بـ"ذي الاربعين وجها" قبل موته، وقد استجوبه وحصل منه على كل تفاصيل عملياته. كما انه الوحيد الذي يعلم مكان دفنه.**

- **حسنا، وهل هناك جديد؟**

- عبد الحميد قدم استقالته قبل أيام بدلا من ان يتقاعد من الخدمة.

- امر غريب، فبعد هذه الخدمة الطويلة كان من المفترض ان يُرقى او يتقاعد مع تكريم او مكافأة كما هي العادة في مصر.

- بالضبط، لذلك اريد ان اعرف أسباب استقالته او ان كان اجبر على الاستقالة.

- سنطلب من قسم مصر تزويدنا بالتفاصيل.

- كلا شمعون، اريد ان ترسل ضابطا من النخبة الى القاهرة بأسرع وقت... اريد معرفة تلك المعلومات والاهم اريد ان يجلب لي ملف استجواب "ذي الاربعين وجها".

- وكيف سيجده ؟، هل هو في أرشيف المخابرات المصرية.

- وفق معلوماتي الخاصة، ملف استجواب "ذي الاربعين وجها" موجود حصرا في غرفة عبد الحميد في خزانته الخاصة، والان بعد استبعاده يجب ان نحصل على ذلك الملف.

- هذا مؤكد، خلال أسبوع سأجلب لك ما طلبت.

- جيد شمعون، السرعة مهمة جدا.

- خرج شمعون ليبدأ بتنفيذ أوامر رئيسه.

تناول أهارون كوب الشاي وهنا انتبه على خط في ظهر كفه الايمن، كان قد اعتاد على رؤية هذا الخط طوال السنين الماضية، لكن المحادثة السابقة اثارت في نفسه ذكريات قديمة فذلك الخط كان نتيجة جرح قديم نتيجة انفجار سببه "ذو الاربعين وجها" في اول مواجهة معه.

كان "ذو الاربعين وجها" يظهر في معظم الأماكن التي يذهب اليها أهارون. "ذو الاربعين وجها" كان ضابط استخبارات عربي وقد قام بعدة عمليات لتخريب عمليات الموساد الخارجية في الدول العربية وقد قاد ذلك الى تواجه أهارون و "ذو الاربعين وجها" في عدة مواجهات مباشرة.

كان اخرها عندما تواجها في عملية البحر الأحمر حيث كان أهارون مسؤولا عن نقل السلاح الى المتمردين في الصومال والسودان ضمن عملية كبيرة لزيادة النفوذ الإسرائيلي في تلك المنطقة. في حينها استطاع أهارون القبض على "ذي الاربعين وجها" ولكنه أفلت بأعجوبة منه و قاد ذلك الى إيقاف العملية بعد تدمير مخزون الاسلحة التي كانت اسرائيل تمول به المتمردين.

***

الصعيد:

نظر عبد الحميد الى الشابين الجالسين امامه، عمرو و طاهر كان الاثنان من عباقرة التكنولوجيا الرقمية في مصر، اما عمرو فخبير في المنظومات

الالكترونية والتشويش والبرمجيات أما طاهر فكان قرصان شبكات وخبير في فتح الشفرات و اختراق الأنظمة الأمنية.

-انا واثق فيكما يا شباب ثقة كبيرة ومتأكد انكما ستحققان نتيجة عظيمة اليوم.

كان الشابين يصغيان باهتمام الى عبد الحميد فهو قد عرض عليهما قبل فترة الاشتراك في عملية مهمة للأمن القومي ولكنه لم يطلعهما على التفاصيل إلا أمس فقط عندما ارسل اليهما يطلبهما بصورة عاجلة.

- **عمرو و طاهر، بعد ساعات ستبدأ العملية، سنقوم باختراق كبير لمنظومة معادية و سنستلم معلومات الكترونية مشفرة سرية على قدر كبير من الأهمية تخص دولة عدوة، تتضمن ارقام حسابات بنكية وتتضمن بيانات وتقارير استخبارية، المطلوب منكم فك شيفرة هذه المعلومات وخزنها بأمان ودقة.**

عمرو – كيف سنستلمها ؟

-لدي منظومة اتصال عبر الأقمار الصناعية، سنستلمها اليوم على شكل مستندات الكترونية مشفرة.

طاهر– هل لدينا وقت محدد لإنجاز العمل.

- يجب ان ننجز العمل في غضون ساعة، ليس فك الشيفرة وترجمة المعلومات فقط... و لكن بعد ان تقوما بتصنيف المعلومات ستحتوي هذه المعلومات على معلومات وتقارير سرية على قدر كبير من الأهمية بالإضافة الى حسابات مصرفية، سنقوم بتحويل الاموال في تلك الحسابات الى حسابات متعددة قمت بوضع قائمة بها، بعضها لمنظمات خيرية وإنسانية وأخرى لحسابات وهمية وبعضها لأشخاص يستحقون المساعدة، سنفرغ تلك الحسابات بسرعة وبسرية وبدون السماح بإمكانية تتبعها.

طاهر – والمعلومات الاستخبارية ماذا سنفعل بها؟

- سنقوم بتقسيمها الى قسمين القسم الذي يخص الامن الداخلي للعدو سنقوم بنشرها على شبكة الانترنيت وسنرسلها الى الصحف العالمية أما القسم الثاني والمتضمن ما يخص مصر والدول الأخرى وأسماء العملاء والمعلومات العسكرية والأمنية سأحتفظ به لأسباب امنية.

عمرو – هل نستطيع ان نعرف من هو العدو؟

- انا لا اريد ان اكشف عن مصادري، ولكن ستعرفان من عندما تنجح عملية الاختراق.

- سيد عبد الحميد اود ان انبهك الى امر. إذا كانت الجهة المخترقة من الدول الغربية المتقدمة تكنولوجيا فعلى الأرجح انهم في وقت ما ولو بعد

حين لا أستطيع تحديده بالضبط، سيستطيعون تحديد موقعنا جغرافيا وتحديد أجهزة الاستلام و الحواسيب التي نعمل عليها.

- **ذلك متوقع لذلك حددت ساعة كأقصى حد لعملية استلام المعلومات واكمال العملية برمتها ... كما ان كل الأجهزة التي تحتاجانها متوفرة هنا ولن تستعملا أي أجهزة اخرى بعدها سأقوم بتدمير المكان بأكمله... سيجدون كومة من الركام.**

احمر وجه عبد الحميد وبدا الانفعال عليه عندما قال الكلمات الأخيرة، كانت فكرة تدمير المنزل والمزرعة التي ولد فيها وقضى فيها أحلى أيام حياته تحزنه ولكن هدفه وحرصه على نجاح هذه العملية فوق كل التضحيات.

طاهر– سيد عبد الحميد لا داعي لتدمير المكان اذا كان هناك متسع من الوقت نستطيع ان ننقل الأجهزة الى مكان اخر ونقوم بالعملية من هناك.

- **كلا انا لا أبه لأمر البيت ، كما اني درست الامر جيدا هذا افضل مكان لعمليتنا ... الامر الاهم ان ننجح.**

***

في الداخل:

اعتاد عازار خلال عامين مضت، تسليم الطلبات الى مقر الموساد من مواد غذائية ومواد صحية وكذلك طلبات توريد الى مقرات عسكرية وامنية أخرى وقد حققت هذه العقود دخلا جيدا له خلال السنتين الماضيتين.

في ذلك الصباح ، سلم عازار الوجبة الأخيرة من المواد التموينية الى مقر الموساد، و جلس خلف المقود، نزل افرايم وفتح غطاء المحرك ليفحص المحرك.

نظر عازار في ساعته اليدوية كان الوقت يمر ببطء كالعادة عند الانتظار، كانوا يقفون قرب مستودع البناية حيث اعتادوا تسليم المؤن وكانت البناية المكونة من أربع طوابق محاطة بفضاء واسع فيه الكثير من البنايات الصغيرة التي تشمل غرف الحرس وبعضها تخبى اماكن لأسلحة مضادة للجو ومخازن للذخيرة المستعملة للدفاع عن المقر في حال الضرورة.

كانت حركة الافراد قليلة جدا بسبب بروتكول امني يمنع حركة المشاة داخل فضاء البناية. وكان الحراس متواجدون عند البوابة حصرا لان المنطقة المحيطة كانت مؤمنة بسبب الطابع العسكري للمنطقة.

يخفي هذا المقر مركز قيادة لمعظم الأنشطة السرية لدولة إسرائيل في العالم وبرغم ان الموساد لديهم مقرات حول العالم وأخرى داخل إسرائيل مناط بها نشاطات متعددة الا ان هذه البناية تضم سلسلة القادة التي يقودون ويوجهون معظم تلك النشاطات كما ان المقر يضم السوبر حاسوب الأكبر في إسرائيل

والذي يحوي معظم اسرار دولة إسرائيل مثل قدراتها العسكرية ومصادر اقتصادها والخ.

عندما حان الوقت فتح عازار صندوق لوحة القيادة وضغط مكانا سريا فيه ليخرج جهاز محمول وضغط مفتاحا على الشاشة.

ثواني قليلة مرت قبل ان يدوي صوت انفجار كبير.

****

الانفجار:

سمع أهارون صوت مكتوم يأتي من بعيد. نظر امامه عبر زجاج النافذة عسى ان يرى شيئا ، عاد الهدوء كأن شيئا لم يكن. فجأة سمع أهارون صوت تنبيه على جهاز الحاسوب مع خبر عاجل (انفجار عبوة في تل ابيب). نظر أهارون الى الساعة، كانت الساعة ١٠:١٠ صباحا.

فتح أهارون جهاز التلفاز ليشاهد القناة الإسرائيلية المحلية، كانت التلفاز يعرض في شريط الاخبار خبرا عاجلا عن انفجار عنيف في تل ابيب. كانت هذه الحوادث من اختصاص جهاز الامن ولكن وصول الانفجارات الى قلب ابيب كان امر خطيرا. منذ سنوات طويلة ظلت تل ابيب هادئة بعيدا عن العمليات الإرهابية ولم يحدث فيها انفجار طوال اكثر من عشرين عاما. كان هذا الانفجار مفاجئا، لكن ربما كان انفجارا عارضا وليس إرهابيا ، حدث أهارون نفسه بذلك خاصة انه لا تقارير امنية سابقة حذرت من إمكانية حدوث

هكذا حوادث خصوصا ان اجهزة الامن الإسرائيلية تمتلك إمكانيات كبيرة ومعقدة على استكشاف وتحسس أي تحركات مشبوهة تمس الوضع الامن الإسرائيلي.

وعاد أهارون لإكمال عمله في قراءة وتقييم آخر التقارير السرية لقسم العمليات السرية. فجأة تغير شريط الاخبار الى: تعرض موكب وزير الدفاع الإسرائيلي الى انفجار عنيف.

كان الخبر صادما فهذه المرة الاولى منذ عقود التي يتعرض فيها موكب لوزير مهم مثل وزير الدفاع الى انفجار. خرج أهارون من غرفته وذهب الى مركز المراقبة والذي لا يدخله سوى كبار الضباط.

كان المركز عبارة عن قاعة كبيرة مليئة بشاشات العرض التي تنقل الاخبار والمشاهد من مختلف انحاء إسرائيل والعالم ، يشرف عليها ضباط متخصصين في المراقبة والمتابعة. كان مركز المراقبة يمتلك شبكة مليونية من كاميرات المراقبة موزعة في الشوارع والدوائر الحكومية والمعسكرات تراقب معظم أراضي دولة إسرائيل. كان لمركز المراقبة في الموساد امكانية مراقبة كل هذه الأماكن وفق نظام متطور للإنذار المبكر.

سلم أهارون بسرعة وجلس بالقرب من شالوم مدير المركز وقال متسائلا:

- ما هذا الخبر! ما التفاصيل؟

- عبوة كانت موضوعة في حاوية نفايات بجانب الطريق انفجرت اثناء مرور موكب وزير الدفاع.

- كيف حال الوزير.

- بخير لم يصب بأذى.

- هل هناك خسائر؟

- أصيب أربعة حراس بجروح متفاوتة وتم تدمير سيارة بالكامل وتضررت أخرى.

- هل تم تفجيرها عن بعد ؟

- انظر ساريك تسجيل كاميرة المراقبة ... انظر

على شاشة قريبة من مقعديهما تم عرض تسجيل للحادثة ...

– شاهد الانفجار حدث عند اقتراب اول سيارة من سيارات الحماية من حاوية النفايات تلك ... يبدوا انه لغم فُعل قبل مرور الموكب ومع اقتراب اول سيارة ... انفجر.

-انها عملية دقيقة ولكنها لم تكن تستهدف شخص وزير الدفاع.

-يبدوا هذا.

فجأة علا صوت انذار ولمع ضوء احمر في جانب من القاعة للحظات.

-انفجار جديد ... قال شالوم.

امام الموساد

صعد افرايم الى السيارة الى جانب عازار بعد ان تظاهر بانه يضبط محرك السيارة.

- **سنتحرك الان ... كن جاهزا .**

تحركت سيارة التوصيل باتجاه بوابة الخروج وعندما تقدم أحد الحراس من السيارة وفق الإجراءات المتبعة، ضغط عازار مفتاح سري في جهازه المحمول.

لمع ضوء شديد ودوى صوت انفجار كبير على بعد خمس و عشرين مترا من البوابة. وهبت موجة من الدخان الرمادي غطت المكان حتى اخفت البوابة ومكان الحراس، وسط الدخان كان هناك أصوات ميكانيكية وصفارات انذار يبدوا انها انطلقت بتأثير الانفجار.

مرت هذه الثواني بسرعة كأنها دهر من الزمن ففتح عازار و افرايم أبواب السيارة و نزلا يركضان مبتعدين ليُظهرا رعبهما نتيجة الانفجار المفاجئ، ابتعدا عن البوابة تاركين السيارة، لكنهم لم يبتعدا كثيرا فقد جاء عدد من الحراس المدججين بالسلاح وامروهم بسحب السيارة الى الداخل.

كان الدخان قد تلاشى وقد ظهرت البوابة وقد أغلقت بشكل كامل بوساطة متاريس الية ظهرت من تحت الأرض لتمنع دخول أو خروج أي عربة او آلية.

***

الارتباك:

نظر أهارون الى ساعته كانت تشير الى ١٠:١٥ وظهر على وجهه الضيق والانزعاج.

- **خمس دقائق بالضبط.**

- **ماذا؟**

- **خمس دقائق ما بين الانفجار الأول وهذا الانفجار.**

كان هناك اضطراب في المكان وتحرك العاملين بسرعة للتعرف على مكان الانفجار الجديد.

- **انه هنا امامنا قرب الموساد !!! قال... شالوم**

كانت قاعة المرقبة هذه تحت الأرض مؤمنة ضد مختلف أنواع الأسلحة المدمرة بما فيها الأسلحة النووية لذلك كان من غير الممكن على من فيها ان يسمعوا او يشعروا بالانفجار.

- **ماذا!**

- انظر على هذه الشاشة.

على شاشة كبيرة من شاشات القاعة ظهرت بوابة مقر المخابرات والدخان الأبيض يغطيها.

نظر الاثنان وقد بدت الحيرة والاندهاش عليهما، ضغط شالوم عدة ضغطات على شاشة مكتبه فظهرت على الشاشة الكبيرة مشهد للبوابة والطريق خارج المقر ثم أعاد زمن اللقطات المصورة قبل الانفجار وأعاد عرضها.

- انظر أهارون الطريق فارغ قبل الانفجار ... هنا قرب عمود الانارة.

- هناك شيء انفجر بقرب العمود ... أوقف الصورة.

أوقف شالوم الصورة ثم إعادة اللقطة بضع ثوان قبل الانفجار وكبرها ليشاهدوا مصدر الانفجار.

- ما هذا انها عبوة مخفية في هيئة حجر الرصيف.

- لقد صنعت بمهارة لكي يصعب رؤيتها.

كانت ذهن أهارون يعمل بسرعة انه عمل متقن لكن هناك شيء محير هو ما الهدف من هذا الانفجار انها قنبلة صغيرة وانفجرت بدون هدف! هل انفجرت خطأً ! كلا فمن صنعها بهذه المهارة لن يخطأ في تفجيرها، وقبلها الانفجار الذي استهدف موكب وزير الدفاع لم يكن موجها بدقة، انها

انفجارات صغيرة لتسجيل انتصارات معنوية! او لإحراج الحكومة واسقاطها انتخابيا ربما ... ومن يسعى لذلك ، حدث أهارون نفسه ؟!

****

استجاب عازار و افرايم للأوامر الصارمة وصعد عازار لقيادة السيارة بينما بقي افرايم ليوجه عازار الذي بدأ بسياقة السيارة الى الخلف. لم يأبه الحراس الى السيارة فقد كانوا منشغلين بالانفجار حيث انتشر الحراس في أماكنهم المحددة بعد ان حملوا كامل تجهيزاتهم من الأسلحة في حالة تأهب خوفا من تطور مفاجئ.

عاد عازار بالسيارة الى الخلف بعيدا عن البوابة ووقف في مكان محدد أشار اليه افرايم ثم صعد افرايم الى السيارة بانتظار الدقائق المقبلة.

***

ارمجدون:

- انفجار جديد ... قال شالوم.

- اين ؟

- في مقر وزارة الدفاع ... انظر هنا وأشار الى شاشة عرض ثالثة ... الدخان يتصاعد من الطابق الأرضي.

نظر أهارون الى ساعته كانت تشير الى ١٠:٢٠ انها خمس دقائق بالضبط.

فجأة، لمعت ساعة أهارون الذكية مشيرة الى تلقي رسالة عاجلة "اجتماع عاجل"، غادر أهارون مكانه الى قاعة الاجتماع.

جلس كبار الضباط في مقاعدهم بانتظار الرئيس. كان الاضطراب والحيرة يعمهم. فهذه اول مرة منذ زمن طويل تحدث سلسلة من الانفجارات المتسلسلة وفي قلب تل ابيب والأخطر ان تضرب اهدافا حيوية.

دخل رئيس الجهاز وجلس وقال بعجالة.

- **تم اعلان حالة الطوارئ في تل ابيب وتم الطلب من المواطنين لزوم البيوت وعدم الخروج الى الشارع ... رئيس الوزراء متضايق جدا ويريد ان نحدد له الفاعل.**
- **ان هذا مسؤولية جهاز الامن الداخلي سيدي!**
- **ليس لديهم معلومات، الرئيس يريد منا ان معلومات.**
- **لا بد انهم القسام.**
- **او الجهاد ...**

– كلا هذا ليس اسلوبهم.

– أهارون ما رأيك لما انت صامت – قال الرئيس:

– حضرة الرئيس، لقد حدثت ثلاث انفجارات ابتدأت بال ١٠:١٠ ثم تتابعت بفارق خمس دقائق بين انفجار واخر واعتقد انها لم تنتهي بعد ، والانفجار التالي سيحدث بعد دقيقتين.

نظر الرئيس اليه باندهاش

- هل تتوقع المزيد من الانفجارات؟

- نعم

- هذا ليس من عمل الفلسطينيين، لن يجرؤوا على هكذا عمل وكذلك العرب لن يفعلوها ، من تعتقد له الجرأة للقيام بمثل هكذا عمل ؟

- انه رجل ميت ... قال أهارون بعبارة مؤكدة .

نظر اليه الحاضرون باستنكار ودهشة لهذه العبارة المبهمة ، و قبل ان يكمل كلامه جاءت رسالة تنبيه الى الرئيس نظر الى جهازه وقال:

- حدث الانفجار الرابع كما توقع أهارون ، أكمل يا أهارون ماذا قصدت؟

- من خطط للعملية ويقوم بها الان لا يتبعون لأي جهة معروفة لدينا فلا العرب ولا الفلسطينيين ولا جهاز مخابرات عالمي سيتجرأ على هكذا عملية ببساطة لأنه يعلم اننا لنا نتركه يعيش طويلا... لذلك الفاعل مجموعة من الانتحاريين المحترفين والمدربين جيدا ...

- هل تعتقد انهم مواطنين؟

- يجب ان نمسك بهم لنعرف، ان هدف هذه العملية هي الاستهزاء بدولة إسرائيل وانظمتها الأمنية بالمقام الأول.

- الانفجار الجديد استهدف مركز شرطة ... قال الرئيس بعد ان جاءته رسالة على جهازه.

- ما هو مجموع الإصابات والاضرار؟

اتصل الرئيس بجهاز الحاكي الخاص امامه وسأل مسؤول المعلومات فجاءه الرد بعد ثواني.

– هناك ٢٨ جريح في المواقع الثلاثة المستهدفة من ضمنهم مقرنا مع اضرار جسيمة في البنايات وحرائق في بناية وزارة الدفاع ومركز الشرطة.

– أهارون رئيس الوزراء يريد ان نحدد له جهة مسؤولة لكي يخرج في مؤتمر صحفي ليطمئن المواطنين.

– لا أستطيع تحديد جهة ولكنه يستطيع ان يختار جهة بالمتناول قصفها.

– لابد انهم المخربين في غزة... أهارون تولى انت التحقيق في الأمر.

– حضرة الرئيس، اسمح لي بالانصراف، اريد ان ابدأ تحقيقي.

اشار الرئيس اليه بالانصراف.

ما ان خرج الى الممر حتى انطفأت الكهرباء للحظات ثم عادت، نظر أهارون الى ساعته مجددا انها ١٠:٣٠، انه انفجار جديد. أسرع الى مركز المراقبة.

ما ان فتح الباب حتى قال شالوم:

- هجوم بالدرون على محطة توزيع كهرباء تل ابيب. أدى الى قطع الكهرباء عن جزء من تل ابيب.

- اظهر لي المحطة؟

كانت صور المحطة تظهر احد أبراج الكهرباء والنار تندلع فيه.

انها طائرة صغيرة محملة بشحنة لا تتجاوز الكيلوغرام، قال في نفسه أهارون.

كانت هناك ست شاشات تنقل الانفجارات. كان هناك انفجاران في الشارع أحدهما استهدف وزير الدفاع والثاني حدث امام مقر المخابرات في داخل المنطقة الأمنية بينما الثلاث الأخرى فحدثت في داخل بنايات امنية شديدة التحصين بالإضافة الى هذا.

اين بالضبط حدثت الانفجارات في البنايات الامنية ؟

حدثت في مستودعات ومخازن.

وهنا لمع ضوء احمر مع صوت تنبيه مختلف.

- رئيس الوزراء أعلن خطة طوارئ ارمجدون.

كانت خطة طوارئ ارمجدون تعنى المستوى الأعلى من الإنذار وهي مرافقة لحدوث هجوم عدائي يستهدف وجود الامة.

- سيد أهارون ارجوك حسب التعليمات يجب أن تذهب الى ملجأ المقر، نحن الوحيدون المسموح لنا بالبقاء في هذا المركز.

خرج أهارون وفي رأسه تدور أفكار كثيرة.

***

الاختراق:

خيم الصمت والانتظار في بيت عبد الحميد الواقع في الصعيد، كان عمرو وطاهر يراقبان الأجهزة في صمت والساعة تقترب من العاشرة والنصف. كان عبد الحميد قد بدا القلق عليه فقد مرت دقائق كثيرة ولم يستلموا خلالها أي معلومات.

كان عبد الحميد يراقب شاشة التلفزيون وقد اغلق صوت الجهاز وعرض قناة إسرائيلية وهو يقرأ الاخبار العاجلة، كانت على وجهه ابتسامة صغيرة فبالرغم من قلقه الا ان العملية تسير بانتظام فالانفجارات تحدث بانتظام بدون عراقيل وحسب ما هو مخطط لها.

- سيدي بدأت تصلنا معلومات مشفرة.

فرح عبد الحميد و ملأت الابتسامة وجهه كطفل صغير حصل على هدية، أخيرا فقد تحقق الجزء الثاني من العملية.

- عظيم نفذا وفق الخطة.

بدأ عمرو بالعمل على فتح شفرات المعلومات وبدأت تنكشف له المعلومات.

- انها باللغة العبرية!

- وهل ذلك يقلقك؟ .... قال عبد الحميد.

- كلا هل العملية ضد الصهاينة.

- بالتأكيد.

- ان لي الفخر ان اشترك في هكذا عملية.

- لقد اخترتكم لأنكم ابطال واعرف مدى شجاعتكم.

- قولك هذا نفتخر به سيد عبد الحميد ... قال طاهر.

بدأ الاثنان على تصنيف المعلومات واجراء ما طلب منهما.

***

الطلبات المتفجرة:

في الملجأ كان ضباط جهاز الموساد يتابعون اخر التطورات عبر شبكة من شاشات العرض وأجهزة الاتصال بينما كان أهارون يجلس يفكر وكانت تجول في رأسه فكرة مستحيلة كأزيز بعوضة في اذنه.

لولا علمي ان "ذي الاربعين وجها" ميت وان كتيبة الاهوال قد حُلت لأكدت لرئيس المخابرات انهم المسؤولون على هذه العملية. فقط رجل لا يخشى الموت مثل "ذي الاربعين وجها" لو كان حيا يستطيع القيام بمثل هكذا عمليات استفزازية، ستة انفجارات لحد الان لابد ان من اشترك فيها عدد من الأشخاص ولكن كيف دخلت العبوات داخل اكثر البنايات تحصينا ، هل هناك تواطأ من داخل المقرات الأمنية سمحوا بدخول المتفجرات، هل استطاع المنفذون تجنيد مجموعة من الحراس في تلك البنايات ، مستحيل ، فجأة لمعت في ذهن أهارون فكرة، اتصل عبر جهاز الاتصال الخاص داخل الملجأ بشالوم :

- **شالوم اريد ان تتحقق هل تم تسليم طلبيات اليوم او أمس الى المقرات الأمنية المستهدفة بالانفجارات.**

نظر الضباط الموجودون الى أهارون وقد ارعبتهم وادهشتهم الفكرة. طلب شالوم منه الانتظار على الحاكي.

نظر أهارون الى ساعته كانت هناك ثلاث دقائق متبقية على الانفجار التالي.

بقي أهارون ينتظر ومن حوله من المتواجدين في الملجأ ومن ضمنهم الرئيس ينتظرون الجواب وكأن على رؤوسهم الطير.

- **نعم تم تسليم الطلبات أمس ليلا وصباح اليوم وباستعمال نفس المركبة.**
- **اللعنة، ابحث عن السيارة وأين قد تكون سلمت باقي بضائعها.**

فجأة انبرى من بين الموجودين ضابط صغير.

– لقد رأيت سيارة توصيل داخل المبنى قبل نزولي الى الملجأ.

كان لتلك العبارة وقع الصاعقة.

***

الهجوم:

- **لدينا خمس ثوان لتغيير الملابس ... قال عازار**
- **كان عازار و افرايم في سيارة التوصيل قد خلعا بدلة العمل التي يلبساها ليظهر تحتها ملابس عسكرية مشابهة لملابس الحرس الإسرائيلي، كان الاثنان يراقبان الساعة كانت تشير الى اقتراب حدوث الانفجار التالي.**

اخرجا السلاح من مخابئ تحت المقاعد واعداها للاستعمال. كانت اسلحة بلاستيكية غير قابلة للكشف بأجهزة الفحص. ثواني انفجر مستودع مقر المخابرات وغطى المكان دخان الانفجار الكبير الذي حطم جزء من المبنى وأدى الى انهيار الجانب الغربي منه.

نزل الاثنان حسب الخطة باتجاه أقرب بوابة للمبنى حيث كان هناك حارسان يراقبان البوابة. اقترب الاثنان وسط الدخان وعاجلا الحارسان بضربتين قاتلتين وسحباهما الى داخل المبنى. استولى الاثنان على اسلحة الحراس الآلية.

كان المكان خاليا بسبب إجراءات الاخلاء وأسرع عازار و افرايم الى سلم البناية الرئيسي وحسب الخطة اختبئ افرايم في استدارة السلم بينما أسرع عازار الى الطوابق العليا. كان عازار يحمل مسدسا في يد و بخاخا ملونا يرش به كاميرات المراقبة التي يراها في طريق صعوده بدأ عازار بتحطيم أبواب المكاتب وحمل ما تقع عليه عيناه من وثائق او ملفات او أجهزة خزن الكترونية ويضعها في حقيبة خاصة كان يحملها على كتفه كان عازار يركض بسرعة من غرفة الى أخرى وينظر الى ساعته حتى إذا انتهى التوقيت المحدد مسبقا عاد في الطريق عينه الذي جاء منه ليضع عبوات لاصقة صغيرة بصورة متفرقة في الغرف والممرات هابطا الى الأسفل الى افرايم الذي كان يطلق النار من وقت لآخر ليجبر حرس البناية على التراجع وعدم صعود السلم.

أشار عازار الى افرايم لتنفيذ الجزء التالي من الخطة. القى افرايم قنبلتين يدويتين اسفل السلم على التتابع واسرعا راكضين الى احدى غرف الطابق الأول المطلة على موقف السيارات الخارجي الخاص بالمبنى وربطا حبل كانا يحملانه بشباك الغرفة. كان في الموقف أربعة حراس متأهبين ضغط عازار جهاز تفجير عن بعد ليفجر سيارتهما القريبة من المكان اسرع اثنان من الحراس ليبقى اثنان ، استغل عازار و افرايم صوت الانفجار والغبار ورما الحبل من النافذة ونزلوا الى الأرض ، انتبه الحراس في اللحظات الأخيرة واربكهم اللباس العسكري للهابطين على الحبل ، مع بضع طلقات تم القضاء على الحراس ثم اسرع الاثنان نحو سيارة جيب عسكرية مصفحة.

***

الثأر:

في الملجأ المحصن تحت الأرض كان مجموع الضباط يراقب الاحداث عبر كاميرات المراقبة. كانت التعليمات الأمنية تفرض عليهم عدم الخروج من الملجأ خوفا على حياتهم.

كان الغيظ والحزن ظاهر على وجوههم وهم يشاهدون مبنى الموساد يحترق من أحد جوانبه يتبعه قيام مجهولين باختراق المبنى وبعد ذلك انفجار السيارة المفخخة داخله.

وقعت هذه الاحداث كلها في اقل من خمس دقائق وسط ذهول وتعجب رجال الموساد.

- انظروا.

صاح أحدهم مشيرا الى احدى شاشات المرقبة كانت هناك سيارة جيب عسكرية تنطلق لتصدم احد الحراس وتتجه نحو باب الخروج من المقر الرئيسي.

كان رئيس الجهاز غاضبا جدا كان الامر بالنسبة له كابوس مزعج ومرعب، كان يعلم انه بعد هذه المهزلة التي تعرض لها مقر الجهاز ومجموعة المقرات

الأمنية في تل ابيب سيتعرض الى حساب عسير من القيادة الإسرائيلية وسيلقون عليه مسؤولية هذا الإخفاق الكبير.

هاتف رئيس الجهاز شالوم مسؤول مركز المراقبة مزمجرا

- ما هو الموقف بالتفاصيل؟

- سيدي، سائقا سيارة التوصيل ارتدا الملابس العسكرية ودخلا المبنى وقاما بدخول مجموعة من الغرف والبحث في محتواها وقاما بتفخيخ بعض الغرف والممرات واشتبكا مع بعض الحراس ثم فجرا سيارتهما عن بعد لإلهاء الحراس و اصابا بعض الحرس بجروح وسرقا عجلة عسكرية و اتجهوا الى خارج البناية وبدأت القوات الأمنية بمطاردتهم.

رن هاتف خاص داخل الملجأ المحصن ، رفعه المدير " كان صوت رئيس الحكومة مستفسرا بصوت غاضب عما يحدث ، شرح له الموقف ثم اغلق الهاتف ووجهه يرتعد.

صمت الرئيس للحظات.

- شالوم أصدر أوامر فورية بتقييد إطلاق النار سنقوم انا وضباطي بمطاردة المخربين.

- نعم حضرة الرئيس.

استدار الرئيس الى ضباط :

- يجب ان نثأر لكرامة الموساد سنخرج ونطاردهم بأنفسنا اريدهم اليوم احياء او اموات.

ثم اختار مجموعة من ضباط العمليات ليتولوا المطاردة ومجموعة أخرى لتفتيش المبنى وتقييم الاضرار في البناية والأجهزة.

***

الهروب:

استطاع عازار و افرايم بسرعة فتح أبواب السيارة المصفحة وتشغيلها وانطلقت السيارة التي تولى افرايم قيادتها فيما جلس عازار في الخلف ليتولى الحماية.

ضغط افرايم دواسة الوقود بكل قوة، امامهم كان عسكري إسرائيلي يتوجه ناحيتهم بعد ان لمح تحرك السيارة. اخرج عازار فوهة مسدسه من شباك السيارة في محاولة لإطلاق النار على العسكري لكن كان من الصعوبة التصويب عليه.

- اصدمه إذا لزم الامر.

فتح العسكري النار على السيارة ولكن الاطلاقات ارتدت عن درعها المصفح. حاول الجندي اعتراض طريق السيارة لكنه قفز مبتعدا عندما أيقن ان السيارة ستصدمه إذا بقي مكانه.

كانت هناك ستون مترا تفصل السيارة عن باب المقر، كانت هذه المسافة كافية لتصل سرعة السيارة الى ١٢٠ كيلومتر في الساعة.

- انتبه هناك اربع حراس امامك، خذ الجانب الايسر. صاح عازار.

اتجه افرايم الى الجانب الايسر لطريق ليسمح لعازار ان يصوب على الحراس الأربعة ويكونوا في مرمى سلاحه.

اخرج احمد فوهة سلاحه من فتحة الرماية في السيارة وبدأ بإطلاق النار على الحراس الذين بدأوا بالرد بأطلاق النار تجاههم.

ضغط افرايم دواسة الوقود أكثر لتزمجر السيارة كالأسد المفترس وتتجه باتجاه البوابة التي اغلقتها المتاريس الالية.

فر الجنود مبتعدين عن السيارة وفي اعتقادهم ان تلك المتاريس ستوقف هذه السيارة المجنونة.

- تمسك ... صاح افرايم بعازار عندما اوشكت مقدمة السيارة أن تلامس الدعامات الفولاذية للمتاريس.

اخترق بدن السيارة أعمدة الفولاذ التي كبحت العجلة المسرعة لتجعلها تنقلب وتطير في الهواء عدة أمتار لتهبط على سقفها وتنزلق أمتار أخرى قبل ان تتوقف. بقي بدن السيارة متماسكا لكن الدخان ارتفع من محرك السيارة.

- افرايم هل انت بخير.

كان افرايم مقلوبا كعازار وقد وضع ركبتيه على عجلة القيادة وساعديه فوق راسه لحمايته من الاصطدام بسقف السيارة.

- بخير ... بخير فقط جسمي يؤلمني.

- ليس لدينا وقت ... حرر نفسك سنخرج ...

على مسافة من السيارة كانت دورية من الشرطة الإسرائيلية متوقفة لتفحص موقع الانفجار السابق قرب عمود الانارة.

راقب افراد الشرطة في الدقائق الماضية بترقب وحذر بدءا من الانفجارات المتعاقبة التي حدثت داخل الموساد وسماع أصوات اطلاق النار و انتهاءً برؤية السيارة العسكرية تخرج من المقر وتطير في الهواء وتستقر مقلوبة امامهم.

كانوا يقفون مستغربين ومندهشين من هذه المشاهد التي يرونها في الأفلام حصرا، فجأة جاءهم امر عبر جهاز الاتصال يطلب منهم القبض على من في السيارة.

اخرجوا أسلحتهم وتوجهوا نحوها ، كان عازار وافرايم قد عدلوا وضعهم داخل السيارة وقد رأوا عسكريي الدورية يقتربون ، كانوا خمسة.

- استعد يا افرايم.

ضغط عازار على مفتاح جهار ارسال صغير يحمله.

انفجرت العبوات اللاصقة في بناية الموساد جميعها في آن واحد مسببة وميضا قويا وصوتا مرتفعا فاجأ افراد الدورية واعطت لعازار وافرايم ثانية من الزمن ثمينة، انصرفت فيها انظار العسكريين تجاه بناية الموساد.

فتح الاثنان أبواب السيارة وبدأوا بإطلاق النار السريع والمتلاحق واسرعوا باتجاه الدورية التي سقط افرادها بين قتيل وجريح. بخطوات سريعة مع إطلاق النار استطاعا عازار السيطرة على احدى سيارات الشرطة، ركباها وانطلقا مبتعدين وسط اطلاق نار ممن تبقى من افراد الدورية.

***

المطاردة:

صعد ضباط الموساد الى الأعلى بواسطة المصعد الكهربائي من عمق الأرض حيث يقبع ملجأ المقر المخصص لمقاومة ضربة نووية.

كان الطابق الأرضي يعمه الخراب ورائحة الدخان الذي كان على شكل غيمة خفيفة فوق الرؤوس تصعد الى الطوابق العليا.

- شمعون، هيأ السيارة سآتي بعد قليل.

- حسنا.

أسرع أهارون الى مركز المراقبة المحصن ومرر بطاقته الإلكترونية الخاصة لفتح الباب الذي اغلق خلال الاحداث الطارئة.

حصل أهارون من شالوم على جهاز لوحي من الفئة الأولى وجهاز اتصال ميداني خاص بالعمليات واستفسر منه عن أسماء المهاجمين أصحاب سيارة التوصيل. ثم ذهب الى مرآب البناية تحت الأرض الخاص بموظفي الموساد. ركب الى جنب شمعون الذي تولى القيادة، انطلقت السيارة لتشارك في مطاردة المهاجمين.

شاهد أهارون الفوضى تعم محيط المبنى فسيارات الإطفاء كانت تدخل لإطفاء الحرائق وسيارات الاسعاف تقوم بإسعاف المصابين في المبنى ، وسيارات الموساد تخرج من المبنى بالإضافة الى السيارة العسكرية المقلوبة في الخارج.

فتح أهارون جهازه اللوحي وفعل برنامج التعرف على الأشخاص.

- معلومات "عازار روبرتو".... كان البرنامج يتفاعل بالصوت ... اظهر الصورة.

أراد أهارون قبل ان يقرأ ملفه ان يرى صورة هذا المخرب الذي دمر بناية الموساد وأرعب مدينة تل ابيب.

أظهر الجهاز صورة عازار على كامل الشاشة.

كان الوجه مجهولا ولكن .... العينين يصعب اخفائها.

- لا أنسى هذين العينين ... طابق مع "ذي الاربعين وجها".

- "ذي الاربعين وجها" .... قال شمعون مستغربا

ثوان قليلة وجاء رد نظام التعرف: نسبة التطابق ٣٥%

- اللعنة انه هو ...

- ٣٥% ليست نسبة كبيرة !

- انها عينيه لقد قام بعملية تجميل ولكن عينيه بقيت هي... اظهر ملف عازار روبيرتو.

بدأ أهارون يقرأ ملف عازار فيما استمر شمعون بالقيادة متبعا موكب من سيارات الشرطة والمخابرات في مطاردة سيارة عازار و افرايم.

استشاط أهارون عضبا وهو يقرأ ملف عازار :

- اللعنة ... اللعنة ... اللعنة ....

تعجب شمعون من كثرة اللعنات التي تلاها أهارون.

- ماذا هناك !

- لقد كان تحت انفنا طوال اربع سنوات ، هاجر من إيطاليا قبل اربع سنوات وقبل ثلاث سنوات تزوج ضابطة الموساد راحيل بيرن و اجتاز اختبار كشف الكذب واختبارين امنيين وخضع لمراقبة مستمرة بواسطة الكاميرات في شقته حتى صباح اليوم بدون ان يشك فيه احد.

- إذا كان هو "ذي الاربعين وجها" فلا أحد كان سيستطيع كشفه.

كانت جملة شمعون كمن القى الماء على النار فقد كانت عبارة محقة فان قدرات "ذي الاربعين وجها" تؤهله للإفلات من كل هذه العقبات.

شغّل أهارون جهاز الاتصال واتصل بالمدير.

- سيدي ارجو ارسال فريق الى شقة عازار والبحث عن عينات لفحص "دي ، ان ، أي" ومطابقتها مع "ذي الاربعين وجها" واعتقال راحيل بيرن.

تعجب المدير من طلب أهارون ولكن وضعه النفسي جعله يرد بالإيجاب بدون أسئلة.

***

الحصار:

سارت عجلة عازار و افرايم بسرعة و انظمت الى عجلات الشرطة والامن. كانت مطاردة عنيفة تبادل الطرفان فيها اطلاق النار ودخلت السيارة المدينة القديمة حيث الشوارع الضيقة و كان لانفجار قنبلة يدوية كافٍ لتدمير عجلة من عجلات المطاردين وقفل الشارع لثواني لتستمر المطاردة بعدها حتى دخلت السيارة بناية مهجورة قيد البناء.

حاصرت القوات الامنية الاسرائيلية المبنى بسرعة وطوقته من كل الجهات ودخلت المباني المجاورة واعتلت اسطحها لتحاصر الهاربين وتمنعهم من الهرب، فيما قامت الطائرات بمراقبة المبنى من السماء.

فجأة سمع دوي اطلاقة نارية وسقط احد رجال الشرطة ... كانت اطلاقة قنص من داخل المبنى ، رد رجال الامن بوابل كثيف على موضع الرمي في المبنى.

حاول رجال قوات التدخل السريع الاقتراب من المبنى و لكن احد المحاصرين رمى قنبلة يدوية هجومية عليهم فانفجرت في الشارع محدثة فزعا كبيرا اجبر القوات الامنية على الابتعاد مسافة آمنة خوفا من تكرار الامر.

قررت القوات الاسرائيلية الانتظار لوضع حطة محكمة لاقتحام الهيكل المشيد وللحفاظ على ارواح افراد القوات الامنية. تم ارسال درون استطلاع صغير لاستكشاف المبنى ورصد اماكن تواجد الهاربين. طارت الطائرة فوق المبنى تستطلع بكاميراتها الدقيقة ثم اقتربت وتم توجيهها للدخول من احدى النوافذ وبدأ رجال الامن يتفحصون المبنى من الداخل ، بعد دقائق قليلة من الاستطلاع داخل المبنى لم ترصد الكاميرات اماكن اختفاء الارهابيين، وهنا قرر المسؤولون الاسرائيليون اقتحام المبنى.

كانت قوة الاقتحام تتمركز فوق سطح بناية ملاصقة للمبنى المحاصر في انتظار امر الاقتحام وتنفيذ الخطة الموضوعة.

صدر الامر وبسرعة قفز رجال قوة التدخل السريع على سطح البناية وبدأوا نزولا من اعلى الى اسفل بتفتيش البناية بحثا عن الهاربين.

كان العملية تسير بهدوء حذر والقيادات الامنية تراقب العملية عبر الكاميرات المحمولة مع الجنود. كان الجنود قد وصلوا الى الطابق الاول بدون ان يعثروا على احد او يواجهوا مقاومة.

عندما اوشكوا للنزول الى الطابق الارضي للمبنى حيث المكان الوحيد المتبقي لاختفاء الهاربين. على حين غرة، مزق الصمت صوت انفجار كبير تبعه اخر وآخر وعاصفة قوية من الدخان والحرارة انبعثت من داخل المبنى. في لحظات وبسلسلة من الانفجارات المتتابعة انهار المبنى على من فيه.

دب الذعر حول المكان ، وغطى الدخان الشارع واختفى المبنى وراءه في حين ارتفعت السنة النار منه.

اسرعت سيارات الاطفاء والانقاذ لإطفاء الحريق واستكشاف المكان الذي اصبح كومة من الحجارة بينما انقطع الاتصال مع قوة الاقتحام ودخلت كاميراتهم في ظلام وصور مبهمة ... لقد دفنت القوة تحت ركام المبنى.

***

الافتراق:

- **سيد عبد الحميد انقطع ارسال البيانات.**

قال طاهر.

- حسنا لا بأس ... اغلقوا أجهزة الاستلام واكملوا عملية نقل الأرصدة وتصنيف المعلومات ... نظر في ساعته... بقيت لدينا نصف ساعة يجب ان نكمل خلال نصف ساعة ونخرج ، هيا يا شباب همُا أنفسكما.

ظل عبد الحميد يراقب المهندسين العبقريين وهما يعملان و كان يشرف مع طاهر على تصنيف المعلومات المحولة ويطلب منه توزيعها على مجموعتين سرية و غير سرية ويراقب نقل الأرصدة وفق ما خطط له.

بعد انتهاء الموعد المحدد للعملية سلم عبد الحميد ظرفين يحويان مكافاة مالية للمهندسين وطلب مهما نسيان كل شيء ونسيان انهما تعاملا معه و رأوه هنا ، ثم امرهم ان يغادر كل منهم في طريق وان لا يتقابلا أبدا .

بعد ان غادر المهندسان بسرعة قام عبد الحميد بسكب كميات كبيرة من الوقود في المكان وعلى الحاسبات والاجهزة وتأكد ان البيت بأكمله قد غرق بالسائل سريع الاشتعال.

نظر عبد الحميد الى المكان نظرة اخيرة ثم ذهب الى الخارج وبدأ بإلقاء كرات مشتعلة من الورق عبر نوافذ البيت الى الداخل في ثوان تحول البيت الى محرقة كبيرة ، حمل عبد الحميد حقيبته التي حوت كل المعلومات

المغنومة و ركب سيارته وغادر مسرعا الى مكان مجهول في طريقه الى خارج مصر.

***

اكتشافات:

في تلك الليلة عم الحزن والخوف تل ابيب وسائر اسرائيل بعد نهار مشحون بالانفجارات التي طالت اهم المواقع العسكرية والامنية والمطاردات مع سقوط الكثير من الضحايا في العملية وآخرهم عدد من قوات التدخل السريع الذين سقطوا تحت انقاض المبنى المتفجر.

عاد رجال الموساد عصر ذلك اليوم تملؤهم الكآبة والغضب نتيجة الفشل الذي لحق بهم بعد عملية تل ابيب ، اما رئيس الجهاز فقد ذهب للقاء رئيس الحكومة. اما أهارون فقد ابُلغ انه تم اغلاق مبنى المخابرات ونقل موقع تواجدهم الى مبنى خاص للطوارئ . ما ان وصل المبنى الاحتياطي حتى بدأت الاخبار السيئة تصل الى مسامعه، أرسل معاون مدير الجهاز يطلبه في مكتبه الجديد. وكان الخبر الكبير الاول هو:

- **تم اقالة الرئيس وتم تكليفي برئاسة الجهاز مؤقتا ... تم تعينك رسميا لتولي التحقيق في القضية والامساك بالمسؤولين عن العملية.**
- **ما هي المعلومات المستجدة ؟**

- تبين ان العملية كانت اكبر من هجوم إرهابي ... كان الهجوم مخططا بدقة عالية وبعناية شديدة ... وكلفنا اكثر مما توقعنا ...

- علمت انه تم قرصنة معلومات سرية وحسابات مصرفية.

- نعم ... اكتشفنا وجود حفرة تحت سيارة التوصيل التي انفجرت في المقر ... قام المهاجمون بحفرها اثناء حدوث الانفجارات والفوضى التي رافقتها ، وذلك للوصول الى الناقل الضوئي للمعلومات وقاموا بربط جهاز متطور لسحب المعلومات وارسالها عبر أجهزة ارسال في العجلة عبر الأقمار الصناعية.

- لكن الناقل الضوئي مؤمن ضد عمليات الاختراق كما اعلم.

- لقد كانت خطة محكمة للأسف ، كانوا على علم بان الخط غير مؤمن بصورة كبيرة داخل مقر الموساد بسبب انه موقع امني أصلا ، كما انهم كانوا على علم بالثغرة الموجودة في نظام حماية الناقل الضوئي.

- اي ثغرة !؟

- كان نظام الحماية متطورا جدا ضد أي اختراق للناقل الضوئي او بنك المعلومات في مبنانا ... ولكن في حال اعلان خطة ارميجدون للطوارئ فان الانظمة الالكترونية في الدوائر الحكومية المهمة ستقوم آليا بإرسال جميع المعلومات الأمنية والاقتصادية مباشرة عبر الناقل الضوئي الى الخادم الخاص الموجود في مقرنا للحفاظ عليها من أي طارئ وبأقصى

سرعة ... الثغرة الموجودة في ذلك انه للسماح للخادم باستقبال المعلومات بسرعة كان عليهم تقليل مستوى الحماية على الناقل الضوئي وهنا كانت نقطة ضعف النظام وسهل هذا على الارهابيين عملية الاختراق و دون اكتشافهم بداءةً.

كان أهارون منبهرا ومتعجبا من الخطة الغريبة والمحكمة التي وضعت لإتمام هذه العملية.

- **اذن سلسلة التفجيرات التي حدثت كانت طعم لنقع في المصيدة ونقوم بإعلان حالة طوارئ ارميجدون.**
- **هذا مؤكد ، كانت لديهم معلومات عن تفاصيل خطة ارميجدون ومتى تعلن وكيف ... كما قلت لك كانت خطة مخطط لها بدقة وعناية.**
- **ما حجم ما تكبدنا من خسائر بسبب الاختراق ؟**
- **يحاول عملاءنا حصر الخسائر المعلوماتية والمالية ولكن التوقعات لا تبشر بخير ... انت قدم لي ما وصلت اليه.**
- **من المعطيات التي سمعت بها وهذه الخطة المحكمة التي اخبرتني عنها فانا لدي تصور عن الفاعلين ولكني انتظر الأدلة.**
- **تكلم بكل ما يجول بخاطرك اريد ان اسمع.**

- "احمد سالم" رجل مخابرات عربي يحمل اسم رمزي هو رقم ٤٠ ومعروف لدينا بذي الأربعين وجها ، في العقد الأخير قام بعدة عمليات ضدنا وخاصة في الدول العربية ، شخص جريء محترف لا يخشى شيئا ، انا شخصيا تواجهت معه عدة مرات وتبادلنا اطلاق النار و حاول كل منا قتل الاخر... قبل خمس سنوات تم حل الجهاز الذي كان يعمل فيه ثم اختفى بعد ذلك ، استطعنا استدراجه لمطار القاهرة حيث تم اعتقاله بعد ان سربنا معلومات عبر الانتربول لأمن القاهرة انه إرهابي دولي مطلوب من الشرطة الدولية ، تم نقله الى مبنى المخابرات المصرية حيث تولى الضابط عبد الحميد فوزي ، استجوابه شخصيا ... كانت المعلومات المؤكدة لدينا عنه انه مات اثناء الاستجواب وتم دفنه في مصر... "عازار روبرتو" الذي قاد عملية الهجوم على الموساد ، يهودي ايطالي الجنسية قدم مهاجرا الى إسرائيل قبل اربع سنوات ، تم تدقيق سجله وتاريخه في إيطاليا ثم اصبح مواطنا بعد زواجه من ضابطة المخابرات السابقة "راحيل بيرن" حيث حصلت راحيل على موافقة الموساد للزواج به بعد ان اجتاز اختبارات امنية كثيرة ... حاليا انا متأكد من ان عازار و "ذي الاربعين وجها" شخص واحد ولكني بانتظار فحص ال "دي ، أن ، أي " للتأكد من ذلك.

- هل تعتقد ان المخابرات المصرية لها ضلع في هذه العملية ؟

- لا أعلم ، لكن العميد عبد الحميد هو آخر من التقى بذي الاربعين وجها.

- أهارون اعتقد انك تدرك حجم المصيبة التي حدثت اليوم ، لقد تلقينا ضربة قوية اليوم ولا بد ان عازار ورفيقه لم يكن بمقدورهما تنفيذ هذا المخطط الكبير بمفردهما.

- اعتقد ان العميد "عبد الحميد" من المخابرات المصرية ربما هو احد المخططين للهجوم.

- المخابرات المصرية وهل يجرؤون ؟ قال المعاون بتعجب واستنكار شديد.

- لا اعرف ان كانت المخابرات المصرية لها ضلع بالعملية ولكن ان ثبت ان عازار هو ذو الاربعين وجها فان اخر من التقى وتعامل معه هو "عبد الحميد" وهو من سمح له بالهرب من السجن والاعتقال، وعليه سيكون حسابنا عسيرا معهم.

- سنجعلهم يدفعون ثمن ما حدث.

- سيد أهارون سأذهب لأتابع تحقيقاتي وسآتيك بالأدلة.

***

ذكريات عبد الحميد:

اسند عبد الحميد رأسه الى وسادة الكرسي الذي يجلس اليه و ارخى جسده في احساس براحة تامة بعد ساعات من التوتر والقلق. كان عبد الحميد يجلس في المقعد الخلفي لسيارة رباعية الدفع عالية يقودها سائقه الشخصي والى جنبه حارسه الشخصي الامين اللذان كان ينتظرانه خارج مزرعته في احدى المناطق الريفية. انطلقت السيارة عبر طريق صحراوي متجهة في رحلة طويلة الى خارج مصر.

تذكر عبد الحميد تلك السنوات الطويلة التي قضاها للوصول الى هذه اللحظة. قبل ان يلتقي برقم ٤٠ بسنوات كان قد اعد خطة للحصول على الارشيف السري للموساد. جوبهت الخطة في حينها بالرفض من قيادة المخابرات خوفا من فشل الخطة وتعريض جهاز المخابرات الى المحاسبة من قبل القيادة في مصر او من قيام اسرائيل بعمل مضاد على العملية. بقيت الخطة في فكر و احلام عبد الحميد و كانت الخطة تتطور وتكبر مع الزمن ومع التطور التكنولوجي وتطور الاحداث المحلية و العالمية. كان لقاء عبد الحميد برقم ٤٠ نقطة فاصلة في مجريات الخطة. كان عبد الحميد قد سمع بإنجازات رقم ٤٠ وقرأ في تقارير المخابرات عن امكانياته ومهاراته وشجاعته العالية، عندما عرف انه معتقل وموجود في المخابرات المصرية وجد في الفرصة السانحة والنادرة التي لها القدرة على تحقيق خطته العتيدة. ادرك عبد الحميد ان القدر قد وضعه في امتحان كما وضع رقم ٤٠ في امتحان. فرقم ٤٠ اجبرته الظروف والحوادث ان يصبح مطاردا ومطلوبا كمجرم وارهابي

والقدر جعله امتحانا لعبد الحميد فهو كان امام خيارين اما ان يتركه لمصيره المحتوم وهو الموت في السجون والخيار الثاني انقاذه وتحريره ليكون جزءا مهما في تنفيذ خطته.

اتخذ عبد الحميد وقتها قرارا خطيرا بتحرير رقم ٤٠ ومهما كانت النتائج رغم انه لم يكن واثقا ان رقم ٤٠ في حال تحريره سيقبل الاشتراك في تنفيذ خطته بعد ما عاناه من مخاطر وعذاب خلال هذه الايام الماضية. لكنه وجد في رقم ٤٠ ثروة لا تقدر بثمن ولا يجب التضحية بها.

كانت خطته بسيطة وخطيرة في آن واحد. امتلك عبد الحميد عقاراً خاصا تم صنعه في المخابرات المصرية منذ سنين ماضية. احتفظ عبد الحميد في خزانته عددا من الحقن الحاوية على ذلك العقار. كانت تلك الحقنة تسمى في المخابرات المصرية بحقنة "اوزوريس" التي تسبب موت الانسان لدقائق قليلة ثم تعمل على انعاشه بعد ذلك. تم صناعة هذه العقار من قبل علماء مصريين و جربت على الحيوانات ولكن لم يتم استعمالها من قبل المخابرات المصرية ابدا وبقي عدد منها عند بعض الضباط القدماء في الجهاز. عندما قرر عبد الحميد تحرير رقم ٤٠ فكر في جميع الطرق الممكنة وحينها تذكر هذا العقار ، كان استخدامه مخاطرة فهو لم يجرب على البشر قبلا ، لكن عبد الحميد وجده الطريقة المناسبة التي تتيح له تحرير رقم ٤٠ باقل مخاطرة ممكنه قد تمسه. عندما استجوب رقم ٤٠ وتأكد انه هو رقم ٤٠ قام بحقنه خفية بعقار اوزوريس في غرفة الاستجواب عندما كانت اجهزة التصوير

والتسجيل متوقفة و حينها لم يلحظ الضابط سمير ذلك. توقف قلب رقم ٤٠ نتيجة الحقنة وفقد وعيه فطلب عبد الحميد حضور الطبيب ليؤكد وفاته وليكتب شهادة تؤيد ذلك ثم سارع بإخراج الجثة بسرعة متجاوزا سلسلة الاجراءات الروتينية الطويلة. قام فرج و وفق تعليمات عبد الحميد بنقل جثة رقم ٤٠ الى بيت احد اقربائه ليحتفظوا بالجثة لحين اتصاله به. واخبره سرا ان الجثة صاحبها ليس ميتا حقا وانه قد يستفيق في اية لحظة وامره ان يخفي هذا الامر ويكتمه وان يقول اذا تم التحقيق معه انه قام بدفن الجثة في احد الاماكن الصحراوية وانه لا يذكر بالضبط اين دفنها. كان فرج من الجنود القدماء الذين وظفوا في المخابرات في التاريخ الذي توظف فيه عبد الحميد وبينهم عيش وملح . كان فرج يحب عبد الحميد ويحترمه احتراما شديدا وينفذ ما يطلبه عبد الحميد بدون نقاش و عبد الحميد يثق فيه وفي ذكائه ثقة كبيرة لذلك وكل اليه مثل هذه المهمة الخطيرة.

تعرض عبد الحميد للتحقيق أثر ذلك و استجوب عن سبب موت رقم ٤٠ وارسال الجثة مع فرج ليدفنها بصورة قانونية. رد عبد الحميد بان رقم ٤٠ تعرض للتعذيب في جهاز مكافحة الارهاب وان تقرير وشهادة الطبيب والافلام المسجلة للاستجواب تثبت ذلك وان المتهم القتيل مات نتيجة مضاعفات التعذيب وانه خشى ان يتعرض جهاز المخابرات للمساءلة اذا قام بارسال الجثة للطبيب العدلي لذلك فضل وقرر بسرعة اخراج الجثة ودفنها ليتم اخفاء الامر خصوصا ان المتهم ارهابي وليس مصريا وليس هناك من

سيحث عنه. وتم التحقيق مع فرج لمعرفة مكان دفن الجثة. ولكن فرج استطاع بذكاء ان يقنع المحققين انه دفن الجثة ونسي مكانها. وبسبب تاريخ عبد الحميد ومكانته في جهاز المخابرات تم قفل التحقيق بسرعة و منعا لانتشار خبر التحقيق وحادثة موت متهم اثناء التحقيق وفقدان جثته مما قد يمس سمعة الجهاز والحكومة المصرية.

بعد نقل احمد الى منزل أحد اقارب فرج استيقظ احمد بعد دقائق من وصوله وقد طلب فرج من اقربائه نقل احمد الى الصعيد بعيدا عن القاهرة. استيقظ احمد بحالة صحية ضعيفة وفكر مشتت فاستسلم الى الاناس الذين قدموا له المأوى واحسنوا ضيافته من غير ان يعلم من هم و سبب رعايتهم له. بقي احمد في ضيافة هذه الاسرة الطيبة والبسيطة لمدة اسابيع وهو يعيش معهم بسعادة مما وجده من طيبة ومحبة. لم يعرف احمد كيف خرج من مبنى المخابرات المصرية وكيف وصل الى خارج القاهرة ولما هو يعيش في هذا البيت والقرية الريفية ولكنه ادرك ان هناك تدبيرا ما وراء ذلك.

بعد اسابيع من الحادثة وبعد ان اغلق التحقيق في جهاز المخابرات واحس عبد الحميد بنوع من الامان ، اخذ اجازة الى الريف حيث بيت ابيه وجده. من هناك ذهب سرا الى رؤية احمد في بيت اقرباء فرج. وهناك استطاع اقناع احمد بخطته الكبيرة والمعقدة.

سافر احمد الى دولة مجاورة وتم اجراء عمليات تجميل له واعطي هوية جديدة وتم تدريبه على العادات اليهودية ودرس طقوس وعبادات اليهود قبل

ان يسافر الى ايطاليا ليتقمص شخصيته الجديدة ويتعلم الايطالية وطريق العيش هناك.

****

استذكر عبد الحميد ذاك وهو في غاية السعادة فقد نجحت الخطة نجاحا مبهرا ، حصل على كنز من ارشيف الموساد يستطيع بواسطته كشف عملائهم في العالم واسرار عملياتهم السابقة بالإضافة الى انه غنم مبلغا كبيرا منهم تم ارسال معظمه كتبرعات الى منظمات خيرية في العالم وجهات اخرى ولن يستطيع اسرائيل استردادها بسهولة وفي وقت قريب ، كما احتفظ عبد الحميد بمبلغ له ليغطي مشاريعه المستقبلية واولها مشروع الاختفاء بعيدا عن انتقام الموساد.

***

انكشاف الاسرار:

كان المساء قد حل .....

اجتمع أهارون مع مساعده شمعون و ديفيد المحقق الذي تولى التحقيق مع "راحيل" لمناقشة آخر المعلومات والمستجدات ، كان ديفيد الخبير الأول في استجواب الجواسيس فهو يعتبر أستاذ في هذه المهنة فأساليبه النفسية والجسدية مبتكرة وتعطي غالبا النتائج المرجوة إضافةً الى انه بواسطة خبرته و نظرته الفاحصة يستطيع ان يحكم ببراءة او ادانة المتهم.

- **انه ذو الاربعين وجها ، لقد اثبت فحص ال "دي ، أن ، أي" ان عازار هو ذو الاربعين وجها ، لا مجال للشك. قال شمعون.**

- **كما توقعت منذ البداية ، لن يجرؤ سواه على هكذا عمل ... هل عثرتم على جثته تحت الأنقاض.**

- **كلا ... لقد وجدنا نفقا بطول ٢٠ مترا تحت المبنى يؤدي الى شارع قريب ، لقد تم اعداد المبنى ليساعدهم على الهرب والايقاع بالمهاجمين ... يظهر أنه تم تفخيخ المبنى قبلا ثم اعدوه لينفجر عند اقتحام الجيش للطابق الارضي و ضبطوا توقيتاتهم ليهربوا منه قبل اقتحامه ، لقد خططوا لكل شيء بعناية و دقة.**

- **توقعت ذلك أيضا ، لقد قضى ذو الاربعين وجها ثلاث سنوات في تل ابيب يخطط لهذه العملية لقد دبر كل شيء بعناية شديدة ... لا اعتقد انه ترك شيئا للصدفة ... و ماذا عن افرايم ؟**

- **افرايم الحقيقي شريك عازار في عمله ، وجدناه مقيدا بالحبال في منزله مخدرا وقد تم انتحال شخصيته ، اما شريك عازار في العملية فلا نعلم عنه شيئا.**

- **ديفيد ما نتائج استجوابك لراحيل ؟**

- تعلم مدى خبرتي في هذا المجال واعتقد ان راحيل كانت ضحية ، انها لحد الان ترفض ان تصدق ان زوجها له علاقة بما حدث ، انها تقول انه يهودي متزمت ولن يخون إسرائيل ، يبدوا انه مثل الدور عليها ببراعة.

- هل هي من زوده بالمعلومات عن الموساد وعن اسرار المقر ؟

- لقد اقرت انها اخبرته ببعض المعلومات عن عملها في الموساد حين كانت تتفاخر ببطولاتها قبل ان تقاعد ، كما انها اخبرتني انه كون صداقات مع اصدقائها في الموساد حينما كانوا يلتقون في الحفلات والمناسبات وربما استغل ذلك للحصول على معلومات.

- هذا يتطلب استجواب جميع من التقى ذو الاربعين وجه بهم.

- سيكون هذا تحقيقا مطولا ، راحيل الان موجودة مع مساعدي لتسجيل استجوابها مع كل التفاصيل ، لكن اعتقد هناك خطأ وقع فيه عدونا.

- كيف ؟ ... قال أهارون مستغربا وقد اثار فضوله تلك الجملة.

- اعتقد انه احب راحيل بصدق.

- كيف عرفت ؟

- اثناء استجواب راحيل اشارت الى جملة قالها ، مساء امس بالتحديد ليلة العملية، قال لها "انه سيبقى يحبها الى الابد ومهما سيحدث" و ان هذه الجملة اثارت استغرابها وشكها.

***

خطة أهارون:

ارسل الوكيل الى أهارون قبل منتصف الليل ليجتمع به.

- **طاب مساءك سيدي.**
- **لا اعتقد ....**
- **ماذا هناك ؟**
- **تم تسريب وثائق خطيرة الى مواقع إخبارية أوروبية بعضها تتضمن أسماء عملائنا في أوروبا والصين وامريكا بالإضافة الى معلومات خطيرة عن نشاطاتنا في الخارج و فوق ذلك تم اختفاء ارصدة بحدود مليار دولار من حسابنا القومي.**

كان الخبر صادما و موجعا وقد اكمل المدير مؤكدا :

- **لقد تلقينا ضربة موجعة يا أهارون ، لقد تلقت إسرائيل ضربة موجعة ... الامة الإسرائيلية تلقت ضربة قوية ... والحكومة على وشك السقوط.**
- **انا ادرك ذلك سيدى ... ادرك ان هناك كارثة كبيرة حدثت ، هيبة إسرائيل تزعزعت والشعب أصيب بالرعب وعندما سيطلع الشعب على ما خسرناه في هذا الهجوم سيفقد ثقته أكثر في دولتنا وفي جيشه وقواته الأمنية.**

- **وما الحل ... هل استطعنا مسك الفاعلين كلا ... حتى الفاعلين بعيدين عن متناول أيدينا.**

- **سيدي ، لقد فكرت في خطة لتقليل الخسائر و اعادة توجيه نظر الشارع بشكل اخر كما ان الخطة تزيد فرصة القبض على المدبر الرئيسي.**

- **اني اسمع ، تكلم.**

بدأ أهارون يشرح تفاصيل خطته المعقدة والمعاون يستمع باهتمام ويسأل ويضيف من حين لآخر.

- **هذه خطة خطيرة يا أهارون ولكنها جديرة بالاهتمام وستحتاج موافقة رئيس الوزراء.**

رفع المعاون سماعة الهاتف وطلب الاتصال برئيس الحكومة لتحديد موعد عاجل. بعد منتصف الليل تم عرض الخطة على رئيس الوزراء الذي اعطى موافقته على العملية.

***

الاختطاف المزيف:

بعد منتصف الليل قامت سيارة من الموساد بإيصال راحيل الى المبنى الذي تسكن فيه بعد الافراج عنها لعدم وجود ادلة على علاقتها بمنفذي الهجوم على تل ابيب.

صعدت راحيل الى شقتها بعد يوم طويل و متعب شعرت فيه بالخيبة والاحتقار بعد ان اكتشفت ان زوجها الذي وثقت به واحبته طوال سنوات كان يمثل عليها ويستغلها ويخفي عليها حقيقته ، دون ان تستطيع ان تشك فيه او تكشفه.

ادارت راحيل المفتاح في قفل الباب ودخلت الى الشقة التي كانت مطفأة الانوار وفجأة احست بأيدي تقبض عليها وتشل حركتها ، حاولت راحيل المقاومة لكن دون جدوى.

اضيئت الشقة ووجدت راحيل شخصين مقنعين يمسكانها و يثبتانها على مقعد بحبل و يكممون فمها. بعد ان قاموا بإحكام وثاقها قام الملثمين بأبراح راحيل ضربا. لم تكن راحيل تدرك ان هذين الشخصين هما عميلين من الموساد ينفذان خطة أهارون القذرة.

تم تصويرها بهاتف موبايل وقد أدمى وجهها الضرب المبرح ثم سمعت احد الملثمين يقرأ بيانا:

نعلن نحن مجاهدي كتائب القسام والجهاد الإسلامي مسؤوليتنا المشتركة عن ضرب دولة الكيان الصهيوني في قلب تل ابيب وتدمير مبنى الموساد ومبنى وزارة الدفاع ومحطة كهرباء تل ابيب ومهاجمة وزير الدفاع الصهيوني ونحن الان نحتجز ضابطة الموساد راحيل بيرن و سنقوم بقتلها مالم ينفذ مطلبنا بتوفير طائرة لتنقلنا الى غزة وذلك خلال اربع ساعات من الان و قد قمنا

بتفخيخ الشقة والمبنى ونحذر القوات الصهيونية من أي محاولة لاقتحام المبنى وقد اعذر من انذر .....

كانت راحيل قد علمت من التحقيق معها ان زوجها عازار هو المنفذ الرئيسي للعملية وانه لا علاقة له بالمقاومة الفلسطينية كما ان عازار لا يحتاج ان يتلثم امامها. ادركت راحيل ان هناك امرا مريبا يحدث ويهدد حياتها.

كان الاثنان يبثان البيان و صورتهما مباشرة الى قنوات التواصل الاجتماعي ، و خلال دقائق بدأت سيارات الشرطة والقوات الخاصة تصل وتحيط بالمبنى من كل جهاته بالإضافة الى طائرات الشرطة والصحافة.

كان الملثمان يتابعان قنوات التلفاز الإخبارية الإسرائيلية حيث سمعت راحيل خبرا ينقل بيانا للحكومة الإسرائيلية مفاده : ان الشرطة الإسرائيلية وبعد متابعة دقيقة استطاعت كشف منفذي العملية وهما من الارهابين في غزة واحدهما يدعى "احمد سالم" واثناء محاصرتهما استطاعا التسلل الى شقة ضابطة الموساد السابقة راحيل بيرن واحتجازها رهينة للمساومة على حياتها وان القوات الأمنية تحاصرهما وتعمل للحفاظ على حياة الرهينة ...

استنتجت راحيل من بيان الحكومة الذي احتوى على معلومات مغلوطة ان عملية اختطافها من صنع الموساد وانها ربما تكون في جزء منها انتقاما منها لأنها لم تستطع كشف الجاسوس الذي تزوجته وعاشت معه.

لاحظت راحيل ان احد الملثمين كان يقوم بالاتصال وإعطاء موقف بما يجري بكلمات مقتضبة.

كانت أوامر الشرطة الإسرائيلية المشددة ضرورة القبض على منفذي عملية الاحتجاز احياء لغرض استجوابهما.

***

قرار سريع:

قبل زمن من ذلك كان احمد و عمار في المقر الامن لهما في داخل تل ابيب يتناولان العشاء بعد يوم طويل مليء بالأحداث العنيفة. كان الاثنان يضعان بعض الضمادات التي تغطي الجروح التي اصيبا بها اثناء المطاردة مع قوات الامن الإسرائيلية ، فيما يتابعان التليفزيون الذي كان ينقل اخبار المواقف الإسرائيلية على احداث ذلك اليوم.

احمد – الحمد لله لقد حققت العملية نتائجها وكانت ناجحة مئة بالمئة.

عمار – نعم لم يضيع تعب السنين الذي قضيناه في التحضير لهذه العملية والتضحيات التي قدمناها.

- لقد تلقت إسرائيل ضربة رهيبة وستستمر نتائج هذه العملية في تدمير إسرائيل داخليا وخارجيا.

- انظر الى هذه الاخبار العاجلة، صحف أوروبية تنشر أسماء عملاء الموساد في أوروبا.

- ذلك سيقضي على اسطورة الموساد المزيفة وسيعيدهم سنين الى الوراء.

- لقد بدأوا بقصف مواقع المقاومة في غزة.

- هذا ديدنهم دائما ، ليغطوا فشلهم ... سيتجرؤون على ارتكاب مجازر بحق الفلسطينيين بحجة عمليات المقاومة.

- انظر هذا الخبر العاجل ....

كان يتم نشر مقطع لشخص يتلو بيان باللغة العربية وفي الخلف امرأة موثقة وقد غطت الدماء وجهها فيما شريط الاخبار يحمل عنوان " الارهابيان اللذان نفذا تفجيرات تل ابيب يحتجزان مواطنة بعد محاصرتهما ". استمع احمد بحرص للخبر الذي تضمن سلسلة من الأكاذيب ثم بيان الشرطة الذي اذاع خبر احتجاز راحيل والذي ذكر اسمه كأحد منفذي عمليات التفجيرات.

- هذا اسمك احمد ... لكن لم هذه المسرحية ؟

- لقد عرفوا اسمي وذلك متوقع عن طريق بصمة "دي أن أي" ولكنهم قاموا بهذا المسرحية الكبيرة للانتقام مني لانهم ادركوا اني اهتم لأمر راحيل ، وأيضا لإظهار المقاومة بشكل المتوحشين الهمج ... وليغطو على فشلهم ، واذاعوا اسمي ليوصلوا رسال لي بانهم اكتشفوا حقيقتي ؟

- لا عليك لن تؤثر هذه المسرحية على اكمال عمليتنا كما خططنا لها.

- نعم ستستمر الخطة كما هي؟

***

الانقاذ:

في المبنى المقابل لمبنى راحيل حيث يفصلهما شارع ذو اتجاهين، وفي شقة مقابل شقتها كان أهارون قد هيأ مركزا له لمتابعة العملية التي يقودها.

كان هدف عمليته الاول و الرئيسي القاء اللوم على المقاومة الفلسطينية وتوجيه الانتقام العسكري الإسرائيلي الى العدو الدائم لإسرائيل باتجاه خطر المقاومة الفلسطينية ، اما الهدف الثاني فهو إعادة توجيه الرأي الشعبي الإسرائيلي والعالمي وابعاد تركيزه عن مدى الفشل الأمني الإسرائيلي نحو المقاومة الفلسطينية واظهارها بالمظهر الوحشي الارهابي. وكان هدف أهارون الشخصي المهم هو محاولة الإيقاع برقم ٤٠ فقد ادرك أهارون ان رقم ٤٠ قد وقع في حب راحيل وهذه نقطة ضعف لابد ان يستغلها، ولعلمه بان من مبادئ رقم ٤٠ كانت عدم ترك أصدقائه و زملائه يتعرضون للخطر فان أهارون أراد ان يلعب هذه الورقة بتهديد حياة راحيل للخطر واستفزاز رقم ٤٠ لمحاولة انقاذها لكي يسهل القبض عليه ، لذلك قام بتمرير معلومات للشرطة للإعلان عن اسمه الحقيقي لإيصال رسالة انه تم كشفه وان كل من يعرفه سيتعرض للخطر.

كان رجال الامن الإسرائيلي يحيطون بمبنى شقة راحيل من كل الجهات وقاموا باحتلال الطوابق السفلى والعليا وقاموا بإخراج سكان الشقق منا الى خارج العامرة كما توزع القناصة على اسطح البنايات المقابلة و انتشر عملاء الموساد يراقبون أي مشتبه به يقترب من محيط المكان بالإضافة الى مراقبة و تفتيش الإعلاميين والصحفيين، كان المكان عبارة عن غابة من رجال الامن والعسكريين.

كانت الأوامر لمنفذي الاحتجاز بان يبثوا تصوير مباشر لعملية تعذيبهم لراحيل على رأس كل ساعة لرفع مستوى الحقد الشعبي على المقاومة والفلسطينيين وفي الوقت نفسه اثارة مشاعر احمد الذي كان أهارون متأكدا انها ستصل اليه وخاصة انها كانت تبث مباشرة و ربما ستدفعه الى محاولة انقاذها.

كان الوقت يقترب من نهاية الأربع ساعات التي سوف تنتهي بمقتل راحيل فيما كان أهارون وفريقه يتابعون ويراقبون عسى ان يلمحوا ذي الاربعين وجها على احد الكاميرات الموزعة في ارجاء المنطقة والبنايات المجاورة بعد ان تم توزيع صوره.

فجأة دخل الغرفة احد رجال الموساد وفي يده هاتفه المحمول مقتربا من أهارون

- سيدي شخص اتصل بي يقول انه رقم ٤٠ يريد ان يتكلم معك.

نظر أهارون اليه متعجبا فيما أشار الى احد مساعديه بإشارة خاصة لتتبع وتسجيل المكالمة. استلم أهارون الهاتف بهدوء.

أهارون. – رقم ٤٠.

– أهارون لقد بلغت مبلغا كبيرا من الوضاعة. انت تعلم ان راحيل ليس لها ذنب في هذه الاحداث.

– يجب ان تتحمل نتائج فشلها في كشفك. انها ضابطة موساد محترفة و هي تعرف ان عقوبة الفشل الموت.

.... كان أهارون يحاول إطالة وقت المكالمة من اجل تحديد مكانه بدقة .... ثم اكمل:

- ما زال بإمكانك انقاذها يا رقم ٤٠.

- أهارون انت تعلم ان عمليتنا تمت بنجاح وان موت راحيل او حياتها لن يقدم او يؤخر شيئا.

في هذه اللحظات أشار اليه احد مساعديه بقبضة يده انهم حددوا موقع رقم ٤٠ فأشار اليه ان قوموا باللازم.

- ان كانت حياتها تهمك ، فسلم نفسك لنا او سلم لنا رفيقك و أنا اضمن لك اني سابقي على حياتها.

صمت ٤٠ قليلا حتى ظن أهارون انه قطع الاتصال.

- و كيف اعرف انها على قيد الحياة.

- سأجعلها تكلمك.

- وما يدريني انكم لن تقلدوا صوتها .

- اخبرني بالوسيلة المناسبة لك لتتحقق من بقائها على قيد الحياة.

- انا لا اثق بك اطلاقا ، اريد من عملائك ان يخرجوها الى شرفة الشقة حتى استطيع مشاهدتها عبر كاميرات القنوات الفضائية ومن ثم اجعلها تكلمني من هناك حتى استطيع رؤيتها عبر التلفاز وهي تكلمني.

- ذلك الامر ممكن لكنه يحتاج بعض الوقت ، سنتصل بك على هذا الرقم ولكني احذرك من اية الاعيب لأنك عندها ستشاهدها وهي تهوي الى الأرض وتتحول الى جثة هامدة.

انقطع الاتصال. كان أهارون وفريقه يتابعون تحركات الفرقة الخاصة التي انطلقت الى موقع الاتصال ، رغم ان أهارون يدرك ان ٤٠ ليس ساذجا ليجدوه بانتظارهم.

اتصل بفريقة المحتجز لراحيل وطلب منهم تنفيذ الامر بحذر. وزودهم برقم هاتف ٤٠ ليؤمنوا الاتصال له براحيل.

كان الوقت يمر ببطء . كانت المعلومات المتوافرة توضح ان موقع الاتصال في عمارة سكنية في ضواحي تل ابيب وكان وصول الفرق الخاصة جوا اليها يحتاج الى عشر دقائق على الأرجح.

أشار احد افراد الفريق الى أهارون انه بدأ تنفيذ الخطة. اتصل أهارون برقم هاتف ٤٠ فجاء الرد منه

- **٤٠ سترى راحيل الان على شاشة التلفاز.**
- **انا انتظر.**

***

الرصاصات القاتلة:

في شقة راحيل كان عميلي الموساد قد اوثقوا راحيل على احد الكراسي وكمموا فمها وعلى غير عادة الخاطفين كانوا يمتازان بهدوء الاعصاب ربما لعلمهم ان العملية كلها تحت السيطرة وان لا تهديد على حياتهم وان المسرحية تقترب من نهايتها. كان احد العميلين خارج الشقة يراقب الطابق والمنافذ التي تؤدي اليه خوفا من تسلل احد الى طابق الشقة في حين كان الاخر في الشقة يراقب راحيل ويحمي الشقة من الداخل وفق خطة مدروسة.

تسلم العميلان الأوامر والخطوات المطلوب اتباعها وبدأوا بالتنفيذ.

اقترب العميل من راحيل المقيدة وامسك بأكتافها:

- راحيل ، نحن نعقد صفقة مع عازار لذلك هو يريد الحديث معك، سأثبت جهاز الاتصال في اذنك لكي تتحدثي معه، لذلك حافظي على هدوئك ... سأزيل اللاصق عن فمك لتتحدثي مع عازار.

لم تبدي راحيل تعبيرا او إشارة ما. فأعاد العميل سؤالها

- راحيل، هل سمعتي ، حركي رأسك بالإيجاب؟

حركت راحيل رأسها بإشارة الايجاب ، كانت راحيل تدرك انها ورقة محروقة ليس لها قيمة في عالم المخابرات وموتها ربما افضل في ذهنيّ وتفكيريّ طرفي الصراع الذي يقوداه أهارون وعازار، لكنها تعلم انها لا تملك ان ترفض.

وضع عميل الموساد لها جهاز الاتصال في اذنها ثم رفع اللاصق عن فمها. بقت راحيل هادئة بدون أن تنبس ببنت شفة.

اعطى العميل عبر الاتصال المفتوح اشارة لقيادته، خبر قيامه بتلك الخطوة وان راحيل جاهزة للتكلم مع عازار.

بعد ثواني تحقق الاتصال.

- راحيل تكلمي الان.

سمعت راحيل صوت عازار

- راحيل انا آسف ، لم اعتقد إنك ستتورطين هكذا.

- انت رجل حقير لقد خدعتني واستغللت حبي لك.

- انها الحرب يا راحيل والحرب خدعة، ولكني احببتك حقا وحاولت ابعادك عن الخطر... دعوني اراها ، قربوها من الشرفة ...

طلب احمد من المختطفين ذلك ليستطيع رؤيتها عبر كاميرات الصحافة المنتشرة حول العمارة.

انتظر عميل الموساد امر من قيادته.

- راحيل سأقربك من الشرفة لكي تستطيع كاميرات الصحافة التقاط صورك.

بدأ العميل دفع الكرسي المقيدة عليه راحيل بهدوء وحذر ، كان العميل يعلم ان راحيل عميلة سابقة ومحترفة وربما أي هفوة منه تستطيع ان تستغلها لتطيح به. كان لا يستطيع توقع ردود فعلها في هذه الظروف. كان العميلان يحتجزان راحيل في داخل الشقة بعيدا عن النوافذ ولكن كان عليه ان يدفع كرسيها مسافة الى الشرفة حيث كانت الشقة والشرفة مضاءة.

وضع العميل راحيل في الشرفة وكان يقف خلف كرسيها وقد احس بهواء بتيار منعش من الهواء.

- **تمتعي بالهواء العليل .....**

فجأة سكت عميل الموساد وسمعت راحيل صوت جسم يسقط على الأرض ، التفتت راحيل على وقع الصوت فرأت عميل الموساد ساقطا الى جانبها الأيمن على الأرض ولكن لم تستطع ان تلمح وجهه او تعرف سبب سقوطه.

- **راحيل خلصتك من واحد عليك بالآخر. سمعت راحيل صوت عازار.**

كانت راحيل تدرك انها معرضة للقتل فان لم يقتلها الموساد قد يقتلها عازار او احد اخر لم يكن لها مجال لتثق بأحد.

في هذه الاثناء كان الارتباك قد ساد غرفة العمليات للموساد للحظات ولكن أهارون وبسرعة أعطى أوامره بإغلاق البناية والبحث عن القناص، كما اعطى امره للعميل المتبقي من الفريق بقتل راحيل.

تحاملت راحيل بما لها من قوة ودفعت الكرسي بأصابع قدميها وبحركة من جذعها ، استدارت نصف دورة الى اليمين. كان العميل الأول مصابا بطلقة في جبينه وغارقا في دمه .

امسكت راحيل بأطراف أصابع يدها اليسرى بمحجر الشرفة ثم القت بثقلها على الطرف الاخر من الكرسي.

سقطت راحيل مع كرسيها على الأرض فيما افلتت يدها بعد تمزق الوثاق الذي كان يوثق يدها نتيجة ثقل وزنها وحركتها السريعة.

رغم الم السقوط والقيد الذي جرح يدها ، تناولت راحيل سكين من حزام العميل المقتول وبدأت تقطع وثاقها وتحرر نفسها عندما سمعت وقع اقدام.

كانت راحيل ما تزال راقدة على الأرض ، سحبت السلاح من قرب الجثة ورفعته باتجاه باب الغرفة، ما ان دخل مختطفها الثاني وقبل ان يلمح منظرها على الأرض اطلقت راحيل عليه النار فأصابته بإطلاقات مميتة.

فكت راحيل وثاقها وزحفت على الأرض خوفا من نار القناصين ، كانت ما تزال خائفة من وجود قتلة آخرين.

زحفت حتى عبرت من فوق جثة العميل الثاني ، طرأت في عقلها فكرة لتأمين حياتها، بحثت راحيل بسرعة عن هاتفها المحمول وبسرعة فتحت احد برامج التواصل الاجتماعي وبدأت ببث مباشر لتوثق الحدث.

- شعبي الإسرائيلي العظيم ... انا راحيل ،اود ان اخبركم اني تحررت من قبضة الخاطفين وتم قتلهم .... كما ترون الان في هذا البث المباشر احدهم تم قتله من قبل قناصينا الابطال وقمت انا بقتل الاخر وانا الان بانتظار قوات الشرطة لتأمين بيتي.

صورت راحيل الشقة وجثتي العميلين وبعد ان تأكدت من ان البث وصل الى مختلف مواقع التواصل الاجتماعي نظرت في المكان ثم قامت بعمل اخر

تعلمته من وظيفتها السابقة اخذت تبحث في ثياب الجثتين فجمعت ما يحملان من هويات ووثائق مزيفة وأجهزة اتصال وخبأتها في ثيابها...

كانت تنتظر وصول قوات الشرطة في أي لحظة ، فجأة دوى صوت انفجار في الخارج.

اسرعت وبحذر الى النافذة لتشاهد حريق كبير في احد شقق العمارة المقابلة وقد تدمرت واجهة الشقة وكتلة كبير من اللهب تنتشر في ارجاء الشقة.

****

الذكريات:

بعد عشرين عاما.

في مقهى في القدس يطل على الأقصى جلس رجل اشيب الشعر وسيدة قريبة من عمره يتناولان القهوة ويستذكران أيام من الماضي. كان لقاءهما الأول منذ اكثر من عشرين عاما.

تبادل الاثنان التحية وتعجب كل منهما بحال الاخر وما فعله الزمن بشكله وتقاسيم وجهه.

هكذا التقى احمد و راحيل بعد طول انقطاع.

راحيل – لماذا انقذتني في ذلك اليوم ؟

احمد – كنت احبك.

- انا أيضا قبل ذلك اليوم كنت احبك ... كيف استطعت الدخول الى تلك البناية وهي مقر للموساد ؟!

- كنت املك شقة في تلك البناية أصلا ... قبل زواجنا بوقت اشتريت شقة في تلك البناية بشخصية واسم مختلف ، واخترتها لتكون مشرفة على شقتك لأستطيع مراقبتها بسهولة واتأكد من ان الموساد لا ينصبون لي فخا ... كما استعملتها لتصنيع العبوات المتفجرة فيما بعد لذلك كنت من سكان تلك العمارة فكنت اتردد عليها بين فترة وأخرى.

- وكيف لم ارك يوما تذهب الى تلك العمارة وكيف لم يتعرف الموساد على وجهك !؟

- كنت اذهب اليها في أوقات كنت اخبرك فيها انني متأخر في العمل مثلا كما اني كنت اتنكر و اغير ملامح وجهي واتحول الى شخصية أخرى.

- وماذا حدث في ذلك اليوم ؟

- عندما شاهدت فيلم اختطافك وسمعت بيان المختطفين فهمت ان الموساد يريد ان ينتقم مني وعرفت ان أهارون هو من يقود العملية لأنه كان اكثر شخص يكرهني في الموساد ولم أتوقع ان يفطن احد الى ان عازار هو نفسه رقم ٤٠ خصوصا ان رقم ٤٠ يعد ميتا لدى الموساد ولكن عندما اذاع اسمي في الاخبار علمت ان أهارون هو من يقود هذه العملية القذرة وانه علم انه يستطيع ان يقامر ويلعب على العلاقة

الموجودة بيننا ...عندها قررت انا وزميلي وضع خطة سريعة، رتبنا شبكة اتصال وهمية لتضليل الموساد وذهبت الى العمارة بعد ان تنكرت بشخصيتي الثانية واستطعت تجاوز رجال الامن ومن داخل الشقة اتصلت عبر الشبكة الوهمية بأهارون وطلبت منه التكلم معك ورؤيتك عبر التلفزيون لأتأكد انك على قيد الحياة وقبل ذلك بسهولة ليحاول ايقاعي في المصيدة، كانت الشقة تحوي مجموعة من الأسلحة وكميات من المتفجرات كانت موجودة للاستعمال عند الحاجة، عندها قمت بقتل العميل الأول بواسطة بندقية كانت لدي، لم تكن هناك فرصة لأعمل أكثر من ذلك لمساعدتك وتوقعت انك بخبراتك السابقة تستطيعين انقاذ نفسك.

- **وكيف هربت من الموساد ؟**

- **كنت قد لغمت الغرفة بما كانت تحويه من متفجرات وارتديت ملابس شبيهة برجال الامن الاسرائيلي كنت ارتديها تحت ملابسي، فعندما قتلت خاطفك قاموا بإغلاق البناية والبحث عن القناص، كنت انا قد غادرت الشقة وانتقلت عبر السلالم الى الدور الأسفل ومررت برجال الامن دون ان يشكوا فيّ وانتظرت هناك ،عندما اقتحم رجال الامن الشقة انفجرت فيهم و حدثت فوضى استطعت خلالها ان اهرب من العمارة والاختفاء.**

- **من خطط لكل ذلك؟**

- **هل هو استجواب ؟ نحن نلتقي لأول مرة منذ اكثر من عشرين عاما ولم تنفك تسأليني عن عملية تل ابيب.**

- **هل توقعت ان اسألك عن أيام زواجنا وكيف خدعتني طوال اكثر من ثلاث سنوات...**

- **لا تستطيعين ان تنكري انها كانت احلى سنوات عمرك كما قلت انت لي.**

- **لا فائدة من هذا الكلام ... اجبني عن اسئلتي فطالما وددت ان اعرف حقيقة ما جرى.**

- **عميد عبد الحميد رحمه الله من المخابرات المصرية خطط لكل شيء ... التقيت به بعد ان اعتقلتني المخابرات المصرية بعد وشاية من الموساد باني إرهابي فقام بتهريبي من سجن المخابرات وصنع لي وجها جديدا وهوية جديدة كان بمثابة منقذ او اب روحي لي علمني أشياء وفنون كثيرة لم اكن اعلمها في عالم المخابرات وقام بتدريبي على أشياء كثيرة، كان في فكره خطة لضرب الموساد الإسرائيلي ضربة موجعة لكن المخابرات المصرية كانت في عقد من السلام مع الموساد ، عندما شاهدني اثناء اعتقالي وجد فيّ الشخص الذي يستطيع ان ينفذ خطته وهكذا بدأنا تنفيذ الخطة.**

- **ولماذا اخترتموني ؟**

- انا اخترتك من عدة شخصيات مرشحة.

- لماذا

- لقد قرأت ملفك واعجبتني فيك امور كثيرة ، احسست انك انسانة مغامرة ولن تمتنعين عن الدخول في مغامرة معي.

- لم اندم على حياتي الماضية التي عشتها معك.

- وانا كذلك ، كانت ايام جميلة رغم احساسي في وقتها اني اعيش بين الاعداء الا انك كنت مؤنسي الوحيد في تلك الوحشة ... ماذا حل ب"اهارون" بعد عملية تل ابيب.

- أهاروني ... بعد الضربة التي تلقاها الموساد اصبح اهاروني رئيسا للموساد، ولكن لأشهر قليلة ، فقد جرت عدة تحقيقات سرية وانكشفت خطة اختطافي ومقتل عملاء الموساد الذين اختطفاني واعتبر مسؤولا عن موتهما. فتم عزله واحيل الى التقاعد .

- لقد اصبحت بطلة قومية في وقتها بعد عرضك السينمائي امام شاشات التلفزيون (كان احمد يشير لقتلها العميل الثاني وظهورها في شرفة شقتها بعد ذلك).

- نعم ، لقد استطعت استغلال الامر بشكل رائع ، لقد احبني الناس وترشحت للكنيست وتم ترشيحي اكثر من مرة لأصبح وزيرة.

- سمعت انك تزوجت بعد ذلك ؟

- كان زواج مصلحة ... فقد كانت لدينا مصالح مشتركة.

- لماذا بقيت في فلسطين بعد التحرير ولم ترحلي؟

- هذا موطني ، لقد ولدت هنا وسأموت هنا، لقد تم قبول طلبي بالإقامة في فلسطين مقابل تزويد السلطة الجديدة بالمعلومات عن جرائم جهاز الموساد ومعلومات سرية عنه.

- لقد سررت بمقابلتك بعد كل هذه السنوات.

- وانا ايضا ، لطالما وودت لو اراك لمرة اخيرة.

- سأبقى في القدس فترة مع عائلتي وسأدعوك لتلتقي بهم.

- سيكون ذلك من دواعي سروري.

افترق الاثنان على امل بلقاء قريب على مرأى من الاقصى.

****

هكذا انتهت مغامرات الرجل ذو الاربعين وجها بين الواقع والحلم

تمت بحمد الله.

نبذة عن المؤلف

ناصر حامد

– العراق

– مهندس

هاو لقصص الجاسوسية..

المجتويات

مطاردة في الصحراء الغربية ٥

معركة بين أشجار الأرز ٦٠

معركة البحر الأحمر ٩٧

الريح العاصفة..... ١٣٥

الضياع بين بغداد و القاهرة ١٤٨

في أحضان العدو ٢١٤

نبذة عن المؤلف ٢٨٦